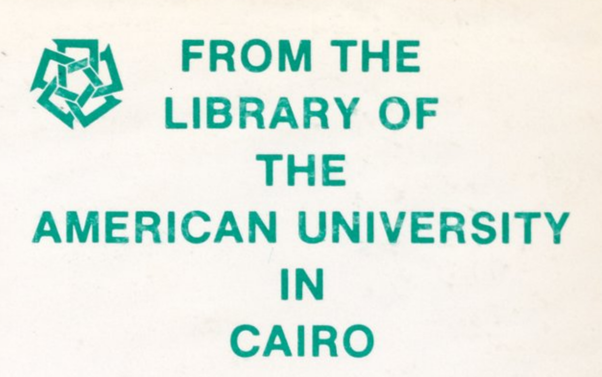
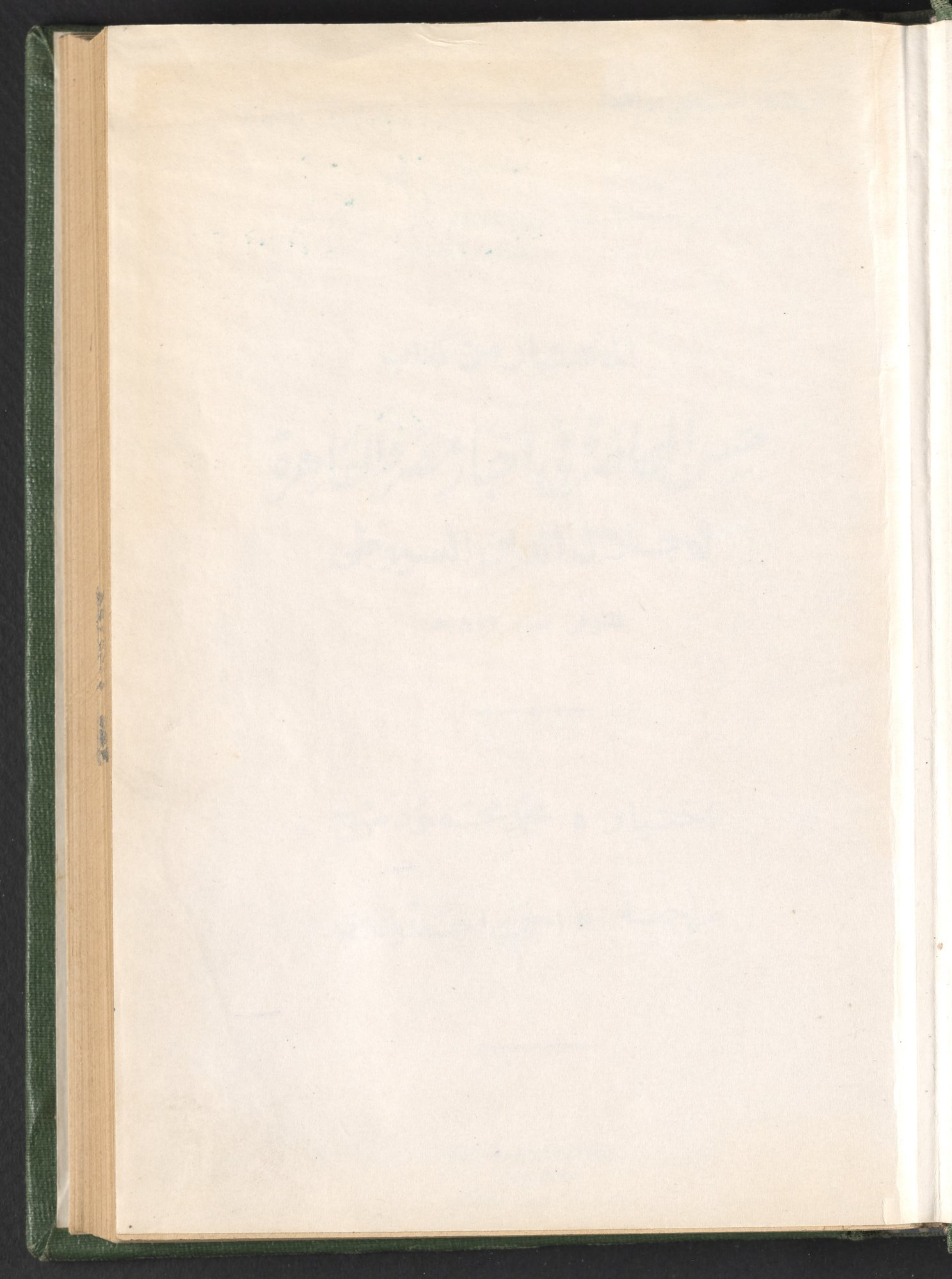






مختارات من تراثنا

المختار من كتاب

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

لجلال الدين السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ

اختيار ▪ محمد محمود صبح

مراجعة ▪ احمد احمد بدوي

وزارة الثقافة والارشاد القومي
الاقليم الجنوبي
الادارة العامة للثقافة

تقديم

بقلم: ثروت عكاشة

وزير الثقافة والإرشاد القومى

من السمات البارزة للعصر الحديث العناية بتراث الماضى ودراسته وتفسيره ، فقد آمن المحدثون بأن الماضى ليس شيئاً مضى وزال ، وإنما هو يرتبط بالحاضر أوثق ارتباط ، ويؤثر فيه أبلغ تأثير ، فما من حركة من حركات الإصلاح أو نهضة من النهضات ، فى أية ناحية من نواحى الحياة المادية أو الروحية ، إلا ولها فى الماضى أصول عميقة عريقة .

والأمم الناهضة تعمل على وصل ماضيها بحاضرها ، وتعريف أبنائها بما حققه أسلافهم فى العلم والفن والأدب ، حتى يشبوا على وعْى ويبنوا على أساس .

وتراث الأمة العربية غنى وافر الخصب ، متعدد الجوانب جليل الأثر ، وهو يتطلب الدأب على جمع شتاته ، ودراسته دراسة تأمل واستيعاب ، ونشره نشرا علميا سليما .

على أن هذا التراث — ككل تراث — لا يكاد يُفيد منه إلا المتخصِّصون والدارسون الذين أوتوا من العلم ما ييسر لهم متونه ، وتفهم لغته والوقوف على أسانيده .

والثقافة اليوم لم تعد وقفا على الخاصة . وإنما هى حق للخاصة والعامة على السواء ، ومن هنا نبتتْ فكرة تقريب هذا التراث ، وتيسير أمهاته ، بنشر مختارات منه ، وتناوله بالشرح والتبسيط ، وتصديره بمقدمة تعرف بالكتاب وبأغراضه ، ودراسة عن المؤلف وحياته ومنهجه وآثاره .

وإنى لأرجو أن يحقق هذا التيسير الغرض الذى وُضع من أجله ، ويصل جمهور القراء بآثار السلف ، ويحفزهم إلى الرجوع إلى تلك الأمهات ، ويحببهم فى قراءتها .

وبالله التوفيق .

ثروت عكاشة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

برع الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن محمد الخضيرى السيوطى فى كثير من العلوم والفنون ، وأخرج كتباً كانت ولا تزال مرجعاً من المراجع القيمة التى يعتمد عليها فى إبراز الفكر العربى والثقافة الإسلامية فى صورها الرائعة . وتوضيح المزايا والمعالم التى اختصت بها .

ولد السيوطى فى شهر رجب سنه تسع وأربعين وثمانمائة من الهجرة وكان يكنى « أبا الفضل » وتوفى أبوه - وكان من العلماء المشهود لهم بالورع والدين - ولما يتم ابنه السادسة من عمره ، ونشأ الابن يتيما ، فرعاه جماعة من العلماء ، حتى أتم حفظ « القرآن الكريم » وهو دون الثامنة .

ثم واصل الدرس وتحصيل العلم ، وتفقه على قرابة واحد وخمسين عالما . ودرس مختلف العلوم ، من قرآن ولغة ، وفقه ، وحديث وأدب وتاريخ وغيرها ، وقرأ شيئاً فى المنطق ولكن كراهيته ألقيت فى قلبه ، وكان علم الحساب أعسر شىء عليه ، وأبعده من ذهنه ، ويقول فيما رواه عن نفسه فى ذلك : « وإذا نظرت فى مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا احمله » .

وقد رزق السيوطى التبحر فى علوم التفسير. والفقه والنحو، والمعانى والبيان والبديع. وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث، وفنونه، ومتنه، وسنده، ورجاله، وغريبه، واستنباط الأحكام منه.

وفى سنة أربع وستين وثمانمائة اشتغل بالتدريس، ثم بدأ التأليف بعد ذلك بسنتين، فكان أول مؤلفاته كتاب فى «شرح الاستعاذة والبسملة» وبدأ الافتاء سنة إحدى وسبعين وثمانمائة.

وقد زار الحجاز حاجا إلى بيت الله الحرام، وطاف ببلاد الشام، واليمن، والهند، والمغرب. وبلاد التكرور (التى تعرف الآن ببلاد غانة وما حولها).

ولما بلغ أربعين سنة. أخذ فى التجرد للعبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والاشتغال به صرفا، والإعراض عن الدنيا وأهلها، وأراد الآخرة، فاجتهد فى العمل لها، وترك الإفتاء والتدريس، واعتزل الناس، وزهد فى لقائهم، وانقطع فى بيته بروضة المقياس على النيل، وشرع فى تحرير مؤلفاته التى بلغت قرابة الثلاثمائة فى مختلف العلوم والفنون من لغة، ودين، وأدب، وتاريخ، وفقه، وحديث..

وكان الأمراء والأغنياء يزورونه، ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان الغورى مراراً فلم يذهب إليه. ومما روى عن زهده وصدق ثقته بالله عز وجل، والاستغناء به عمن سواه: أن السلطان الغورى أهدى إليه ألف دينار وخصيا، فرد المال، وقبل الخصى وأعتقه، وجعله خادماً فى الحجرة النبوية الشريفة، ثم قال لقاصد

السلطان « لا تعد تأتينا بهدية قط ، فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك » .

ولقد ظهر إكرام الله تعالى له فى ظواهر عدة ، منها ما ذكره الإمام الشعرانى رضى الله عنه عن الإمام أمين الدين النجار إمام جامع الغمرى « أن الشيخ السيوطى أخبره بدخول ابن عثمان مصر » يقصد بابن عثمان « العثمانيين » وقد حدث ذلك فعلا بعد موت السيوطى باثنتى عشرة سنة فى سنة ٩٢٣ هـ = ١٥١٧م .

وكان الإمام السيوطى يقرض الشعر . ومعظمه فى الفوائد العلمية ، والأحكام الشرعية ، ومن جيده :

فوّض أحاديث الصِّفا ت ولا تُشَبِّه أو تُعَطِّل
إن رُمْت إلا الخَوْض فى تحقيق مُعضِلَةٍ فأوِّل
إن المفوّض سالم مما تكلّفه المُؤوِّل

وقال مما تبدو فيه قوة الإيمان والثقة بالله تعالى وحده : —

أيهـا السائل قوما مَالَهُم فى الخير مذهب
أترك الناس جميعاً وإلى ربك فَارْغَب

وقال فى رجاء عفو الله تعالى وابتغاء رحمته : —

لم لا تُرَجِّى العفو من ربنا وكيف لا تطمع فى حلمه
فى الصَّحيحين أتى أنه بعبده أرحم من أمه

وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل . مات رحمه الله تعالى بمنزله

بالروضة ، بعد مرض دام سبعة ايام سنة إحدى عشرة وتسعمائة ٩١١ﻫ ودفن بحوش قوصون[١] خارج باب القرافة الكبرى ،

ومن أهم مؤلفاته المتعددة النافعة ، ومصنفاته الكثيرة الجامعة .

في العلوم القرآنية :

الإتقان فى علوم القرآن . الدر المنثور فى التفسير المأثور ، ترجمان القرآن فى التفسير المسند ، أسرار التنزيل : ويسمى قطف الأزهار فى كشف الأسرار ، مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن ، تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلى[٢] ، التحبير فى علوم التفسير ، مجمع البحرين ومطلع البدرين فى التفسير ، شرح الاستعاذة والبسملة ، معترك الأقران فى مشترك القرآن .

فى فن الحديث وتعلقاته :

كشف المغطى فى شرح الموطأ ، التوشيح على الجامع الصحيح ، مرقات الصعود إلى سنن أبى داود ، شرح ابن ماجه ، تدريب الراوى فى شرح تقريب النووى . عين الإصابة فى معرفة الصحابة ، توضيح المدرك فى تصحيح المستدرك ، اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، المعجزات والخصائص النبوية ، مفتاح الجنة فى الاعتصام بالسنة ، مناهج الصفا فى تخريج أحاديث الشفا ، درر البحار فى الأحاديث القصار ، أربعون حديثا فى فضل الجهاد ، الكلام على حديث ابن عباس : « احْفَظ اللهَ يَحْفَظك » .

---

(١) هى المقابر المعروفة الآن بمقابر المماليك والتى بها جامع قايتباى وفرج ابن برقوق .

(٢) وهو ما يعرف بتفسير الجلالين »

فى فن الفقه وتعلقاته :

الأزهار الفضة فى حواشى الروضة . مختصر التنبيه : يسمى الوافى فى شرح التنبيه ، الأشباه والنظائر ، العذب السلسل فى تصحيح الخلاف المرسل ، الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع ، تشنيف الأسماع بمسائل الأجماع ، شرح التدريب الكافى ، الجامع فى الفرائض ، مختصر الأحكام السلطانية للماوردى ، اللوامع والبوارق فى الجوامع والفوارق .

فى الأجزاء المفردة فى مسائل مخصوصة :

الجواب الحزم عن حديث التكبير ، الروض الأريض فى طهر الحيض ، جزء فى صلاة الضحى ، المصابيح فى صلاة التراويح ، اللمعة فى تحقيق الركعة لإتمام الجمعة ، بغية المحتاج فى مناسك الحاج ، بذل الهمة فى براءة الذمة ، الإنصاف فى تمييز الأوقاف ، جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب ، تقرير الإسناد فى تيسير الاجتهاد ، رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين ، تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء ، تنوير الحلك فى إمكان رؤية النبى والملك ، أدب الفتيا .

فى فن العربية وتعلقاته :

شرح ألفية ابن مالك : ويسمى البهجة المضية فى شرح الألفية ، الفريدة فى النحو والتصريف والخط ، الفتح القريب على مغنى اللبيب ، جمع الجوامع وشرحه يسمى همع الهوامع ، المصاعد العلية فى القواعد النحوية ، الاقتراح فى أصول النحو وجدله ، در التاج فى إعراب مشكل المنهاج ،

السيف الصقيل فى حواشى ابن عقيل ، شرح ضرورى التصريف لابن مالك، تعريف الأعجم بحروف المعجم .

فى فن الأصول والبيان والتصوف :

شرح لمعة الإشراق فى الاشتقاق ، الكوكب الساطع فى نجم جمع الجوامع ، عقود الجمان فى المعانى والبيان ، وشرحه يسمى : شرح أبيات تلخيص المفتاح . تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية ، درج المعالى فى نصرة الغزالى ، تشييد الأركان فى ليس فى الإمكان أبدع مما كان، الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجبا والأبدال ، مختصرا لإحياء المعانى الدقيقة فى إدراك الحقيقة ، نظم التذكرة ويسمى الفلك المشحون .

فى فن التاريخ والأدب :

تاريخ الصحابة ، طبقات النحاة الكبرى ، طبقات المفسرين ، طبقات الكتاب ، حلية الأولياء ، طبقات شعراء العرب ، تاريخ الخلفاء ، تاريخ أسيوط ، ترجمة النووى، تاريخ العمر : وهو ذيل على أنباء الغمر ، ديوان شعر ، ديوان خطب ، الرحلة المكية ، الرسائل إلى معرفة الأوائل ، مختصر معجم البلدان لياقوت ، تحفة المذاكر فى المنتقى من تاريخ ابن عساكر، الشماريخ فى علم التاريخ .

تاريخ مصر ، وهو كتاب حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

وكتاب « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » من الكتب

الجامعة التى خلفها لنا الإمام السيوطى رحمه الله ، ويقع فى جزءين ، ويحوى سبعاً وثلاثين وخمسمائة صفحة من القطع المتوسط .

وتبدو أهميته فى إعطاء فكرة تاريخية عن مصر ، تشمل النواحى السياسية ، والحضارية ، والاجتماعية ، وهو من المراجع التى يعتمد عليها فى التاريخ الإسلامى لمصر حتى بداية القرن العاشر الهجرى .

وقد اهتمت المطابع بطبعه عدة مرات بلغت حوالى السبع ، كان آخرها بمطبعة الوطن بالقاهرة سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، غير أنى اعتمدت فى التيسير على النسخة المؤرخة فى ١٣٢١هـ لوضوحها وترتيبها .

وقد بدأ المؤلف رحمه الله الكتاب بالآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة التى جاء فيها ذكر مصر ، وانتقل إلى تبيان من دخلها من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومن كان بها من الصديقين ، والحكماء ، ومن حكمها من ملوك ، وما تركوه من آثار . فى القديم الغابر .

وتحدث عن جغرافية مصر من بقاع ، ونواح ، وصحار ، وواحات ، ومزروعات . والنيل وأثره ومزاياه ، وما قيل فيه من أشعار مناسبة ، ولم ينس التقسيم الإدارى للبلاد . وعجائبها .

وانتقل إلى تاريخ مصر الإسلامى منذ فتح عمرو بن العاص لها سنة تسع عشرة هجرية حتى أوائل القرن العاشر الهجرى فأسهب فى الكلام عن هذه الفترة ، مما جعل الكتاب مرجعاً من المراجع التى يعتمد عليها فى هذا التاريخ وهذه الحقبة من الزمان .

وعنى بالتراجم فأفرد لها فصولا ، ذكر خلالها الصحابة الذين دخلوا مصر ، والتابعين الذين استقروا بها ، والمحدثين ، والفقهاء ، وأعلام المذاهب الأربعة ورجال الصوفية ، والحكماء ، وأهل العلوم العقلية والنقلية ، وأهل الحكم : من سلاطين ، وأمراء ، ووزراء ، وولاة ، وخلفاء ؛ وأهل القلم : من كتاب ، وأدباء ، وشعراء ، وأهل اللغة ، والنحاة .

ورتب الأحداث التى مرت بالبلاد حسب السنين على نظام كتب التاريخ فى عصره ، وأفرد فصولا للآثار الإسلامية : من مساجد ، ومدارس ، وتكايا ، وخلجان وغيرها .

ولم ينس الحديث عن الناحية الاجتماعية والحضارية ، وختم الجزء الثانى من الكتاب بفصول عن المزروعات فى بلادنا ، وما ورد فيها من آثار وما قيل فيها من أشعار .

ويعد الكتاب موسوعة تاريخية حافلة لحقبة هامة من حقب حياتنا يجد فيه القارىء متعة ذهنية ، ومعارف نافعة فى أسلوب سهل ، وعبارة واضحة .

ولما كان المؤلف قد اعتمد فى معظم كتابه على ما جاء فى كتب من سبقه من المؤرخين ، وعلى تلك الروايات التى تتبع طريقة الإسناد إلى أصحابها عبر الأجيال المتلاحقة . أمثال المقريزى ، وابن عبد الحكم ، والقضاعى ، وابن يونس وغيرهم زيادة على رواياته الخاصة أحيانا فإن الخبر الواحد يأتى مكرراً بعدة اساليب .

وقد تطلبت هذه الطريقة فى التأليف جهداً عند التيسير والاختيار ، يدعو إلى فحص هذه الروايات بدقة ، وتمحيص مدلولاتها ، وترجيح

بعضها على البعض ، وتحرى الصواب ، أو ما هو أقرب إلى الصحة ، والبحث فى أمهات الكتب عن آراء المؤلفين المختلفة ، وما عليه إجماعهم ، وبخاصة بعد التحقيق العلمى الحديث .

ولسهولة الأسلوب ووضوحه ، فقد اتبعت فى تيسير الكتاب طريقة الاختصار ، وذلك بحذف الأسانيد الطويلة ، واختصرت الموضوعات والأخبار مبقياً على الأهم منها ، وحذفت بعض العبارات القلقة أو المعادة التى لا يضر حذفها ولا يخل بالموضوع .

واستغنيت عن بعض الفصول التى لا سند لها من التاريخ أمثال « من ملك مصر قبل الطوفان » و « من ملك مصر بعد الطوفان » وقتل عوج بمصر و « كوكب الذنب » . . وما إلى ذلك .

كما ادمجت بعض الموضوعات المتشابهة فى بعضها ، كموضوعى « حفر خليج مير المؤمنين « وخليج مصر » لأن كلا منهما يكمل الآخر .

وحاولت ما استطعت تنقية الموضوعات المختارة مما بها من روايات يبدو الخيال واضحا فيها ، وتظهر الحقيقة بعيدة عنها ، كموضوع « بناء الإسكندرية » و « أثر متصل الإسناد فى أمر النيل » .

ورتبت بعض الموضوعات ترتيبا تاريخيا كما يبدو ذلك فى موضوع « الأهرام » وأما التراجم فى شتى أبوابها فقد أبقيت منها ما كان للشخصيات التى لها آثار علمية نافعة من مؤلفات وطرائف .

واضطررت فى بعض الأحيان إلى إيراد بعض الجمل لربط أجزاء الموضوع الواحد ، وهذه وضعتها بين قوسين هكذا [ ]

وقمت بشرح الكلمات الصعبة لغويا ، وما يتطلبه التعريف به من الأحداث ، أو ببعض البلاد والأماكن التى تغيرت أسماؤها ، كذلك شكلت الشعر وحققته .

وقد وفقنى الله تعالى وأعاننى بفضله على تحقيق ما اخترته من الكتاب تحقيقاً جعل قطوفه اليانعات دانية للقارىء الكريم ، معتمداً على المراجع الهامة من لغوية ، وتاريخية ، وجغرافية ، وأثرية .

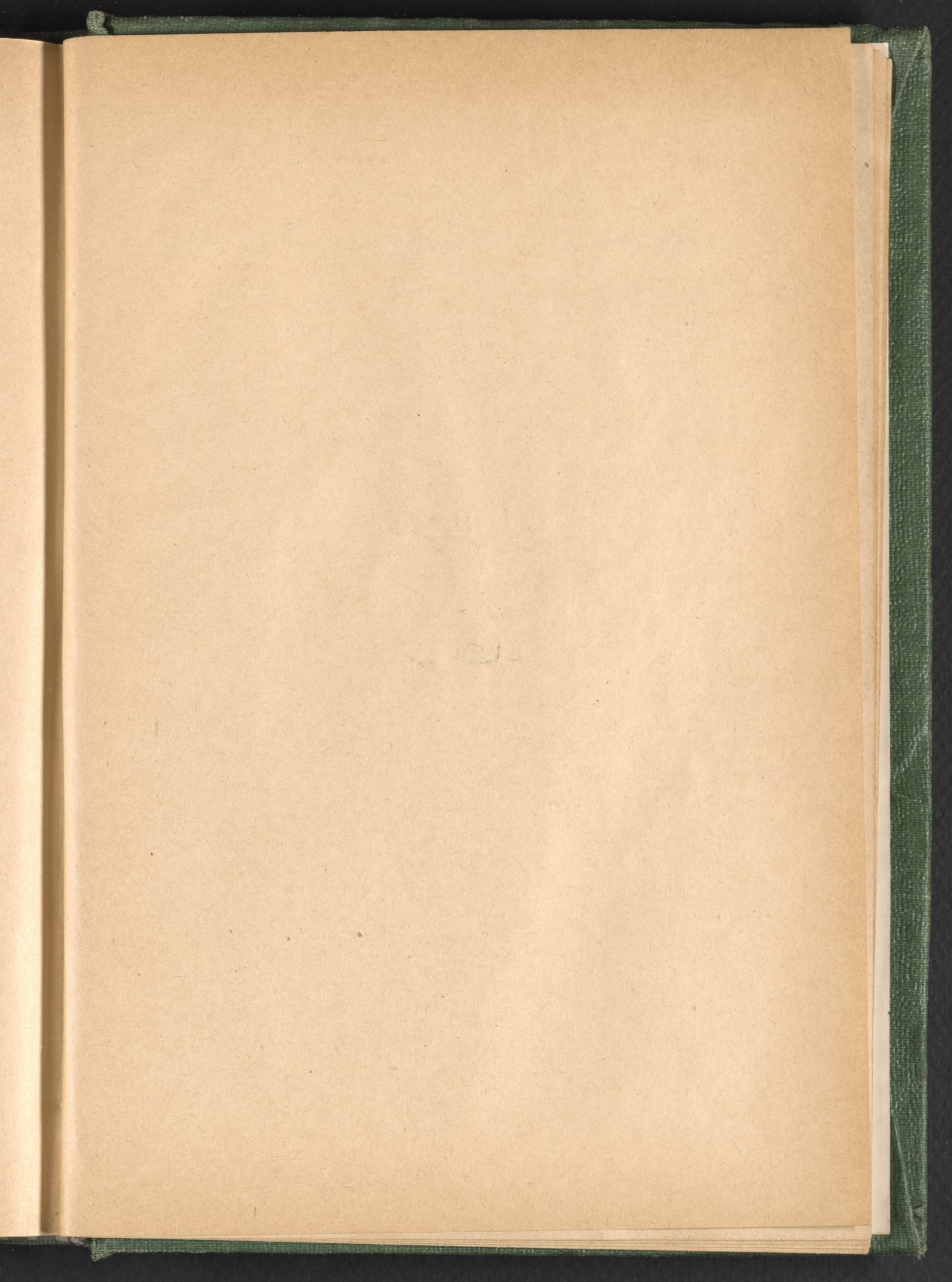
وزيادة فى التيسير على القارىء ، فقد ألحقت بالكتاب عدة ملاحق بأسماء حكام مصر منذ الطولونيين حتى آخر عصر المماليك الجراكسة ؛ موضحاً أمام اسم كل منهم بدء تاريخ حكمه بالسنة الهجرية وما يقابلها من الميلادية .

فإن كنت قد وفقت فهذا فضل من الله عز شأنه ، و « الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ » .

محمد محمود صبح

الجزء الأول

من الكتاب



« بعض المواضع التى ورد فيها ذكر مصر فى القرآن الكريم »

ذكرت مصر فى القرآن الكريم فى أكثر من ثلاثين موضعاً [من ذلك قوله تعالى] : « اِهْبِطُوا مِصْراً فإن لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ[1] » . « وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى وأَخِيهِ أن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً[2] » . « وَقالَ الذى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ[3] » . « ادْخُلوا مِصْرَ إن شَاءَ اللهُ آمِنين[4] » وقال تعالى حكايةً عن فرعون : « أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وهَذهِ الأنهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى[5] » . « وجَعَلنا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ آيَةً وآوَيْناهما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرارٍ ومَعِين[6] »

رُوِى أنَّ عيسى كان يرى العجائب فى صباه إلهاماً من الله ، ففشا ذلك فى اليهود ، وترعرع عيسى فهمَّت[7] به بنو إسرائيل ، فخافت أمه عليه ، فأوحى الله اليها أن تنطلق به إلى أرض مصر ، فذلك

---

(١) الآية ٦١ : سورة البقرة .
(٢) الآية ٨٧ : سورة يونس .
(٣) الآية ٢١ : سورة يوسف .
(٤) الآية ٩٩ : سورة يوسف .
(٥) الآية ٥١ : سورة الزخرف .
(٦) الآية ٥٠ : سورة المؤمنون .
(٧) أى عزموا على قتله .

قوله تعالى : « وَآوَيْنَاهُمَا إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قرار وَمعين »
[وقال نسوة فى المدينة[٨] . . .] .

« لطيفه » قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام :
« وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وجَاءَ بِكُمْ مِنَ البدْو » فجعل الشام بدواً ، وَسمَّى مصرَ مصراً ومدينة .

« بعض الأحاديث التى ورد فيها ذكر مصر »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَتَفتَحُونَ مصرَ وهىَ أرض يُسمَّى فيها القيراط[٩] فاسْتَوْصُوا بأهْلِها خَيراً ، فإنّ لهم ذمّة ورَحِماً » وأوصى عند وفاته فقال : « اللهَ اللهَ فى قِبْطِ مصر فإنكُم سَتظهَرُونَ عليهِمْ وَيكُونُونَ لكم عُدَّةً وأعْوَاناً فى سبيل الله » .
« اسْتَوْصُوا بالقِبْطِ خَيراً فإنكم ستَجِدُونَهُمْ نِعْمَ الأعوانُ على قتالِ عَدوِّكُمْ » . « إذا فتح اللهُ عليكُمْ مصرَ فاتخذوا فيها جُنداً كثِيفاً ، فذلك الجندُ خيرُ أجنادِ الأرض » . فقال أبو بكر وَلِمَ يارسولَ الله قال : « لأنَّهُمْ وأزواجُهُمْ فى رباطٍ إلى يومِ القيامةِ » .

ولقد صاهر إلى القِبْطِ من الأنبياء ثلاثة : إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسرَّى هاجر ، ويوسف عليه الصلاة والسلام تزوج بنت صاحب عين شمس ، ورسُول الله صلى الله عليه وسلم تسرَّى ماريه

---

(٨) « وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه »
الآية ٣٠ : سورة يوسف

(٩) نوع من العملة وقد استعمل الاسم لنوع من المقاييس أيضا .

وقال علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه : « قبة[١٠] الإسلام بالكوفة ، والهجرة بالمدينة ، والنجباء بمصر ، والأبدال[١١] بالشام » .

(فصل) وقال عبد الله بن عمرو « قِبْط مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يداً ، وأفضلهم عنصراً ، وأقربهم رَحماً بالعرب عامة ، وبقريش خاصة » . وكان عمرو بن العاص يقول « ولاية مصر جامعة تعْدِل[١٢] الخلافة » .

« اقليم مصر »

حد ديار مصر الشمالى ، بحر الروم[١٣] ، من رفح إلى العريش ممتداً على الجفار[١٤] إلى الفرما[١٥] إلى الطينة[١٦] إلى دمياط ، إلى رشيد ،

---

(١٠) لعل عليا رضى الله عنه قصد أن الكوفة التى اتخذها عاصمة له هى مركز متوسط للدولة الاسلامية التى امتدت شرقا وغربا وفيها أنصاره ، أو لعله قصد ما قاله سلمان الفارسى الصحابى : « هى قبة الاسلام يحن اليها كل مؤمن » لأن بها عليا رضى الله عنه وأنصاره .

(١١) الأبدال جمع بدل وبديل ، وهم الأولياء والعباد ، وقيل انهم قوم من الصالحين لا يموت منهم أحد الا قام مكانه آخر .

(١٢) تعدل : توازى .

(١٣) ما يعرف الآن بالبحر الابيض المتوسط

(١٤) الجفار جمع جفرة وكانت معروفة برمل مصر يحيط بها البحر الأبيض المتوسط وهى من رفح الى بحيرة المنزلة الى البحر الأحمر الى سيناء وقيل سميت بالجفار لكثرة الجفار بأرضها ، والجفر هى البئر القريبة

إلى الإسكندرية ، إلى برقة على الساحل ، آخذا جنوباً إلى ظهر الواحات إلى حدود النوبة .

والحد الجنوبى من حدود النوبة المذكورة ، آخذا شرقياً إلى أسوان إلى بحر القلزم (١٧) . والحد الشرقى من بحر القلزم قبالة أسوان إلى عيذاب (١٨) إلى القصير إلى القُلزم إلى تيه بنى إسرائيل (١٩) ، ثم يعطف شمالا إلى بحر الروم إلى رفح حيث ابتدأنا .

وبِقاعها كثيرة ، وكانت مدنا متقاربة على شطى النيل كأنها مدينة واحدة ، والبساتين خلف المدن كأنها بستان واحد ، والمزارع من خلف البساتين ، وكانت الأنهار بتقدير بقناطر وجسور ، حتى أن الماء يجرى

القاع الواسعة . وموضعها الآن : المنطقة التى فيهـــا السكة الحديدية الموصلة من القنطرة الى العريش ثم الى رفح فى منطقة سيناء الشمالية التى يحدها البحر الابيض المتوسط شمالا وقناة السويس غربا الى مدينة الاسماعيلية .

(١٥) الفرما : مدينة كانت على ساحل البحر الابيض المتوســط وقد اندثرت وتعرف آثارها بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلو مترات من الساحل وبالقرب من التل أطلال قلعة قديمة تسمى قلعة الطينة .

(١٦) الطينة : قرية قديمة كانت بالقرب من الفرما ولا تزال أطلال قلعتها باقية وهناك محطة تعرف بهذا الاسم نسبة الى هـذه القلعة على السكة الحديدية التى بين بور سعيد والاسماعيلية الآن .

(١٧) ما يعرف بالبحر الأحمر الآن .

(١٨) بلدة على ساحل البحر الأحمر .

(١٩) ما تعرف بصحراء سيناء الآن .

تحت منازلهم وأفنيتهم ، يحبسونه متى شاءوا ويرسلونه متى شاءوا ، وكانت البساتين بحافتي النيل من أوله إلى آخره ما بين أسوان إلى رشيد ، و لقد كانت المرأة تخرج حاسرة (٢٠) لا تحتاج إلى خمار لكثرة الشجر ، تضع المكتل (٢١) على رأسها فيمتلىء مما يسقط فيه من الشجر ، وكان أهل مصر ما بين قبطي ويوناني إلا أن جمهورهم (٢٢) قبط .

وأول مدينة اختطت بمصر ، مدينة منف، وهي في غربي النيل ، ولما فتح عمرو بن العاص البلاد ، أمر المسلمين أن يحيطوا حول فسطاطه ففعلوا ، واتصلت العمارة بعضها ببعض ، وسمي مجموع ذلك « الفسطاط » ، ولم يزل مقر الولاية والجند إلى أن وُلِّيَ أحمد بن طولون ، فضاق بالجند والرعية فبنى في شرقيه مدينة وسماها «القطائع» وأسكنها الجند ، ولم تزل عامرة إلى أن هدمها محمد بن سليمان الكاتب في أيام المكتفي بالله العباسي حنقاً على بني طولون سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وأبقى الجامع .

ثم ملك العبيديون مصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فبنى جوهر القائد مولى المعز لدين الله مدينة شرقي مدينة ابن طولون وسماها « القاهرة » ، وبنى فيها القصور لمولاه ، فصارت بعد ذلك دار الملك ومقرّ الجند .

وكان جوهر لما بنى القاهرة سماها المنصورة فلما قدم المعز غير اسمها إلى القاهرة .

---

(٢٠) حاسرة : كاشفة الرأس .

(٢١) المكتل : فعله كتل : وهو الزنبيل (وعاء) من الخوص

(٢٢) أكثرهم

(٢٣) الفاطميون .

« ثم » إن جوهرا حينما قصد إقامة السور جمع المنجمين وامرهم ان يختاروا طالعا لحفر الأساس ، وطالعا لرمى حجارته ، فجعلوا قوائم من الخشب، بين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس، وأعلموا البنائين أنه ساعة تحريك الأجراس يرمون ما بأيديهم من الطين والحجارة. فوقف المنجمون لتحرير هذه الساعة ، وأخذ الطالع ، فاتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب فتحركت الأجراس ، فظن الموكلون بالبناء أن المنجمين حركوها ، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة فى الأساس ، فصاح المنجمون « لا َ. لا ً. القاهر فى الطالع » فمضى ذلك فلم يتم لهم ماقصدوه ، وكان الغرض أن يختاروا طالعا لا يخرج عن نسلهم ، فوقع أن المريخ كان فى الطالع ، وهو يسمى عند المنجمين القاهر ، فعلموا أن الأتراك لا بد أن يملكوا هذه القرية .

فلما قدم المعز وأخبر بهذه القضية ؛ وكان له خبرة تامة بالنجامة وافقهم على ذلك ؛ وأن الترك تكون لهم الغلبة عل هذه البلدة ؛ فسماها القاهرة .

ولما انقضت دولة العبيديين سنة أربع وستين وخمسمائة ؛ بنى صلاح الدين يوسف بن أيوب سوراً جامعا بين مصر [٢٤] والقاهـــرة ولم يتم ؛ يبتدىء من القلعة وينتهى إلى ساحل النيل بمصر .

ومن أعمال مصر واحات تحيط بها المفاوز [٢٥] بين الصعيد والمغرب

---

(٢٤) مدينة الفسطاط .

(٢٥) المفاوز : جمع مفازة وهى الصحراء الواسعة لا ماء فيها .

والنوبة والحبشة وهى ثلاث واحات : أولى وهى الخارجة ، ووسطى ، وثالثة تسمى الداخلة .

ولإقليم مصر من الثغور على ساحل بحر الروم ؛ الفرما ، وتنيس[٢٦] وكانت مدينة عظيمة لها بحيرة مالحة[٢٧] يصاد بها السمك البورى ، وقد خربت وذهبت آثارها ، هدمها الملك الكامل الأيوبى سنة أربع وعشرين وستمائة خوفا من استيلاء الفرنج[٢٨] عليها ، فتجاوره فى ديار مصر .

« من دخل مصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام »

دخل مصر من الأنبياء ؛ إدريس وإبراهيم الخليل ويعقوب ، واثنا عشر نبياً من ولد يعقوب وهم : الأسباط ، ولوط وموسى وهارون ، ويوشع بن نون ودانيال وأرميا ، وعيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام .

أما إبراهيم فسبب دخوله مصر ؛ أنه لما أمر بالخروج عن أرض قومه والهجرة إلى الشام ؛ خرج ومعه لوط وسارة حتى أتوا حران[٢٩] فنزلها ، فأصاب أهل حران جوع فارتحل بسارة يريد مصر ، فلما دخلها ذكر جمالها لملكها ووصف له أمرها ، فأمر بها فأدخلت عليه ، وسأل إبراهيم « ماهذه المرأة منك » فقال « أختى » فهمّ الملك بها ، فأيبس الله يديه ورجليه ، فقال لإبراهيم « هذا عملك ، فادع الله لى ، فوالله لا أسوءك فيها » فدعا الله ،

---

(٢٦) تنيس : كانت جزيرة فى بحر مصر ما بين الفرما ودمياط ، وموضعها الآن مدينة صان الحجر بمديرية الشرقية بالوجه البحرى .

(٢٧) هى ما يعرف ببحيرة المنزله الآن .

(٢٨) الصليبيون .

(٢٩) حران : مدينة فى أقصى شمال اقليم الجزيرة الواقع بين نهرى دجلة والفرات .

فأطلق يديه ورجليه ، وأعطاهم غنما و بقراً ، وقال « ماينبغى لهذه أن تخدم نفسا » فوهب لها هاجر .

وأما يعقوب ، ويوسف وإخوته فدخولهم مصر منصوص عليه فى القرآن ، وكذا موسى وهارون قد ولدا بها .

وأما لوط فيمكن دخوله مع إبراهيم . وأما يوشع فهو ابن نون بن إفرائيم بن يوسف فقد ولد بها ، وخرج مع موسى إلى البحر لما سار ببنى إسرائيل .

وأما أرميا فدخلها [بعد تخريب بخت نصر لبيت المقدس] . وأما دانيال فقد عده [بعض المؤرخين] فيمن ولد بها . ورأيت أثرا صريحاً فى دخول أيوب وشعيب عليهما الصلاة السلام مصر . وعد بعضهم ممن دخلها من الأنبياء لقمان ، ويقال أنه من سودان مصر ، وفى نبوته خلاف .

وفيمن دخلها من الصديقين ، الخضر وذو القرنين ، وقد قيل بنبوتهما وقد نزل بها شيت بن آدم ـ وهو نبى ، وطافت سفينة نوح بأرضها .

« من كان بمصر من الصديقين »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كانَتْ ليلَةَ أسْرِىَ بى أتيتُ على رائحةٍ طيِّبة . فقلت ياجبريل ماهذه الرائحة الطيبة ، قال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها ، قلت وماشأنها ، قال : بينما هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم ، إذ سقط المدرى (٣٠) من يدها فقالت بسم الله ، فقالت ابنة فرعون ، أوَ لك ربّ غير أبى ؟ قالت : لا ولكن ربى ورب أبيك الله ، قالت أخبِرُهُ بهذا ، ؟ قالت نعم ، فأخبرته ، فدعاها ، فقال يافلانه ، أو لك رب غيرى ؟ قالت نعم ، ربى وربك الله ، فدعا ببقرة من نحاس ، ثم

(٣٠) المشط .

أحْمِيَتْ، ثم أمر أن تلقى فيها هى وأولادها ، فألقُوا بين يديها واحدا واحدا ، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع ، فتقاعست[٣١] من أجله فقال يا أماه ! اقتحمى، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فأقتحمت .

وقال ابن عباس[٣٢] فى تفسير قوله تعالى « وقالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ منْ آلِ فِرْعَوْن » لم يكن من أهل فرعون مؤمن غيره ، وغير امرأة فرعون ، وهو المؤمن الذى أنذر موسى فقال « إنَّ المَلأَ يَأتَمِرُونَ بكَ لِيَقْتُلُوكَ »

« السحرة الذين آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام »

أجمعت الرواة على أنه لا تعلم جماعة أسلموا فى ساعة واحدة أكثر من جماعة السحرة الذين آمنوا بموسى .

كان السحرة اثنى عشر ساحرا رؤساء ، تحت يد كل ساحر منهم عشرون عريفا ، تحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة ، فلما عاينوا ماعاينوا ، أيقنوا أن ذلك من السماء ، وأن السحر لايقاوم أمر الله ، فخر الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سجدا ، فاتبعهم العرفاء ، واتبع العرفاء من بقى وقالوا : « آمنَّا بِربِّ العَالَمين ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُون » .

---

(٣١) تقاعست : ضعفت وتباطأت .

(٣٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[بعض] عجائب مصر القديمة

من عجائب الدنيا الهرمان ، وهما أطول بناء وأعجبه ، ليس على الأرض بناء أطول منهما ، وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان ، ولذلك قال بعض من رآهما ، ليس شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر ، إلا الهرمان فأنا أرحم الدهر منهما . وصنم الهرمين وتسميه العامة « أبا الهول » .

وبربا[٣٣] أخميم كان فيه صور الملوك الذين ملكوا مصر . وبرابى دندرة[٣٤] مائة وثمانون كوة[٣٥] تدخل الشمس منها ، والفيوم ، ومنف وما فيها من الأبنية والدفائن والكنوز ، وآثار الملوك والحكماء .

وجبل الطير[٣٦] بصعيد مصر الأدنى ، مطل على النيل مقابل منية بنى خصيب ، وفيه أعجوبة لم ير مثلها فى سائر الأقاليم وهى باقية إلى يومنا هذا . وذلك أنه إذا كان آخر فصل الربيع قدم إليه طيور كثيرة ، بلق[٣٧] سود الأعناق ، مطوقات الحواصل ، سود أطراف الأجنحة ، فى صياحها بحاحة ، يقال لها طير البح ، لها صياح عظيم يسد الأفق ، فتقصد مكانا فى ذلك الجبل ، فينفرد منها طائر واحد فيضرب بمنقاره فى مكان مخصوص فى شعب[٣٨] الجبل ، عال لا يمكن الوصول إليه ، فإن علق

---

(٣٣) بربا : أى معبد .

(٣٤) دندرة : مدينة على الجانب الغربى للنيل قبالة قنا بالصعيد .

(٣٥) كوة : فتحة ضيقة .

(٣٦) جبل الطير : جبل مرتفع على شاطىء النيل تجاه « اطسا » من مديرية المنيا وبنى مزار .

(٣٧) بلق : ما فى لونها سواد وبياض .

(٣٨) شعب : طريق فى الجبل .

تفرق الطيور عنه ، وإن لم يعلق تقدم غيره وضرب بمنقاره ، فتفترق عنه الطيور حينئذ وتذهب إلى حيث جاءت ، فلا يزال معلقاً إلى أن يموت ، فيضمحل فى العام القابل فيسقط ، فتأتى الطيور على عادتها فى السنة القابلة فتعمل العمل المذكور ، وقد أخبر بهذا غير واحـــد من المصريين ممن شاهد ذلك وهو مشهور معروف إلى يومنا هذا .

« وعين شمس » وقد خربت ، وبقى منها عمودان من حجر صلد[٣٩] .

« وصنم من النحاس » كان على باب القصر الكبير عند الكنيسة المعلقة[٤٠] ؛ على خلقة الجمل ، وعليه رجل راكب عليه عمامة ، متنكب قوساً ، وفى رجليه نعلان ، كانت الروم والقبط وغيرهم إذا تظالموا بينهم واعتدى بعضهم على بعض جاءوا إليه ، فيقول المظلوم للظالم : انصفنى قبل أن يخرج هذا الراكب الجمل ، فيأخذ الحق لى منك ، يعنون بالراكب الجمل « محمداً صلى الله عليه وسلم » فلما قدم عمرو بن العاص ؛ غيب الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهداً عليهم .

« ومنارة » بناحية أبو يَط من بلاد البهنسا مُحكمة البناء ، إذا هزها الإنسان مالت يميناً وشمالا ، لا يرى ميلها ظاهراً ، وفىء ظلها فى الشمس .

والإسكندرية والمنارة التى بها والملعب الذى كان يجتمعون فيه ، فلا يرى أحد منهم شيئاً سوى صاحبه ، وكل منهم يلقى وجه الآخر ، إن

---

(٣٩) يقصد المؤلف مسلتى عين شمس وهما من عهد الملك سنوسرت الأول من ملوك الأسرة الثانية عشرة الفرعونية وقد سرقت احداهما ولا تزال الثانية قائمة بعين شمس الى الآن .

(٤٠) الكنيسة المعلقة : لا تزال موجودة بدير مارى جرجس بمصر القديمة .

عمل أحدهم شيئاً أو تكلم أو قرأ كتاباً أو لعب لوناً من الألوان سمعه الباقون ونظر القريب والبعيد فيه ، وقد بقيت منه بقايا عمد قد تكسرت، غير عمود منها يسمى عمود السوارى فى غاية الغلظ والطول من حجر الصوان الأحمر. والمسلتان وهما من صوان .

«الأهرام»

إن من عجائب مصر ما بجانبها الغربى من البنيان المعروف بالأهرام ، وعددها ثمانية عشر هرماً ، منها ثلاثة بالجيزة مقابل الفسطاط .

[ومن الثلاثة هرمان] كل منهما مربع القاعدة ، مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع[٤١] وسبعة عشر ذراعاً ، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع ، كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع فى مثلها، ويقال أنه كان عليه حجر شبه المكبه ، فرمته الرياح العواصف ، وهو مع هذا العظم من إحكام الصنعه ، وإتقان الهندسة ، وحسن التقدير ، بحيث أنه لم يتأثر الآن بعصف الرياح ، وهطل السحاب ، وزعزعة الزلازل .

وهذا البناء ليس بين حجارته ملاط ، إلا ما يتخيل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين ، أو ورقة ، ولا يتخلل بينهما الشعرة ، وطول الحجر منها خمسة أذرع فى سمك ذراعين ، والقبط تزعم أنهما والهرم الصغير الملون قبور .

ولما دخل الخليفة المأمون[٤٢] مصر ورأى الأهرام ، أحب أن يعلم

---

(٤١) الذراع : يساوى ٥٨ سم تقريبا .

(٤٢) هو ابن هارون الرشيد ، من خلفاء الدولة العباسية وقد حكم من ١٩٨ هـ الى ٢١٨ هـ .

ما فيها ، فأراد فتحها ففتحت له الثلمة[٤٣] المفتوحة الآن . وأنفق مالا عظيما حتى انفتحت ، فوجد عرض الحائط عشرين ذراعا ، فلما انتهوا إلى آخر الحائط وجدوا خلف الثقب مطمره[٤٤] من زبرجد أخضر ، فيها ألف دينار ، وزن كل دينار أوقية من أواقينا ، فتعجبوا من ذلك . فقال المأمون « ارفعوا إلى حساب ما أنفقتم على فتحها » فلما رفعوه إذا هو قدر يوازى ما وجدوه لا يزيد ولا ينقص ، ووجدوا داخله بئرا مربعة ، فى تربيعها أربعة أبواب ، يفضى كل باب منها إلى بيت فيه أموات بأكفانهم . ووجدوا فى رأس الهرم تابوتا فيه حوض من الصخر ، وفيه صنم كالآدمى وفى وسطه إنسان عليه درع من ذهب رصع بالجواهر ، وعلى صدره سيف لاقيمة له ، وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة عليه كتابة لا يعلم أحد فى الدنيا ماهى .

وقد أقام الناس بعد ذلك سنين يدخلونه وينزلون من الزلاقة التى فيه فمنهم من يسلم ومنهم من يموت .

ولقد أمر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى أيامه بأن يؤخذ منها حجارة تبنى بها قنطرة وجسرا فهدموا منها شيئا كثيرا .

وأما أبو الهول فهو صنم بقرب الهرم الكبير بالجيزة فى وهدة منخفضة ، وعنقه أشبه شىء براس راهب حبشى ، على وجهه صباغ أحمر لم يحل على طول الزمان . وقد قيل إن يوسف عليه السلام سجن شمالى الأهرام على بعد منه .

---

(٤٣) الثلمة : الفتحة وهو المدخل الموجود الآن بالناحية الشمالية للهرم .

(٤٤) مطمرة ، اسم مكان للطمر : وهو الدفن والخبء .

وبدهشور من أعمال الجيزة أهرام . وعند مدينة فرعون [٤٥] اهرام أخرى أحدها يعرف بهرم ميدوم كأنه جبل ؛ وهو خمس طبقات ، والطبقة العليا كأنها قلعة على جبل [٤٦] .

وقد أكثر الناس القول فى سبب بناء الأهرام فقيل هياكل الكواكب وقيل قبور ومستودع مال وكتب . ولما كان القدامى يقولون بالرجعة [٤٧] كان أحدهم إذا مات دفن معه ماله كله ، وإن كان صانعا دفنت معه آلته .

« [بعض] ما قيل فى الهرمين اللذين بالجيزة »

« من الأشعار والنثر »

قال المتنبي : —

أينَ الذى الهَرَمانِ مِنْ بُنيانه ما قَومُهُ ما يومُهُ ما المصْرَعُ

تتخلّفُ الآثارُ عن أصْحَابِها حِيناً ، ويُدرِكُهَا الفناء فتتْبَعُ

وقال أبو الفضل أمية بن عبد العزيز : —

بِعيْشك هَل أبصرْت أحسنَ مَنظراً

على ما رَأت عَينَاكَ من هَرَمَيْ مصر

أنافا [٤٨] بِأعنانِ [٤٩] السماءِ وأشرَفا

على الجوّ إشْرَافَ السِّماك [٥٠] أوْ النسر [٥١]

---

(٤٥) مدينة فرعون : مكان بالقرب من الفيوم .
(٤٦) هذه هى صفة هرم سنفرو بميدوم فى الطريق الى الفيوم .
(٤٧) الرجعة : البعث .
(٤٨) زاد فى الارتفاع .
(٤٩) بنواحى .
(٥٠) و (٥١) أسماء لمجموعتين من النجوم .

ومن رسالة لضياء الدين بن الأثير فى وصف مصر :

ولقد شاهدت منها بلداً يشهد بفضله على البلاد ، ووجدته هو المصر وما عداه فهو السَّواد[٥٢] ، فما رآه راءٍ إلا ملأ عينه وصدره ، ولا وصفه وصف إلا علم أنه لم يقدر قدره ، وبه من عجائب الآثار مالا يضبطها العيان ، فضلا عن الأخبار . من ذلك الهرمان اللذان هَرِم الدَّهْرُ وهُمَا لا يَهْرَمان ، قد اختصّ كل منهما بعظم البناء وسعة الفناء ، وبلغ من الارتفاع غاية الطير على بعد تحليقه ، ولا يدركها الطّرف[٥٣] على مدى تحديقه ، فإذا أضرم[٥٤] برأسه قبس[٥٥] ، ظنه المتأمّل نجماً ، وإذا استدار عليه قوس السماء كان له سهماً .

« بناء الاسكندرية »

بنى ذو القرنين الإسكندرية بناء يشبه بعضه بعضا ، وكانت ثلاث مدن بعضها إلى جنب بعض وهى : موضع المنارة وما والاها ، وموضع قصبة الإسكندرية اليوم ، ولقيطة[٥٦] . وكان على كل واحدة منهنّ سور وسور من خلف ذلك على ثلاث المدن يحيط بهن جميعا ، وكانت تسمى قبل الإسكندر راقوده ، وبذلك تعرفها القبط فى كتبهم القديمة .

---

(٥٢) القرى .

(٥٣) الطرف : العين .

(٥٤) أضرم : أشعل .

(٥٥) قبس : نار .

(٥٦) لقيطة : موضع كان بالقرب من الاسكندرية .

ومن عجائب الإسكندرية ,, عمود السوارى ،، وهو بظاهرها [٥٧] وهو عمود مرتفع فى الهواء تحته قاعدة وفوقه قاعدة ، يقال أنه لا نظير له فى العمد فى علوه ولا فى استدارته ، ودور قاعدته ثمانية وثمانون شبرا .

منارة الاسكندرية [٥٨] [وبعض] من عجائبها

من عجائب المبانى منارة الإسكندرية ، وهى مبنية بحجارة مهندمة مضببة بالرصاص ، على قناطر من زجاج ، والقناطر على ظهر سرطان [٥٩] من نحاس ، وفيها نحو ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض ، وللبيوت طاقات تنظر إلى البحر ، وكان فى أعلاها تماثيل من نحاس ومرآة من الأحجار المشففة ، يشاهد فيها مراكب البحر إذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها ، ولم تزل كذلك حتى ملكها المسلمون .

وقال المسعودى المؤرخ « إن طول المنارة فى وقتنا هذا وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، مائتان وثلاثون ذراعا ، وبناؤها فى عصرنا ثلاثة أشكال ، فقريب من الثلث مربع مبنى بالحجارة ، ثم بعد ذلك بناء مثمن الشكل انبنى منه بالآجر والجص نحو ستين ذراعا ، وأعلاها مدور الشكل » ولقد تداعى وجهها البحرى والرصيف الذى بين يديها من جهة البحر ، وكادا ينهدمان فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس [٦٠] فرممه

---

(٥٧) ظاهرها : خارجها .

(٥٨) منارة الاسكندرية : بدأ انشاءها بطليموس الاول من قواد الاسكندر المقدونى ولكنها تمت فى عهد خلفه بطليموس الثانى عام ٢٨٠ـ ٢٧٩ ق . م .

(٥٩) برج .

(٦٠) سلطان مصر من ٦٥٩ هـ الى ٦٧١ هـ .

وأصلحه . إلا أن المنارة بأكملها خربت وبقيت أثراً بعد عين فى أيام قلاوون (٦١) أو ولده ، ومن جملة عجائب الإسكندرية ، الملعب الذى كانوا يجتمعون إليه فى يوم من السنة ، ويرمون بالأكرة [الكرة] فلا تقع فى حجر أحدمنهم إلا ملك مصر ، وكان يحضر هذا الملعب ماشاء الله من الناس مايزيد على [مليون] رجل ، فلايكون أحد منهم إلا وهو ينظر فى وجه صاحبه ثم إن قرىء كتاب سمعوه جميعا ، أو لعب لون من ألوان اللعب رأوه عن آخرهم .

ومن جملة عجائبها المسلتان، وعمود السوارى،وعمودا الأعياد : وهماعمودان ملتقيان وراء كل عمود منهما جبل حصى كحصى الجمار (٦٢) . والقبة الخضراء وهى أعجب قبة ؛ ملبسة نحاسا كأنه الذهب الإبريز ، لايبليه القدم ولايخلقه الدهر (٦٣) .

« دخول عمرو بن العاص مصر فى الجاهلية »

قدم عمرو بن العاص بيت المقدس للتجارة فى نفر من قريش ، وبينما هو يرعى إبله ؛ إذ مر به شماس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية ، فاستسقى عمرا فسقاه حتى روى . ونام الشماس مكانه ، وكان إلى جانبه حفرة خرجت منها حية عظيمة ، فبصربها عمرو ونزع لها بسهم فقتلها

---

(٦١) سلطان مصر من ٦٧٩ هـ الى ٦٨٩ هـ .

(٦٢) هى الحصى الذى يجمع فى الحج للرجم ، (والرجم) منسك من مناسك الحج .

(٦٣) يتحدث المؤلف عن أيامه ولا وجود الآن لبعض العجائب .

فلما استيقظ الشماس ورآها أخبره عمرو خبرها . فأقبل الشماس إلى عمرو فقبل رأسه ، وقال له : « قد أحيانى الله بك مرتين ، مرة من شدة العطش، ومرة من هذه الحية ، وأنا أريد الرجوع إلى بلادى ، فهل لك أن تتبعنى ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين ، لأن الله تعالى قد أحيانى بك مرتين » فقال عمرو : « كم يكون مكثى فى ذلك ؟ » قال . « شهرا ، تنطلق معى ذاهبا عشرا ، وتقيم عندنا عشرا ، وترجع فى عشر ، ولك على أن أحفظك ذاهبا ، وأن أبعث معك من يحفظك راجعا » فانطلق عمرو إلى أصحابه فأخبرهم بذلك وقال لهم ، « أقيموا حتى أرجع إليكم ، ولكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك » وبعثوا معه رجلا منهم .

وانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية ، [وأعجب بما رأى فيهما] من جودة البناء والعمارة وكثرة أهلها والأموال والخير . ووافق دخوله الإسكندرية عيدا فيها عظيما . وأكرمه الشماس الإكرام كله ، ومشى فى أهل الإسكندرية وأعلمهم أن عمراً أحياه مرتين ، وأنه قد ضمن له ألفى دينار ، وسألهم ان يجمعوا ذلك له فيما بينهم ، ففعلوا ودفعوها له. وانطلق عمرو وصاحبه راجعين إلى أصحابهما ، فدفع إليهم عمرو فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه الفاً ، بذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ، ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثرها مالا .

كتاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى المقوقس

لما كانت سنة ست من الهجرة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية [٦٤] بعث « حاطب بن أبى بلتعة » بكتاب إلى المقوقس . فلما انتهى إلى الاسكندرية وجد المقوقس فى مجلس يشرف على البحر ، فركب البحر حتى إذا حاذى مجلسه أشار بكتاب رسول الله بين أصبعيه ، فأمر المقوقس به فأوصل إليه ، ولما قرأ الكتاب قال « مامنعه إن كان نبيا أن يدعوَ على فيُسلَّط علىّ » ، فرد حاطب « مامنع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبىَ عليه » فوَجم [٦٥] ساعة ثم استعادها ، فأعادَها حاطب عليه ، فسكت فقال له حاطب « إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه ، فاعْتَبِر بغيرك ولا يُعْتَبَرَ بك وإن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام الكافى به الله فقدَ ما سواه ، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، ومادعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به » .

ثم قرأ الكتاب فإذا به : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الاسلام [فأسْلِمْ تَسْلَمْ ، يُؤْتكَ

---

(٦٤) الحديبية : موضع بئر بالقرب من مكة على طريق جدة .

(٦٥) وجم : سكت وعجز عن التكلم من شدة الغيظ أو الخوف وعبس وجهه وأطرق لشدة الحزن .

اللهُ أجرك مرتين ، [يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] فلما قرأه أخذه وجعله فى حُقّ من عاج ، وختم عليه ، ثم دعا كاتبا يكتب بالعربية فكتب ,, لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت وماتدعو إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين ، لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام » .

ويذكر المغيرة بن شعبة [٦٦] فى قصة إسلامه أنه لما خرج مع بنى مالك إلى المقوقس قال له : « كيف خلصتم إلىّ من طائفتكم ، ومحمد وأصحابه بينى وبينكم » : « قالوا لصقنا بالبحر ، وقد خلفناه على ذلك قال: « فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه » قالوا : « لم يتبعه منا رجل واحد ، قال : « ولِمَ ذاك » قالوا : « جاءنا بدين مجدد ، لاتدين به الآباء ولا يدين به الملك ، ونحن على ما كان عليه آباؤنا » قال : « فكيف صنع قومه » قال . تبعه أحداثهم [٦٧] وقد لاقاه من خالفه من قومه وغيرهم من العرب فى مواطن ؛ مرة تكون عليهم الدائرة . ومرة تكون له » قال : « ألا تخبروننى إلى ماذا يدعو ؟ » . فأجابوا « يدعو إلى أن نعبد الله وحده لاشريك له ، ونخلع ما كان يعبد

---

(٦٦) من العرب الذين اشتهروا بالدهاء وقد كان واليا للكوفة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان .

(٦٧) صغارهم والمقصود الضعفاء .

الآباء، ويدعو إلى الصلاة والزكاة»، قال «ألهما وقت يُعرَف وعدد ينتهى إليه ؟» قالوا : «يصلون فى اليوم والليلة خمس صلوات ، ويؤدون من كل ما بلغ عشرين ، مثقالا[٦٨] ، وكل إبل بلغت خمساً ، شاة » ثم أخبره بصدقة الأموال ، فقال المقوقس « أفرأيتم إن أخذها أين يضعها ؟ » (فرد المغيرة مجيبا) « يردها على فقرائهم ، ويأمر بصلة الرحم ، ووفاء العهد ، وتحريم الزنا والربا والخمر ، ولا يأكل ماذبح بغير اسم الله » قال المقوقس ،، هو نبى مرسل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القبط والروم ، تبعوه ، وقد أمرهم بذلك عيسى بن مريم . وهذا الذى تصفونه منه بعثت به الأنبياء من قبل ، وستكون له العاقبة حتى لاينازعه أحد . ويظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر[٦٩] ومنقطع البحور » ، قلنا : «لو دخل الناس كلهم معه مادخلنا » فأنفض المقوقس رأسه وقال . انتم فى اللعب ! «ثم قال « كيف نسبه فى قومه» قلنا:« هو أوسطهم[٧٠] نسباً » فقال :« كذلك الأنبياء تبعث فى نسب قومها » قال : « فكيف صدق حديثه ؟ »قلنا «يسمى الأمين من صدقه » قال « انظروا فى أموركم . أترَوْنه يصدق فيما بينكم وبينه ويكذب على الله » قال « فمن تبعه؟ »قلنا الأحداث » قال «هم أتباع الأنبياء قبله» قال« فما فعلت يهود يثرب فهم أهل التوراة » قلنا « خالفوه فأوقع بهم فقتلهم وسباهم وتفرقوا فى كل وجه » قال :« هم قوم حسد حسدوه . أما إنهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف». قال المغيرة ، «فقمنا من عنده وقد سمعنا كلاما ذللنا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأخضعنا وقلنا : ملوك العجم يصدقونه

---

(٦٨) مقدار من الموزاين .

(٦٩) يقصد أن دينه سينتشر فى العالم ويرتفع ذكره .

(٧٠) أى أنه من خيرهم نسبا حسبا .

ويخافونه فى بعد أرجائهم منه . ونحن أقرباؤه وجيرانه لم ندخل معه وقد جاءنا داعيا إلى منازلنا ! » .

قال المغيرة « فأقمت بالإسكندرية ، لا أدع كنيسة إلا دخلتها ، وسألت أساقفتها من قبطها ورومها ، عما يجدونه من صفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يوجد أسقف من القبط لم أر احداً أشد اجتهاداً منه ، فقلت له « أخبرنى ، هل بقى أحد من الأنبياء ؟ » قال « نعم ، هو آخر الأنبياء ، ليس بينه وبين عيسى نبى ، قد أمر عيسى باتباعه وهو النبى الأمى العربى ، اسمه أحمد ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وفى عينيه حمرة ، وليس بالأبيض ولا بالأدم(٧١) ، يعفى(٧٢) شعره ، ويلبس ما غلظ من الثياب ، ويجتزى(٧٣) بما لقى من الطعام ، سيفه على عاتقه ، ولا يبالى من لاقى ، يباشر القتال بنفسه ومعه أصحابه ، يفدونه بأنفسهم ، هم أشد حباً له من آبائهم وأولادهم ، مِنْ حَرَمٍ يأتى وإلى حرم يهاجر — إلى أرض سباخ ونخل ، يدين بدين إبراهيم » . قلت زدنى فى صفته ، قال « يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، ويُخصّ بما لم يخص به الأنبياء قبله ، كان النبى يبعث إلى قومه وبُعث إلى الناس كافة ، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً ، أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى ، وكان مَنْ قَبْله مشدَّداً عليهم لا يُصلّون إلا فى الكنائس والبيع » قال المغيرة « فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره ، فرجعت وأسلمت » .

---

(٧١) أسمر اللون .
(٧٢) يتركه يطول .
(٧٣) يكتفى ويقنع .

« فتوح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه »

لما كانت سنة ثمانى عشرة من الهجرة وقدم عمر بن الخطاب إلى الجابية [٧٤] قام إليه عمرو بن العاص ، يطلب الإذن بالسير إلى مصر وحرضه عليها ، فتخوف عمر على المسلمين وكره ذلك ، فلم يزل عمرو يعظم أمرها ، ويهون عليه فتحها حتى ركن [٧٥] إلى ذلك عمر ، فقال : « سِرْ وأنا مستخير الله فى مسيرك ، وسيأتى كتابى إليك سريعاً إن شاء اللهَ تعالى ، فإن أدركك كتابى وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك ، واستعن بالله واستنصره » فسار عمرو من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس ، واستخار عمر الله تعالى ، فكتب إلى عمرو أن ينصرف بمن معه من المسلمين ، فأدرك الكتاب عمْرا وهو برفح ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ، ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش ، فسأل عنها فقيل إنها من مصر ، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين وقال « ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ » قالوا ، « بلى » فقال « فإن أمير المؤمنين عهد إلى ، وأمرنى إن لحقنى كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع ، وإن لم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، أن أسير وأمضى على بركة الله » .

وكان أول موضع قوتل فيه عمرو « الفرما » قاتله الروم قتالا شديداً نحواً من شهر ثم فتح الله على يديه . وتقدم حتى أتى بلبيس ، فقاتلوه بها

---

(٧٤) بلد كانت من أعمال دمشق .

(٧٥) ركن : مال .

نحواً من شهر حتى فتح الله عليه ثم مضى حتى « أم دنين(٧٦) » فقاتلوه بها قتالا شديداً ، وأبطأ عليه الفتح فكتب إلى عمر يستمده، فمده بأربعه آلاف وسار عمرو ومن معه ، حتى نزل على الحصن الذى يقال له « بابليون » وقاتلهم قتالا شديداً ، فلما أبطأ عليه الفتح ، كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده فأمده بأربعة آلاف وعلى رأسهم « الزبير بن العوام » و « المقداد ابن الأسود » و «عبادة بن الصامت » و « مسلمة بن مخلّد » وكان الروم قد خندقوا حول حصنهم ، وجعلوا للخندق أبوابا ، وجعلوا سكك الحديد مُوَتدة [بأفنية] الأبواب ، فلما قدم المدد إلى عمرو أتى إلى القصر ووضع عليه المنجنيق . فلما أبطأ الفتح . قال الزبير «إنى أهب نفسى لله أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين » ، فوضع سلما إلى جانب الحصن ؛ ثم صعد وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا ؛ فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن ؛ يكبر ومعه السيف ؛ وتجامع الناس على السلم ؛ حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر ؛ فلما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه ؛ وكّبر من معه ؛ وأجابهم المسلمون من الخارج ؛ لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا ؛ فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه ، واقتحمه المسلمون ، فلما خاف المقوقس على نفسه هرب ومن معه . ثم سأل عمرو

---

(٧٦) أم دنين : كانت تسمى المقس وقد سماها الروم تندونيادس وحدود هذه القرية التى كانت تقع على النيل وقت فتح العرب لمصر هى المنطقة التى تحد اليوم : من الغرب ميدان باب الحديد فشارع رمسيس فشارع عماد الدين ، ومن الجنوب شارع قنطرة الدكة وشارع القبيلة ، ومن الشرق شارع الدرب الواسع وسكة (شق الثعبان) وحارة الحضرة . ومن الشمال شارع بين الحارات الى أن ينتهى الحد بميدان باب الحديد ويدخل فى هذه المنطقة القسم البحرى من شارع ابراهيم باشا وفيه جامع أولاد عنان .

ابن العاص الصلح ودعاه إليه ، وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر .

ووصل رسل المقوقس إلى عمرو فحبسهم عنده يومين وليلتين ، حتى خاف عليهم المقوقس ، وإنما أراد عمرو بذلك ان يرَوْا حال المسلمين ، ورد عمرو على المقوقس بقوله « ليس بينى وبينك إلا إحدى ثلاث خصال ، إما دخلتم فى الاسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا ، وإن أبيتم أعطيتم الجزية [٧٧] عن يد وأنتم صاغرون ، وإما جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » .

ولما عاد الرسل إلى المقوقس قال لهم « كيف رأيتموهم ؟ » قالوا « رأينا قوما الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نَهمَة [٧٨] ، إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم » .

فقال المقوقس عند ذلك : « لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل ، لم يجيبونا بعد اليوم إذا قوُوا على الخروج من موضعهم » .

فرد إليهم المقوقس رسله وقال « ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى [٧٩] نحن وهم ، إلى ماعسى أن يكون فيه صلاح لنا ولكم » .

---

(٧٧) الجزية : مبلغ معين من المال يدفعه كل رجل حر عاقل صحيح البدن قادر على الدفع من غير المسلمين من أهل الكتاب وتسقط عنهم بالاسلام ، وكانت تدفع فى وقت معين كل سنة .

(٧٨) نهمة : حاجة .

(٧٩) نتداعى : نجتمع .

فبعث عمرو عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت ، وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم ، وأن لا يجيبهم إلى شىء دعوه إليه إلا إحدى ثلاث الخصال » .

ولما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة فقال المقوقس له « نحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم ، على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ، ولأميركم مائة دينار ، ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضوها وتنصرفوا إلى بلادكم ، قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به » فقال عبادة « يا هذا ، لا تغرنّ نفسك ولا أصحابك ، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ، ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه ، وإن الله تعالى قال لنا فى كتابه [كَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِين] وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة ، وقد استودع كل واحد منا ربه ، أهله وولده ، فانظر الذى تريد ، فبيّنه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ولا نجيبك إليها إلا خصْلَة من ثلاث ، فاختر أيّها شئت ، ولا تطمع نفسك فى الباطل ، بذلك أمرنى الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل إلينا ، أما إن أجبتم إلى الإسلام وهو الدين الذى لا يقبل الله غيره ، فإن فعلتم كان لكم مالنا وعليكم ماعلينا وكنتم إخواننا فى دين الله فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ، وإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شىء نرضى به نحن وأنتم فى كل عام أبدا مابقينا وبقيتم ، نقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم فى شىء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم إن كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد

علينا وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا ، او نصيب ما نريد منكم » فقال له المقوقس « أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث ؟ » فرفع عبادة يديه وقال . « لا ورب السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء ، مالكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم . »

فالتفت المقوقس إلى أصحابه فقال : « قد فرغ القول فما ترون فقالوا « أويرضى أحد بهذا الذل ؟ » فقال المقوقس لعبادة « قد أبى القوم » فقام عبادة وأصحابه . فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك : « أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة من الثلاث . فوالله مالكم بهم طاقة . وإن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبُنهم إلى ماهو أعظم منها كارهين » .

فألح المسلمون عند ذلك بالقتال حتى ظفروا بهم ؛ وأمكن الله منهم ؛ فقتل من الروم والقبط خلق كثير ، وأسِر من أسر . فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص يقول « إنى لم أزل حريصا على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التى أرسلت إلى ؛ فأعطى أمانا ؛ اجتمع أنا وأنت فى نفر من أصحابى ونفر من أصحابك » . فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على :

* أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها(٨٠) من القبط ؛ دينارين عن كل نفس ، شريفهم ووضيعهم ، ومن بلغ الحلم منهم » ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء .

* أن للمسلمين على القبط النزل(٨١) لجماعتهم حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين او أكثر من ذلك كانت لهم ضيافه ثلاثة ايام .

---

(٨٠) أسفل الارض : يقصد الوجه البحرى ، أعلى الارض : يقصد الوجه القبلى .

(٨١) النزل : الحلول - وما هيىء للضيف والمقصود هنا الضيافة .

* للقبط أرضهم وأموالهم لا يعرض لهم فى شيء منها ، وشرط هذا كله على القبط خاصة ، وللمقوقس الخيار فى الروم حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل . فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم وإلا كانوا جميعاً على ما كانوا عليه .

وكتب المقوقس إلى الملك يعلمه بالأمر كله ، فرد عليه يقبّح رأيه ويعجزه ، ويرد عليه ما فعل .

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو فقال « إن الملك قد كره مافعلت وعجزنى ، وكتب إلى وإلى جماعة الروم ألا نرضى بمصالحتك ، وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه ، وعاقدتك عليه ، وأنا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم به . وأما الروم فأنا منهم برىء ، وأنا أطلب منك ان تعطينى ثلاث خصال :

أما الأولى — فلا تنقض بالقبط وأدخلنى معهم . وألزمنى مالزمهم ، وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاهدتك .

وأما الثانية — فإن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم ، فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا[٨٢] وعبيداً فإنهم أهل لذلك .

وأما الثالثة — فأطلب إليك إن أنا مت أن تأمرهم أن يدفنونى فى الإسكندرية .

فأنعم له عمرو وأجابه إلى ما طلب .

---

(٨٢) الفىء : هو كل مال حصل عليه المسلمون من أعدائهم الغير مسلمين بدون قتال .

واستعدت الروم وجاشت[٨٣] ، وقدم عليهم من أرض الروم جمع عظيم ، ثم التقوا بالمسلمين ببلدة سلطيس[٨٤] . فاقتتلوا بها قتالا شديداً ، ثم هزمهم الله ، ثم التقوا بالكريون[٨٥] فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما ، وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة ، وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ، ثم فتح الله يومئذ على المسلمين وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة ، واتبعوهم حتى الإسكندرية ، فتحصن بها الروم وكانت عليها حصون مبنية لا ترام[٨٦] .

مات هرقل[٨٧] فى سنة عشرين من الهجرة ، فكسر الله بموته شوكة الروم ، وانتشرت العرب عند ذلك وألحّت بالقتال على أهل الإسكندرية ، فقاتلوهم قتالا شديداً ، وحاصروا الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل ، وخمسة قبل ذلك ، وفتحت فى المحرم سنة عشرين هجرية ، وكتب عمرو إلى عمر : « أنّ الله قد فتح علينا الإسكندرية عنوة » ؛ وأحصى أهلها ، وفرض عليهم الخراج[٨٨] ، فكانت مصر صلحاً كلها بفريضة دينارين على كل رجل ، إلا الإسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية لأنها فتحت عنوة ، بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة .

---

(٨٣) جاشت : غلت والمقصود هنا شدة التحمس للقتال .

(٨٤) سلطيس : بلدة على بعد ستة أميال تقريبا من دمنهور .

(٨٥) الكريون : كان آخر معقل للرومان قرب الاسكندرية .

(٨٦) رام : طلب والمقصود هنا أنه لا يمكن الوصول اليها واقتحامها .

(٨٧) هرقل : هو ملك الروم آنئذ .

(٨٨) الخراج : مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الارض التى فتحت عنوة اذا عدل الخليفة عن تقسيمها على المحاربين وتركت لأهلها الأصليين .

الخلاف بين العلماء فى مصر : هل فتحت صلحا أو عنوة

لما رأى المقوقس أن العرب قد ظفروا بالحصن ، جلس فى سفنه هو وأهل القوة ، وكانت ملصقة بباب الحصن الغربى فلحقوا بالجزيرة (٨٩) ، وقطعوا الجسر وتحصنوا هناك والنيل حينئذ فى مَدِّه (٩٠) ثم طلب الصلح فبعث إليه عمرو بعبادة بن الصامت ،فصالحه المقوقس على القبط والروم ؛ على أن للروم الخيار فى الصلح إلى أن يوافى كتاب ملكهم ، فإن رضى تم ذلك، وإن سخط انتقض مابينه وبين الروم،وأما الروم فبغير خيار . فمن قال إن مصر فتحت صلحا تعلق بهذا الصلح ، وعلى ذلك أكثر العلماء من أهل مصر ، منهم عقبة بن عامر ، ويزيد بن أبى حبيب ، والليث بن سعد وغيرهم .

وذهب الذين قالوا إنهافتحت عنوة إلى أن الحصن فتح عنوة فكان حكم جميع الأرض كذلك ، وممن قال أنها فتحت عنوة ؛ عبيد الله بن المغيرة السبائى ، وعبد الله بن وهب ، ومالك بن أنس وغيرهم .

وذهب بعضهم إلى أن بعضها فتح عنوة وبعضها فتح صلحا ، منهم بن شهاب ،وابن لهيعة .

مدينة الفسطاط

لما أراد عمرو بن العاص التوجه إلى الإسكندرية سنة عشرين من الهجرة ، أمر بنزع فسطاطه ،فإذا يمام قدفرخ فقال : « لقد تحرم بنا » فأمر به فأقره كما هو وأوصى به .

---

(٨٩) الجزيرة : هى ما نعرف بجزيرة الروضة الآن .

(٩٠) مده : فيضانه .

ولما فتح الإسكندرية ورأى بيوتها همَّ أن يسكنها . فكتب إلى عمر ابن الخطاب يستأذنه فى ذلك [فرد عليه عمر] « إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف » . فتحول عمرو من الأسكندرية إلى مصر . وقفل المسلمون راجعين وقالوا : « أين ننزل ؟ » فقال عمرو « الفسطاط » لفسطاطه الذى خلفه ، فبذلك سميت الفسطاط .

وانضمت القبائل بعضها إلى بعض ، وتنافسوا فى المواضع ، فولى عمر على الخطط معاوية بن خديج التجيبى . وشريك بن سمىّ القطيفى ، وعمرو ابن مخزوم الخولانى ، وابن ناشرة المغافرى ، فكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل ، وذلك فى سنة إحدى وعشرين هـ .

وترك المسلمون حين اختطوا [٩١] بينهم وبين البحر والحصن فضاء لدوابهم ، فلم يزل الأمر كذلك حتى ولى معاوية بن أبى سفيان ، فأقطع فى الفضاء وبنيت به الدور .

وأما الإسكندرية فلم يكن بها خطط ، وإنما كانت أخايذ - من أخذ منزلا نزل فيه هو وبنو أبيه .

اختطاط الجيزة

لما اختطت القبائل ، استحبت نافع وهمذان وذو صبح وطائفة من الحجر « الجيزة » [فلما سألهم عمرو] أن ينضموا إلى الفسطاط قالوا « مقدم قدمناه فى سبيل الله ، ما كنا لندخل منه إلى غيره » ، وكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما صنع الله تعالى للمسلمين ، وما فتح عليهم وما صنعوا فى خططهم . فرد عليه عمر يحمد الله على ما كان ، ويقول له « كيف رضيت أن

---

(٩١) اختطوا : أى أقاموا المساكن .

تفرق أصحابك ، وأن يكون بينك وبينهم بحر ، لاتدرى ما يَفجؤهم فلعلك لاتقدر على غياثهم حين ينزل بهم ماتكره ، فاجمعهم إليك . فإن أَبَوا عليك وأعجبهم موضعهم ؛ فابن عليه من فىء[٩٢] المسلمين حصنا » ، فعرض عمرو عليهم ذلك فأبوا ؛ فبنى لهم الحصن ، وفرغ من بنائه سنة اثنتين وعشرين [هجرية] .

وبرزت القبائل إلى أرض الحرث والزرع ؛ وكان بين القبائل فضاء ، فلما قدمت الإمداد بعد ذلك وكثر الناس ، وسَّع كل قوم لبنى أبيهم حتى كثر البنيان والتأم[٩٣] خط الجيزة .

المقطم

قد قبر فيه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ عمرو بن العاص وعبدالله بن حذافة السهمى ، وعبد الله بن الحرث ، وأبو بصرة العقارى ، وعقبة بن عامر الجهنى .

[فصل] وقد أفتى العلماء بهدم كل بناء بسفح المقطم ، وقالوا إنه وقف من عمر بن الخطاب على موتى المسلمين ، وبعدم التضييق ببناء قبر ولا غيره .

ولقد حدثت العمارة من قبة الشافعى رضى الله عنه إلى باب القرافة أيام الناصر بن قلاوون ، وكانت فضاء ، فأحدث الأمير يلبغا التركمانى تربة فتبعه الناس » .

---

(٩٢) الفىء : هو الغنيمة وقد سبق تعريفها .

(٩٣) التأم : اتصل .

جبل يشكر

هو الذى عليه جامع أحمد بن طولون ، وكان « يَشكر » رجلا صالحاً ، وقيل إن الجبل المذكور يستجاب فيه الدعاء ، وكان يصلىّ عليه التابعون والصالحون .

فتوح الفيوم

لما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو الفرسان إلى القرى التى حول مصر ، فأقامت الفيوم سنة لم يعلم المسلمون بها ولا مكانها ، حتى أتاهم آت فذكرها لهم ، فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش الصدفى ، فلما سلكوا فى المجابة (٩٤) ، لم يروا شيئاً ، فهموا بالانصراف فقال: « لا تعجلوا سيروا » فلم يسيروا إلا قليلا حتى طلع سواد الفيوم ، فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال ، وألقوا ما بأيديهم .

فتح برقة والنوبة

بعث عمرو بن العاص ، نافع بن عبدالقيس الفهرى ، فدخلت خيلهم أرض النوبة [بعد قتال شديد] .

ثم سار عمرو حتى بلغ برقة ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار ، يؤدونها إليه جِزية ، ولم يدخل برقة جابى خراج ، إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها .

---

(٩٤) المجابة : الأرض الخلاء ، أو الطريق الذى يقطعه السائر .

ثم وجه عمرو ، عقبة بن نافع فتقدم حتى بلغ زويلة[٩٥] ، فصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين .

الجزية[٩٦]

كان عمرو بن العاص يبعث إلى عمر بن الخطاب بالجزية بعد حبس مايحتاج إليه. ولما استوثق له الأمر بمصر أقر قبطها على جباية الروم[٩٧]، وكانت جبايتهم بالتعديل ؛ إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم . وإن قل أهلها وخربت نقصوا .

ولقد جبى عمرو الجزية [اثنى عشر مليوناً من الدنانير] وجباها المقوقس من قبل [عشرين مليوناً] ، فعند ذلك كتب إليه عمر بن الخطاب [يسأله سبب النقص] .

ولقد استبطأ عمر الخراج فكتب إليه : ابعث إلى رجلا من أهل مصر فبعث إليه رجلا قديما من القبط، فاستخبره عمر عن مصر وخراجها قبل الإسلام فقال: ياأمير المؤمنين ، كان لا يؤخذ منها شيء إلى بعد عمارتها ، وعاملك لا ينظر إلى العمارة ، وإنما يأخذ ماظهر له كأنه لا يريدها إلا لعام واحد . فعرف عمر ماقال وقبل ما كان يعتذر به عمرو .

وحين استعمل عثمان بن عفان ، عبدالله بن سعد ، جبى [أربعة عشر مليونا من الدنانير] ولقد كانت فريضة مصر لحفر خليجها ؛ وإقامة جسورها ، وبناء قناطرها . وقَطع جزائرها . مائة ألف وعشرين دينارا .

---

(٩٥) زويلة : بلدة كانت على حدود ما يعرف بطرابلس الآن من ناحية الصحراء وبرقة .

(٩٦) سبق التعريف بها تحت رقم ٧٧ .

وكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو « انظر مَنْ قِبلك ممن بايع تحت الشجرة ، فأتم لهم العطاء مائتين ، وأتمها لنفسك لإمرتك ، وأتمها لخارجة ابن حذافة لشجاعته ، ولعثمان بن أبى العاص لضيافته .

[وحينما تولى معاوية بن أبى سفيان] جعل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلا . يصبح كل يوم فيدور « هل ولد الليلة فيكم مولود ، وهل نزل بكم نازل ؟ »فيقال ولد لفلان غلام ،ولفلان جارية ، فيقول سموهم فيكتب . ويقال نزل بنا رجل من أهل اليمن بعياله ، فيسمونه وعياله ، فإذا فرغ من القبائل كلها أتى الديوان .

ولما وُلى ابن رفاعة مصر ؛ خرج ليحصى عدة أهلها ، وينظر فى تعديل الخراج عليهم ، فقام ومعه جماعة من الكتاب والأعوان يكفونه ذلك بجد وتشمير ، فقضى فى ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ أسوان . وثلاثة أشهر بأسفل الأرض ، فأحصوا القرى ، فلم يحص فى أصغر قرية منها أقل من خمسمائة من الذكور الذين يفرض عليهم الجزية .

« القطائع »

كان «لزنباع الجذامى » غلام يقال له «سندر»، فوجده يقبل جارية له فجدع[97] أذنيه وأنفه ، فأتى سندر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى زنباع فقال [له] «لاتحملوهم مالا يطيقون ، وأطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ،فإن رضيتم فامسكوا ،وإن كرهتموهم فبيعوا ، ولاتعذبوا خلق الله، وَمنْ مثّل به أو أحرق بالنار فهو حر ، وهو مولى الله ورسوله »، فأعتق سندر، فقال، « أوصِ بى يارسول الله ».

(٩٧) جدع : قطع .

قال. « أوصى بك كل مسلم » ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى سندر إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، قال ، « احفظ فى وصية النبى صلى الله عليه وسلم » ، فعاله أبو بكر رضى الله عنه حتى توفى ، ثم أتى إلى عمر ، فقال « احفظ فى وصية النبي صلى الله عليه وسلم » ، فقال « نعم ، إن رضيت أن تقيم عندى أجريت عليك ما كان يجرى عليك أبو بكر وإلا فانظر أى المواضع أكتب لك » ، فقال سندر ، « مصر ، فإنها أرض ريف » ، فكتب إلى عمرو بن العاص ، « احفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه » ، فلما قدم على عمرو ، أقطع له أرضا واسعة ودارا ، فجعل سندر يعيش فيها ، فلما مات سندر قبضت فى مال الله تعالى ، ثم أقطعها عبد العزيز بن مروان ، « الأصبغ » بعده [فسميت] منية الأصبغ (٩٨) ، وليس بمصر قطيعة أقدم منها ، [إذ لم] يقطع عمر بن الخطاب أحدا من الناس شيئا من أرض مصر إلا لابن سندر .

المكس (٩٩) على أهل الذمة

دعا عمرو بن العاص ، خالد بن ثابت الفهمى ليجعله على المكس فاستعفاه ، فقال عمرو « ما تكره منه » ، فقال « إن كعباً (١٠٠) قال :

---

(٩٨) منية الأصبغ : موضعها الآن أراضى كنيسة بطرس والدمرداش ودير الملاك وما والاها بشارع مصر والسودان تقريبا .

(٩٩) المكس : جباية الأموال ، وهو أيضا ضريبة كانت تؤخذ على التجارة فى الأسواق فى الجاهلية .

(١٠٠) هو كعب الاحبار ، صحابى كان من كبار علماء اليهود وأسلم .

لا تقرب المكس فإن صاحبه فى النار » . فكان على المكس ربيعة بن شرحبيل بن حسنة .

مرتبع[١٠١] الجند

كان عمرو يقول للناس إذا قفلوا[١٠٢] من غزوهم « إنه قد حضر الربيع ، فمن أحب منكم أن يخرج بفرسه يرتعه فليفعل ، ولا أعلمنّ ما جاء رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه » .

وخطب الناس فى صلاة الجمعة ، وذلك آخر الشتاء فقال « يا معشر الناس إنه قد نزلت الجوزاء[١٠٣] ، وأقلعت السماء[١٠٤] ، وارتفع الوباء ، وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودرت السخائل[١٠٥] وعلى الراعى حسن النظر لرعيته، فأرتعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها ، فإنها جنتكم[١٠٦] من عدوكم ، وبها مغانمكم[١٠٧] وأثقالكم واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً » .

---

(١٠١) مرتبع الجند : المكان الذى يجتمع فيه الجند فى الربيع أى المعسكر .

(١٠٢) قفل : رجع .

(١٠٣) الجوزاء : اسم لنجم والمقصود أنه قد انتهى الشتاء وبدأ الربيع .

(١٠٤) أقلعت السماء : توقف نزول المطر .

(١٠٥) درت السخائل : نزل اللبن من الشياة .

(١٠٦) جنتكم : وقاية لكم .

(١٠٧) أثقالكم : أمتعتكم .

نهى الجند عن الزرع

أمر عمر بن الخطاب مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد معلناً ، أن عطاءهم قائم ، وأن رزق عيالهم سائل ، فلا يزرعون .

انتقاض عهد الاسكندرية وسببه

انتقضت الإسكندرية فى خلافة عثمان بن عفان ، وجاء الروم فى المراكب ، يقودهم(١٠٨) مانويل حتى رسا بالإسكندرية ، فأجابهم من بها من الروم ، ولم يتحرك المقوقس أو ينكث .

وكان عمرو قد عزل عن مصر ، وولى مكانه « عبد الله بن سعد بن أبى سرح » ، فلما نزلت الروم بالإسكندرية ، سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمراً حتى يفرغ من قتال الروم ، لأن له معرفة بالحرب وهيبة فى قلب العدو ، فأجابهم .

وكان على الاسكندرية سورها فحلف عمرو ، لئن أظفره الله عليهم ليهدمنه ، ثم خرج على الروم فى البر والبحر ، وضم إلى المقوقس من أطاعه من القبط ، وأما الروم فلم يطعه منهم أحد ، فقال خارجة بن حذافة لعمرو « ناهضهم(١٠٩) القتال قبل أن يكثر عددهم ، ولا آمن أن تنقض مصر كلها » فقال عمرو « لا ، ولكن دعهم حتى يسيروا إلى ، فإنهم يصيبون من مروا به ، فيخزى الله بعضهم ببعض » . وخرج الروم من

---

(١٠٨) مانويل : قائد أصله من الارمن .

(١٠٩) أى أسرع اليهم .

الإسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى . فجعلوا ينزلون القرى فيأكلون أطعمتها وينهبون مامروا به ، ولم يتعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس (١١٠)،فالتقوا بعمرو ورجاله فى البحر ،وبدأ الروم والقبط فرموا بالنشاب فى الماء رميا ، حتى أصاب النشاب يومئذ فرس عمرو وهو فى البر فعقر ، ثم خرجوا من البحر فنضحوا (١١١) المسلمين بالنشاب (١١٢) وحملوا عليهم فولوا .

وانهزم شريك بن سمى فى خيله ، ثم نظم الروم أنفسهم صفوفا ، وبرز بطريق على فرس له ، فدعى إلى المبارزة ، فبرز إليه رجل يسمى « حَوملا » ويكنى أبا مذحِج ، فاقتتلا طويلا برمحين ، ثم تجاولا ساعة بسيفين ، ثم حمل البطريق عليه ، فاخترط (١١٣) حومل خنجرا كان معه ، فضرب البطريق فى نحره (١١٤) فقتله .

ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمة الروم . وطلبوهم (١١٥) حتى ألحقوهم بالإسكندرية . ففتح الله عليهم وقتل مانويل . ثم إن عمرا قتلهم حتى أمعن فى مدينتهم . فكلم فى ذلك . فأمر برفع السيف عنهم . وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجدا . وهو المسجد الذى يقال له « مسجد الرحمة » .

ثم هدم سور المدينة كله . ورد ما كان لأهل القرى [الذين سلبهم

---

(١١٠) نقيوس : بلدة على ضفة النيل شمالى طرنوط فى مديرية البحيرة بجهة النخيلة مركز كوم حماده .

(١١١) و (١١٢) نضحوا بالنشاب : رموا بالنبل .

(١١٣) اخترط : استل ، أخرج .

(١١٤) النحر : أعلا الصدر .

(١١٥) أى طاردوهم .

الروم] من متاع عرفوه . وأقاموا عليه البينة [وكان ذلك الفتح] سنة خمس وعشرين من الهجرة ولقد أراد عثمان أن يكون عمرو أمير الحرب . وعبد الله ابن سعد على الخراج . فأبىَ عمرو .

وفى سنة خمس وثلاثين [٣٤ - ٣٥ هـ] خرج قسطنطين بن هرقل [١١٦] فى حوالى ألف مركب يريد الاسكندرية . فبعث الله عليهم ريحا فأغرقتهم ؛ [وانتصر المسلمون] [١١٧] .

مرابطة الاسكندرية

لما فتح الله الإسكندرية على المسلمين . قطع عمرو من أصحابه ربع الناس خاصة لرباطها ؛ الربع يقيمون ستة أشهر . والربع فى السواحل ؛ والنصف يقيمون معه .

وكان عمر بن الخطاب يبعث كل سنة غازية [١١٨] من المدينة ترابط بالإسكندرية ؛ فكانت الولاة لاتغفلها ولا تأمن الروم عليها .

وكتب عثمان بن عفان إلى عبد الله بن سعد أن يلزم الإسكندرية مرابطتها . [وفى عهد معاوية كان بها] سبعة وعشرون ألفا .

[بعض] من دخل مصر من الصحابة

أُبىّ بن عمارة : صحابى سكن مصر . أحد من صلى للقبلتين . [١١٩] روى حديثا واحدا « فى المسح على الخفين » .

---

(١١٦) ملك الروم .
(١١٧) تعرف هذه الموقعة بذات السوارى وذلك لكثرة السفن التى اشتركت فى القتال .
(١١٨) أى محاربون .
(١١٩) القبلتان : هما القبلة الأولى للمسلمين وكانت ناحية بيت المقدس ، والقبلة الثانية هى الكعبة .

إياس بن البكير : بن عبد ياليل بن ثابت الليثى ، بدرى ،[١٢] شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديث واحد وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : من مات يوم الجمعة ، كتب الله له أجر شهيد . ووقى فتنة القبر ،، مات سنة أربع وثلاثين هجرية .

أيمن بن خريم : بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدى . أسلم يوم الفتح وهو غلام يفقه وكان يسمى خليل الخلفاء لإعجابهم به وبحديثه ، وبفصاحته وعلمه ،وكان به وضح[١٢١] يغيره بزعفران[١٢٢] ولقد كان عبدالعزيز بن مروان يؤاكله ويحتمل مابه من الوضح وذلك لإعجابه به . وكنى أبا عطية الشاعر ، ومن شعره فى قتل عثمان :

إنَّ الذين تَوَلَّوْا قتلهُ سَفَهاً لَقُوا آثاماً وَخُسْراناً ومارَبِحُوا

أبو زمعة البلوى : ، اسمه عبد وقيل عبيد بن أرقم ، بايع تحت الشجرة ونزل مصر ، وغزا إفريقيه مع معاوية بن حديج ، شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث فى الذى قتل تسعة وتسعين نفسا وسأل هل لى من توبة . ولم يَرو عن النبى صلى الله عليه وسلم غيره . مات بإفريقية .

بُسر بن أبى أرطاة : عمير بن عويمر القرشى العامرى . كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشهد فتح مصر واختط[١٢٣] بها

(١٢٠) أى شهد غزوة بدر واشترك فيها .

(١٢١) وضح : برص .

(١٢٢) فى أصل كتاب حسن المحاضرة : كان به وضح يعيره ابن عفران « وبالتحقيق وجد أن العبارة » كان به وضح يغيره بزعفران » .

(١٢٣) أنشأ بها لنفسه دارا .

وكان من شيعة معاوية وشهد صفين معه وولاه البحرين [١٢٤] ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم سوى حديثين أحدهما حديث « لاتقطعوا الأيدى فى الغزو » . مات فى خلافة الوليد سنة ست وثمانين .

بشر بن ربيعة : الخثعمى ، مصرى له صحبه [١٢٥] روى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لتفتحن القسطنطينية ، ولنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش جيشها » .

تميم بن أوس بن حارثة الدارى ، ويكنى أبا رقية ، من مشاهير الصحابة ، أسلم سنة تسع من الهجرة ، وكان نصرانيا من علماء أهل الكتاب غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أول من أسرج السراج بالمسجد ، وأول من قص ، وذلك فى خلافة عمر ، شهد فتح مصر ، وسكن فلسطين بعد مقتل عثمان بن عفان ، ومات سنة أربعين [هجرية] .

ثابت بن رويفع بن ثابت بن السكن الأنصارى ، من أهل مصر ، وكان يؤمر على السرايا . سمع من النبى صلى الله عليه وسلم ، « إياكم والغلول [١٢٦] فى المصريين » .

ثوبان بن بجدر مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصابه سبى فاشتراه النبى وأعتقه ، ولم يزل معه فى السفر والحضر حتى توفى صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى الشام فنزل الرملة ، ثم انتقل إلى حمص فأقام بها ، شهد فتح مصر واختط بها ، ومات بحمص سنة أربع وخمسين .

---

(١٢٤) امارة بالخليج الفارسى .

(١٢٥) أى صحب النبى صلى الله عليه وسلم .

(١٢٦) الغلول : الخيانة .

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى ، ويكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد ، أحد المحدثين عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وغزا معه تسع عشرة غزوة ، وكان له حلقة علم فى المسجد النبوى ، قدم مصر يسأل عن حديث القصاص وذلك فى أيام مسلمة بن مخلد ، ولأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث، وكان آخر الصحابة موتا بالمدينة بعد أن عمى وعاش أربعا وتسعين سنة ومات سنة ثمان وسبعين [هجرية وقيل غير ذلك] .

دحية بن خليفة بن فروة بن فَضالة الكلبي ، من مشاهير الصحابة ، وأول مشاهده غزوة الخندق(١٢٧) ، كان يضرب به المثل فى حسن الصورة وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته ، وهو رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر (١٢٨) ،وله نحو ستة أحاديث ، وقد شهد فتح مصر ، ونزل دمشق، وسكن المزة (١٢٩) ، وعاش الى خلافة معاوية .

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدى ، وكنيته أبو عبد الله . هو حوارى (١٣٠) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن عمته ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد أعلام السادة البدريين ، أسلم وله اثنتا عشرة سنة ،وهاجر الهجرتين(١٣١) ، كان طويلا تخط رجلاه إذا ركب ، وكان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج فيتصدق به كله ، ولا

---

(١٢٧) كانت سنة خمس من الهجرة بين النبى صلى عليه وسلم ضد قريش وأعوانها من القبائل وتسمى أيضا غزوة الاحزاب .

(١٢٨) ملك الروم .

(١٢٩) ضاحية من ضواحى دمشق . وبها المطار الآن .

(١٣٠) أنصار .

(١٣١) هما الهجرة الاولى للمسلمين الى الحبشة والهجرة الثانية الى المدينة المنورة .

يدخل بيته منه شيئاً ، وقد شهد فتح مصر واختط بها ، قتل راجعاً من وقعة الجمل (١٣٢) سنة ست وثلاثين هجرية ، وعمره حوالى سبع وستين سنة .

سعد بن أبى وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى ، وكنيته أبو إسحق الزهرى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وصاحب الدعوة المجابة بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك . دخل مصر رسولا من قبل عثمان بن عفان ، مات ودفن بالبقيع (١٣٣) سنة ست وخمسين هجرية تقريباً .

صحار (١٣٤) بن صخر بن عباس وقيل ابن عياش العبدى ، شهد فتح مصر ، نزل البصرة ، وكان من الفصحاء ، سأله معاوية عن البلاغة فقال : « لا تخطىء ولا تبطىء » .

عبادة بن الصامت بن قيس بن أخرم الأنصارى الخزرجى ، وكنيته أبو الوليد ، شهد العقبتين (١٣٥) ، وكان أحد النقباء (١٣٦) ، شهد بدراً وسائر المشاهد (١٣٧) ، وكان من سادات الصحابة ، مات بفلسطين سنة أربع وثلاثين ، وله اثنتان وسبعون سنة .

عبد الله بن الزبير بن العوام ، وكنيته أبو بكر وأبو حبيب ، وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، هاجرت [وهى حامل به] فولدته بعد الهجرة

---

(١٣٢) وقعة الجمل : غزوة كانت بين على بن أبى طالب والسيدة عائشة وأنصارها وذلك فى بدء خلافة على رضى الله عنه .
(١٣٣) مكان بالمدينة مدفون به كثير من الصحابة .
(١٣٤) صحة الاسم « صحار » وليس صخار كما ذكر بالاصل .
(١٣٥) هما البيعتان اللتان بايع فيهما أهل المدينة سرا حينما بدأ النبى صلى الله عليه وسلم دعوته بمكه .
(١٣٦) النقباء : نواب عن رسول الله يعلمون الناس الدين .
(١٣٧) أى الغزوات .

بعشرين يوماً ، وهو أول مولود فى الاسلام بالمدينة ، كان فصيحاً ذا لسانة وشجاعة ، قدم مصر فى خلافة عثمان بن عفان وشهد فتح إفريقية [١٣٨] ، وبويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة أربع وستين ، وغلب على الحجاز واليمن والعراق ومصر وأكثر الشام ، فأقام فى الخلافة تسع سنين إلى أن قتله الحجاج [١٣٩] سنة ثلاث وسبعين .

عبدالله بن سعد بن أبى سرح ، واسمه حسام وعريف بن الحارث القرشى العامرى ، وكنيته أبو يحيى ، أسلم قديماً ، وكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، ثم افتتن وخرج من المدينة إلى مكة مرتداً ، فأهدر [١٤٠] رسول الله دمه يوم الفتح [١٤١] ، فجاء عثمان بن عفان إلى النبى فأستأمن له فأمنه ، وكان أخا عثمان من الرضاعة ، وسأل منه المبايعة فبايعه رسول الله يومئذ على الإسلام وقال « الإسلام يجب [١٤٢] ما قبله » وولاه عثمان مصر بعد عمرو بن العاص ، فنزلها وابتنى بها داراً ، فلم يزل والياً بها حتى قتِل عثمان ، مات بعسقلان [١٤٣] سنة ست وثلاثين هجرية .

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، وكنيته أبو العباس ، هو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يسمى البحر لسعة علمه ، دخل مصر فى

---

(١٣٨) شمال افريقية .

(١٣٩) الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق فى خلافة عبد الملك بن مروان الاموى .

(١٤٠) أباح قتله مع عدم دفع دية لأهله عنه .

(١٤١) فتح مكة وكان سنة ثمان من الهجرة .

(١٤٢) يقطع ، يزيل .

(١٤٣) مدينة من مدن فلسطين .

خلافة عثمان بن عفان ، وشهد فتح المغرب ، مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط القرشى الفهرى ، أمير المغرب ، ولد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تصح له صحبة ، ولا يعرف له حديث ، وشهد فتح مصر ، وولى إمرة المغرب واستشهد بها ، اختط القيروان (١٤٤) ، ولم يزل بها إلى سنة اثنتين وستين [هجرية] ، فغزا قوما من البربر فقتل شهيداً .

عمرو بن العاص بن وائل السهمى ، وكنيته أبو عبد الله أو أبو محمد ، أمير مصر وصاحب فتحها ، مات بمصر سنة ثلاث وأربعين [هجرية] وهو ابن تسعين سنة ودفن بالمقطم .

فضالة بن عبيد الله . الأنصارى ، الأوسى ، شهد [غزوة] أحد وصلح الحديبية ، ولى قضاء دمشق لمعاوية ، وشهد فتح مصر ولأهلها عنه نحو عشرين حديثا ، مات سنة ثلاث وخمسين .

قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ، وكنيته أبو عبد الله ، كان من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، ولى إمرة مصر فى خلافة على بن أبى طالب وكان سيدا كريما ، ممدوحا شجاعا مطاعا ، قالت له عجوز . « أشكو إليك قلة الجرذان ، فقال ، ما أحسن هذه الكناية ، املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا » وكانت له صحفة (١٤٥) يدور بها حيث

---

(١٤٤) القيروان : مدينة أنشأها عقبة بن نافع سنة خمسين من الهجرة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وهى باقليم تونس الآن .

(١٤٥) اناء يشبه القصعة .

دار ، وينادى مناد : « هلموا إلى اللحم والثريد » مات بالمدينة سنة تسع وخمسين .

محمد بن أبى بكر الصديق ، ولد فى حجة الوداع فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولى إمرة مصر من قبل على بن أبى طالب ، وقتل بها سنة ثمان وثلاثين [هجرية] .

محمد بن أبى حذيفة بن عتبة ، ولد بالحبشة ، وأقام بمصر مدة ، وكان أحد المستنفرين على عثمان رضى الله تعالى عنه . ولما بلغه حصر عثمان ؛ تغلب على مصر ، وأخرج عنها عبد الله بن أبى سرح ، وصلى بالناس ثم قتل سنة ست وثلاثين وقيل بعدها .

مروان بن الحكم بن ابى العاص الأموى ، وكنيته أبو عبد الملك ، ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم . خرج مع أبيه إلى الطائف(١٤٦) فأقام بها ، وكان كاتبا لعثمان وبويع له بالخلافة بعد موت معاوية الثانى بن يزيد ، ثم دخل مصر ، أقام خليفة تسعة أشهر ، ومات بدمشق سنة خمس وستين [هجرية] .

مسلمة بن مخلد ، وكنيته أبو معمر ، ولد عام الهجرة ، شهد فتح مصر واختط بها ، وولى إمرتها زمن معاوية بن أبى سفيان . مات بمصر سنة اثنتين وستين [من الهجرة] .

---

(١٤٦) من مدن الحجاز وتمتاز بلطف جوها وفاكهتها وذلك لارتفاعها .

معاوية بن أبى سفيان الأموى ، أمير المؤمنين ، دخل مصر وبلغ إلى . سلمنت . من كورة عين شمس ، ورجع من ثم ، ولهم عنه حديثان، مات بدمشق سنة [ستين](١٤٧) وله اثنتان وثمانون سنة .

مغيرة بن شعبة بن أبى عامر ، وكنيتة أبو عيسى . أحد مشاهير الصحابة . وأحد الزهاد وأحد الأمراء . دخل مصر فى الجاهلية واجتمع بالمقوقس وذاكره بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فأسلم عام الخندق . وأول مشاهده الحديبية، وكان يقال له . «مغيرة الرأى» . وكان يقول «ماغلبنى أحد» وقيل لو أن مدينة بها ثمانية أبواب لايخرج منها إلا بمكر ؛ لخرج المغيرة من أبوبها كلها . وقد أصيبت إحدى عينيه فى وقعة اليرموك(١٤٨)، مات سنة خمسين هجرية عن سبعين سنة .

مهاجر مولى أم المؤمنين أم سلمة . يكنى أبا حذيفة . دخل مصر وسكن الصعيد وكان يقول «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين . لم يقل لشيء صنعته لم صنعته . ولم يقل لشيء تركته . لم تركته »

باب الكنى

أبو أيوب الأنصارى . خالد بن زيد بن كليب . حضر بيعة العقبة وبدرا والمشاهد كلها ، وشهد فتح مصر مات بالقسطنطينية غازيا مع يزيد ابن معاوية ، سنة اثنتين وخمسين [هجرية] وقبره هناك .

---

(١٤٧) وجد بالتحقيق أن موت معاوية كان سنة ستين هجرية وليس خمسين كما جاء بالأصل .

(١٤٨) اليرموك : احدى مدن الشام حدثت عندها موقعة بين المسلمين والروم تم فيها النصر للمسلمين . وقد بدأت الموقعة فى خلافة أبى بكر وانتهت فى خلافة عمر .

أبو الدرداء عويمر بن عامر بن مالك الأنصارى الخزرجى ، أسلم يوم بدر وشهد غزوة أحد . وأبلى يومئذ بلاء حسنا . شهد فتح مصر ، قيل له مالك لاتشعر ، فإنه ليس رجل له بيت فى الأنصار إلا وقد قال شعرا فقال «وأنا قلت فاسمعوا .

يُريدُ المرءُ أنْ يُعطى مُناهُ ويأبىَ اللهُ إلاَّ ما أرادا
يقولُ المرءُ فائدتى وأهلى وتقوى اللهِ أفضلُ ما استفادا

مات سنة اثنتين وثلاثين [هجرية]

باب النساء

مارية بنت شمعون القبطية ، أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهداها له المقوقس ، فاستولدها ابنه ابراهيم ، ماتت سنة خمس عشرة وصلى عليها عمر بن الخطاب ، ودفنت بالبقيع بالمدينة .

سيرين أخت مارية . أهداها المقوقس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها حسان بن ثابت (١٤٩) فولدت له عبد الرحمن .

« [بعض] من كان بمصر من مشاهير التابعين الذين رووا الحديث »

أبو قيس مولى عمرو بن العاص ، ثقة عند ابن حبان (١٥٠) ، مات سنة أربع وخمسين هجرية .

---

(١٤٩) شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه .

(١٥٠) هو الامام أبو حاتم محمد بن حبان ، الحافظ ، صاحب التصانيف الكثيرة التى منها كتاب « الثقات » ، وله كتاب فى الحديث النبوى يسمى صحيح ابن حبان .

عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى ، أمير مصر ، ثقة عند النسائى [١٥١] وغيره ، مات حوالى سنة خمس وثمانين [من الهجرة] .

مسلم بن يسار المصرى ، مات بإفريقية . زمن هشام بن عبد الملك الأموى .

زياد بن ربيعة بن نعيم الحضرمى المصرى ، ثقة عند ابن حبان والعجلى [١٥٢] ، مات سنة خمس وتسعين [هجرية] .

الحلاج أبو كثير : الأموى المصرى ، مولى عبد العزيز ين مروان ، كان عمر بن عبد العزيز قد جعل إليه القصص [١٥٣] بالإسكندرية ، مات سنة عشرين ومائة .

سليم بن جبير المصرى ، وكنيته أبو يونس ، ثقة عند النسائى ، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة [من الهجرة] .

زاهر بن سعيد بن عبد الله بن هشام التيمى ، مات بالإسكندرية سنة خمس وثلاين ومائة عن سن عالية .

عبد الكريم بن الحرث الحضرمى المصرى ، كان من العباد المجتهدين مات ببرقة ، سنة ست وثلاثين ومائة [هجرية] .

---

(١٥١) النسائى : من أصحاب كتب الاحاديث النبوية المعتمدة ،

(١٥٢) هو أبو منصور العجلى ، سعد بن على بن الحسن ، نزيل بغداد ، كان ثقة مفتيا ، كثير العلم حسن المحاضرة ، توفى سنة ٤٩٤ هـ .

قيس بن رافع الأشجعى المصرى ، وكنيته أبو رافع ، ذكره ابن حبان فى الثقات .

[بعض] من طبقة أخرى أصغر من التى قبلها

عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمى ، أمير مصر ، كان ثبتا فى الحديث مات سنة سبع وعشرين ومائة [هجرية] .

جعفر بن ربيعة الكندى ، وكنيته أبو شرحبيل المصرى ، كان شيخا من أصحاب الحديث ، ثقة ، مات سنة ست وثلاثين ومائة .

حميد بن هانئ ، أبو هانئ الخولانى المصرى ، مات سنة اثنتين وأربعين ومائة .

العلاء بن كثير الإسكندرانى ، مولى قريش ، مصرى ثقة ، وكان مستجاب الدعوة ، مات بالإسكندرية سنة أربع وأربعين ومائة هجرية .

حفص بن الوليد بن سيف الحضرمى ، كنيته أبو بكر المصرى ، أمير مصر ، ثقة عند ابن حبان ، استشهد بمصر سنة ثمان وأربعين ومائه .

سعيد بن أبى هلال الليثى ، وكنيته أبو العلاء المصرى ، مات سنة تسع وأربعين ومائة .

سعيد بن يزيد الحميرى ، وكنيته أبو شجاع الإسكندرانى ، كان من العباد ثقة فى الحديث ، مات سنة اربع وخمسين ومائة .

[بعض] مشاهير أتباع التابعين الذين خرج لهم أصحاب الكتب الستة من أهل مصر

موسى بن على بن رباح اللخمى ، أمير مصر ، ثقة عند النسائى وغيره ، مات بالأسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة هجرية .

خالد بن حميد أبو حميد المهرى المصرى الإسكندرانى ، من الثقات ؛ مات بالإسكندرية سنة تسع وستين ومائة .

ضمام بن إسماعيل المصرى ، كان صدوقا متعبدا ، ومن مشاهير المحدثين مات بالإسكندرية سنة خمس وثمانين ومائة .

« [بعض] من طبقة تلى هذه »

ليث بن عاصم بن كليب ، وكنيته أبو زرارة المصرى . كان رجلا صالحا مات سنة إحدى عشرة ومائتين [من الهجرة]

زياد بن يونس ، أبو سلامة الحضرمى الإسكندرانى ، فى الثقات ، مستقيم الحديث ، توفى بمصر سنة اثنتى عشرة ومائتين [هجرية] .

عبد الله بن يحيى المغافرى البرلسى ، مات سنة اثنتى عشرة ومائتين هجرية

سعيد بن عيسى بن تليد الرعينى المصرى . مات سنة تسع عشر ومائتين [هجرية]

حسان بن عبد الله بن سهل الكندى ، وكنيته أبو على الواسطى ، ثقة صدوق حسن الحديث ، مات بمصر سنة اثنتين وعشرين ومائتين [هجرية]

موسى بن هارون بن بشير القيسى ، وكنيته أبو عمرو الكوفى ، المعروف بالبنى ، مات بالفيوم سنة أربع وعشرين ومائتين [من الهجرة]

عمرو بن سواد بن الأسود العامرى السرحي المصرى ، مات سنة خمس وأربعين ومائتين [هجرية]

« [بعض] من طبقة تلى هذه »

أحمد بن يحي بن الوزير التجيبي المصرى ، ثقة عند النسائى ، وكان فقيها عالما بالشعر والأدب والأخبار وأيام الناس (١٥٣) ، مات سنة خمس ومائتين [هجرية]

محمد بن عبد الله بن ميمون الإسكندرانى ، ثقة عند ابن يونس (١٥٤) ، مات بالإسكندرية سنة إثنتين وستين ومائتين [من الهجرة] .

« [بعض] من كان بمصر من الأئمة المجتهدين »

سليم بن عتر التجيبي المصرى ، قاضى مصر ، وقاصها (١٥٥) وناسكها ، من الطبقة الأولى من التابعين ، شهد خطبة عمر بالجابية ، وكان يسمى

---

(١٥٣) أى التاريخ .

(١٥٤) ارجع الى التعريف به فى باب من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده من هذا الكتاب .

(١٥٥) أى يروى قصص وأخبار الأولين .

الناسك لكثرة فضله ، وشدة عبادته ، وهو أول من قص بمصر سنة تسع وثلاثين ، وولاه معاوية القضاء بها سنة أربعين ، فأقام قاضياً عشرين سنة وهو أول من سجل سجلا فى المواريث ، مات بدمياط سنة خمس وسبعين [هجرية] .

أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى الحميرى ، كان مفتى اهل مصر فى زمنه ، وكان عبد العزيز بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا ، وقد تفقه على عقبة بن عامر ، مات سنة تسعين من الهجرة .

يزيد بن أبى حبيب واسمه سؤيد الأزدى ، وكنيته أبو رجاء المصرى ، فقيه مصر وشيخها ومفتيها ، كان ثقة كثير الحديث ، وهو أول من أظهر العلم بمصر ، والمسائل فى الحلال والحرام . وهو أحد ثلاثة جعل إليهم عمر ابن عبد العزيز الفتيا بمصر ، مات سنه ثمان وعشرين ومائة .

الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، وكنيته أبو الحارث المصرى ولد بقرة قشنده(١٥٦) سنة أربع وتسعين هجرية ، كان ثقة كثير الحديث صحيحه ، واشتغل بالفتيا فى زمانه وكان سريا(١٥٧) من الرجال ، نبيلا سخيا له ضيافة ، عربى اللسان يحسن قراءة القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة ، وكان نائب مصر وقاضيها ، إذا رابه من أحد شيء كاتب فيه فيعزله ، وقد أراد الخليفة المنصور العباسى أن يوليه إمرة مصر فامتنع ، مات حوالى سنة خمس وسبعين ومائة [هجرية] .

---

(١٥٦) هى المعروفة بقلقشندة : قرية من قرى الوجه البحرى .

(١٥٧) أى شريفا عالما .

الإمام الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف[١٥٨] ، ولد سنة خمسين ومائة [من الهجرة] ونشيء بمكة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطأ[١٥٩] وهو ابن عشر سنين ، وتفقه على مسلم بن خالد الزغبي مفتي مكة ، وأذن له في الإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ، ثم لازم مالكا بالمدينة ، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه ، وصنف بها كتابا ثم عاد إلى مكة ، ورجع إلى بغداد فأقام بها شهرا ثم خرج إلى مصر [في السنة المذكورة] ، ولم يزل بها ناشرا للعلم ، وصنف بها كتبه مثل « كتاب الأم » و « الأمالي الكبرى » و « الرسالة » وغيرها . وهو أول من صنف في أصول الفقه بالإجماع ، وأول من قرر ناسخ الحديث من منسوخه ؛ وأول من صنف في أبواب كثيرة من الفقه معروفة ، وكان يحيي الليل[١٦٠] إلى أن مات سنة أربع ومائتين .

عبد الله بن عبد الحكم بن عين بن ليث بن رافع المصري ، كان من أجلة أصحاب الإمام مالك ، أفضت إليه الرياسة للمذهب بمصر ، وله مصنفات في الفقه وغيره ، وكان ممن فرع على أصول مذهب مالك ، ولد سنة

---

(١٥٨) من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم .

(١٥٩) كتاب في الأحاديث النبوية للامام مالك .

(١٦٠) يتعبد بالليل . يتهجد .

خمس وخمسين ومائة ، ومات سنة خمس عشرة ومائتين ودفن إلى جانب الشافعي .

الإمام البويطي، أبو يعقوب يوسف بن يحي القرشي ؛ أحد أئمة الإسلام وأركانه وزهاده ، خليفة الشافعي ، قال الشافعي عنه : «ليس أحد أحق بمجلسي من أبي يعقوب ، وليس أحد من أصحابي أعلم منه »، وكان ابن أبي الليث الحنفي قاضي مصر يحسده ؛ فسعى به إلى الخليفة الواثق بالله العباسي (١٦١) أيام المحنة بخلق القرآن ، فأمر بحمله إلى بغداد مغلولا مقيداً وأريد منه القول بذلك ، فامتنع ، فحبس ببغداد إلى أن مات في القيد والسجن سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

الإمام المزني، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق ؛ كان إماما ورعا زاهداً مجاب الدعوة متقللا من الدنيا ؛ قال فيه الشافعي « لو ناظر الشيطان لغلبه » ؛ صنف كتبا كثيرة منها « المبسوط » و « المختصر » و « المنثور » و « المسائل المعتبرة » ، وكان صاحب مذهب مستقل ، وصنف كتاباً مفردا على مذهبه ، وكان يغسل الموتى تعبداً واحتساباً ويقول : « أفعله ليرق قلبي » ؛ ولد سنة خمس وسبعين ومائة ، ومات سنة أربع وستين ومائتين من الهجرة، ودفن قريباً من قبر الشافعي .

ابن المواز ؛ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الإسكندراني ، صاحب التصانيف ، انتهت إليه الرياسة في مذهب مالك ؛ وإليه كان المنتهى في تفريع المسائل ؛ وله اختيارات خارجية عن المذهب ، منها « وجوب

---

(١٦١) خليفة المسلمين من بني العباس وقد حكم من سنة ٢٢٧-٢٣٢هـ

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة » ، ومات سنة إحدى وثمانين ومائتين .

أبو إسحاق المروزى ، إبراهيم بن أحمد ، أحد أئمة الدين ، كان إماما جليلا غواصاً على المعانى الدقيقة ، بحرا خضما ورعا زاهدا ، انتهت إليه رياسة العلم ببغداد ، وانتشر الفقه عن أصحابه فى البلاد ، وانتقل فى آخر عمره إلى مصر ، وجلس فى مجلس الشافعى فاجتمع الناس عليه ، وضربوا له أكباد الأبل (١٦٢)، وسار فى الآفاق من مجلسه سبعون إماما من أصحاب الحديث ، توفى بمصر سنة أربعين وثلاثمائة ، ودفن عند الشافعى .

الحسن بن الخطير ، أبو على النعمان الفارسى ، كان فقيها عالما بالتفسير والحساب والهيئة (١٦٣) والطب ، مبرزا فى النحو واللغة والعروض والأدب والتاريخ ، وكان يقول « قد انتحلت مذهب أبى حنيفة وانتصرت له فيما وافق اجتهادى » ، ألف تفسيرا للقرآن ، وشرح « الجمع بين الصحيحين (١٦٤) » للحميدى وغير ذلك ، وأقام بالقاهرة مدة يدرس إلى أن مات سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

عز الدين بن عبد السلام بن أبى القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمى وكنيته أبو محمد ، شيخ الإسلام ، ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، تفقه وأخذ الأصول (١٦٥) وسمع الحديث ، فبرع فى الفقه والأصول العربية ،

---

(١٦٢) هذه كناية عن أن الناس قصدوه من كل جهة .

(١٦٣) علم الفلك .

(١٦٤) صحيح البخارى ومسلم فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١٦٥) يريد علم أصول الفقه وهو علم يبحث فى طريقة أخذ مسائل الفقه من مصادرها .

وقد انتهت إليه معرفة المذهب الشافعى مع الزهد والورع ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، قدم مصر فأقام بها أكثر من عشرين سنة ، ناشرا للعلم ، آمرا بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، يغلظ على الملوك فمن دونهم ، ولما دخل مصر بالغ الشيخ زكى الدين المنذرى فى الأدب معه ، وامتنع عن الإفتاء لأجله ، لقد ألقى التفسير بمصر دروساً وألف كتباً منها « الفتاوى الموصلية » و « مختصر النهاية » وغيرها . وله كرامات كثيرة ، وكان يحضر عند الشيخ أبى الحسن الشاذلى ويسمع كلامه فى التصوف ويعظمه، انتهت إليه رياسة مذهب الشافعى ، ثم اتسع نطاقه وأفتى بما أدى إليه اجتهاده .

حدث أن أفتى مرة بشىء ثم ظهر له أنه أخطأ ، فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه « من أفتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ » ، وكان مع شدته وصلابته حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار ، يحضر السماع ويرقص فيه ، وكان لطيفاً ظريفاً يستشهد بالأشعار ، توفى بمصر سنة ستين وستمائة [من الهجرة] .

ابن المنير ، ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامى الإسكندرانى ، أحد الأئمة المتبحرين فى العلوم من التفسير والفقه ، والأصول والعربية والبلاغة والأنساب ، ومن تصانيفه : « تفسير القرآن » و « الانتصاف من الكشاف » وغيرهما ، ولد سنة عشرين وستمائة ومات سنة ثلاث وثمانين وستمائة [هجرية] بالإسكندرية .

ابن دقيق العيد ، الشيخ تقى الدين أبو الفتح محمد بن مجد الدين على ابن وهب بن مطيع القشيرى القوصى ، الحافظ الزاهد ، الورع الناسك

المجتهد ، ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة ، الجامع بين العلم والدين ، والسالك سبيل السادة الأقدمين، ولد قريباً من ساحل ينبع(١٦٦) وأبواه متوجهان من قوص للحج سنة خمس وعشرين وستمائة [من الهجرة] .

نشأ بقوص وتفقه بها، ثم رحل إلى مصر والشام ، سمع الكثير ، وحقق العلوم ، ووصل إلى درجة الاجتهاد ، وانتهت إليه رياسة العلم فى زمانه ، وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعانى من السنة والكتاب، مقدماً فى علم الحديث ، وله مصنفات منها « الإلمام فى الحديث وشرحه » « وشرح العمدة والاقتراح فى مصطلح الحديث » وغيرها ، وله ديوان خطب وشعر حسن ، مات سنة اثنتين وسبعمائة [من الهجرة] ورثاه الشريف محمد بن محمد بن عيسى القوصى [بقصيدة منها] :

سيطُولُ بَعْدَكَ فى الطُّلول(١٦٧) وُقوفى
أرْوى الثَّرى من مَدْمعى المَذْرُوف
ما كنتُ فى الدُّنيا على الدنيَا إذا
ولَّت بِمحْزونٍ ولا مَأسُوف
يا طَالبى المعروفِ أينَ مسيرُكُم
ماتَ الفَتى المَعْروفُ بالمَعْروف

---

(١٦٦) ميناء بساحل الحجاز البحر على الاحمر وتعتبر ميناء المدينة المنورة .

(١٦٧) الأطلال والآثار .

ما عنفَ الجلساءَ قطُّ ونفسُه
لم يُخلِها يوماً من التَّعنيفِ
يا مرشدَ الفتيا إذا ما أشكلَتْ
طرُقُ الصَّواب ومُنجد الملهوفَ
مَنْ للضَّعيف يُعينه أنَّى أتى
مُستصرخاً يا غوثَ كلِّ ضعيف
من لليتامى والأرامل كافلٌ
يرجُونه فى شتوَةٍ ومَصيفِ
أفنيتَ عمركَ فى تقى وعِبادةٍ
وإفادةٍ للعلمِ أو تصنيف

ابن الرفعة ، نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن مرتفع الأنصارى ، واحد عصره ، ولد بالفسطاط سنة خمس وأربعين وستمائة ، ودرس بمصر وولى حسبتها(١٦٨) ، كان أعجوبة فى استحضار كلام الأصحاب لا سيما من غير مظانه ، وأعجوبة فى معرفة نصوص الشافعى ، وفى قوة التخريج(١٦٩) ، وصنف « الكفاية » و « المطلب»(١٧٠) ، وغيرهما ، مات بمصر سنة عشر وسبعمائة [من الهجرة] .

---

(١٦٨) الحسبة : مراقبة السوق والموازين والمكاييل والآداب العامة .
(١٦٩) أى نسبة النصوص الى أصحابها .
(١٧٠) المطلب : اسم لكتاب فى الفقه وهو شرح لكتاب « الوسيط فى الفروع » للامام الغزالى وقد سمى ابن الرفعة شرحه المذكور « المطلب فى شرح الوسيط » .

السبكى ، تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى بن تمام بن حماد ابن يحيي بن عثمان بن على بن سوار بن سليم الأنصارى ، شيخ الإسلام، ولد بسبك من أعمال المنوفية سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وتفقه وأخذ الحديث والتفسير والقراءات، والأصول والمعقول[١٧١] ، والنحو والتصوف، وانتهت إليه رياسة العلم بمصر ،له من المصنفات الكثير ،منها : « الدر النظيم فى تفسير القرآن العظيم » و « رفع الشقاق فى مسألة الطلاق » وغيرهما ، وله فتاوى كثيرة جمعها ولده فى ثلاث مجلدات ، توفى بجزيرة الفيل على شاطىء النيل ، سنة ست وخمسين وسبعمائة، ورثاه شاعر العصر جمال الدين بن نباته بقصيدة منها : —

نعاهُ لِلفضلِ والعَليا وللنَّسَبِ ... ناعيه للأرض والأفلاكِ والشُّهُبِ

نَعَمْ إلى الأرض يُنعى والسَّماء على ... فقيد كم يا سُراةُ المَجْدِ والحَسَبِ

بالعِلمِ والعَملِ المَبرُورقَدْ مُلِئت ... أرضٌ بكمْ وسَماءٌ عَنْ أبٍ فأب

قاضى القُضَاةِ عزَاءً عَنْ إمامٍ تَقىٍّ ... بالفَضلِ أوْصَى وَصَاةَ المَرْءِ بالعقِبِ

البلقينى ، سراج الدين أبو حفص عمر بن رَسلان بن نصير صالح الكنانى ، مجتهد عصره ، ولد سنة أربع وعشرين وسبعمائة [هجرية] ، وبرع فى الفقه والحديث والأصول ، وانتهت إليه رياسة المذهب الشافعى والإفتاء ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وله اختيارات خارجة عن المذهب، وأفتى بجواز إخراج النقود فى الزكاة ، وولى التدريس بالجامع الطولونى وغيره

---

(١٧١) أى العلوم العقلية وهى الأدب والشعر والتاريخ والجغرافيا والفقه والطب والرياضيات وعلم النجوم والكيمياء .

وله تصانيف فى الفقه والحديث والتفسير منها « حواشى الروضة[١٧٢] » ، و « شرح البخارى » مات سنة خمس وثمانمائة ، ورثاه الحافظ بن حجر بقصيدة منها : —

يا عَين جُودِى لفَقدِ البَحْرِ بِالمَطَر
أذرى[١٧٣] الدُّمُوع ولاتبقى ولا تذرى[١٧٤]

فرَحمةُ الله والرِّضوان تشمَلهُ
سَلاَمة ما بكى باكٍ عَلى عُمَر

لقد أقامَ منارَ الدِّين مُتَّضِحًا
سِرَاجه فأضاء الكونَ لِلبشَر

حَيّاك رَبُّكَ بالحسْنى ورُؤيَتهُ
زِيادَةً فى رضَاءٍ عَنكَ فافتخِر

[الإمام السيوطى مؤلف الكتاب ، [اكتفينا بالمقدمة] .

---

(١٧٢) الروضة : اسم لكتاب فى فقه الشافعى يسمى « الروضة فى الفروع » أو « روضة الطالبين وعمدة المتقين » للامام محيى الدين النووى .

(١٧٣) انزلى .

(١٧٤) يذر : يترك .

[بعض] من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده

الأعرج ، عبد الرحمن بن داود المدنى ، صاحب أبى هريرة(١٧٥) ، أحد الحفاظ والقراء ، وكان أول من برز فى القرآن والسنن ، وقيل أنه أول من وضع [قواعد اللغة] العربية بالمدينة بعد أن أخذها عن أبى الأسود (١٧٦) ، وكان وافر العلم مع الثقة والأمانة ، وله خبرة بأنساب قريش ، خرج إلى الإسكندرية فأدركه أجله بها ، مات سنة سبع عشرة ومائة .

الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادى ، أبو محمد المصرى ، صاحب الإمام الشافعى وراوى كتبه ، والمؤذن بجامع الفسطاط ، وهو أول من أملى الحديث بجامع ابن طولون ، ووصله ابن طولون يومئذ بجائزة سَنية ، ولد سنة أربع ومائتين ومات سنة سبعين ومائتين .

النّسائى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن يحيى ، القاضى ، شيخ الإسلام ، ولد سنة خمس وعشرين ومائتين ، استوطن مصر وكان أفقه مشايخها فى عصره ، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال ، له من المصنفات « السنن الكبرى والصغرى » وهى أحد الكتب الستة(١٧٧) ، وله غيرها . وكان خروجه من مصر سنة اثنتين وثلاثمائة . ومات سنة ثلاث وثلاثمائة .

---

(١٧٥) من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١٧٦) أبو الأسود الدئلى النحوى المعروف .

(١٧٧) هى كتب الأحاديث النبوية التى أجمع علماء المسلمين على صحتها وهى : البخارى ، ومسلم ، وابن ماجه ، وأبى داوود ، والترمذى ، والنسائى .

الطحاوى ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن مسلمة الأزدى المصرى الحنفى ، الإمام العلامة ، كان ثقة ثبتا فقيها ، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، وله [من المؤلفات] « أحكام القرآن » و « التاريخ الكبير» وغيرها ، ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين ، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

ابن يونس ، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس عبد الأعلى الصدفى المصرى ، « صاحب تاريخ مصر » ، ولد سنة إحدى وثمانين ومائتين ، ولم يرحل ولا سمع [العلم] بغير مصر ، لكنه إمام متيقظ حافظ مكثر ، خبير بأيام الناس وتواريخهم، مات سنة سبع وأربعين وثلاثمائة [هجرية] .

ابن حنزابة ، أبو الفضل جعفر بن أبى الفتح الفضل بن الفرات البغدادى ، الوزير الكامل الحافظ ، وزر لصاحب مصر كافور الخادم [الإخشيدى] ،وكان من الحفاظ المتقنين ، يملى ويروى فى حال الوزارة وحترابة اسم جدته أم أبيه ، ولد سنة ثمان وثلاثمائة ، ومات سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة [من الهجرة] .

السِّلفى ، أبو طاهر عماد الدين أحمد بن أحمد الأصفهانى ، كان إماما متقنا حافظا ، ناقداً ثبتا دينا خيراً ، انتهى إليه علو الإسناد ، وكان أوحد زمانه فى علم الحديث وأعلمهم بقوانين الرواية (١٧٨) ، وكان مقيما بالإسكندرية ، توفى سنة ست وسبعين وخمسمائة بعد أن عاش مائة وست سنين .

---

(١٧٨) رواية الحديث .

المنذرى ، زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المصرى الشافعى ، الحافظ الكبير ، ولد بمصر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وتفقه وطلب هذا الشأن [١٧٩] فبرع فيه ، وكان عديم النظير فى معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه ، متبحرا فى معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله وغريبه ، إماما حجة بارعا فى الفقه والعربية والقراءات . ورعا ، ألف « الترغيب والترهيب[١٨٠] » وشرح «التنبيه»[١٨١] وغير ذلك ؛ مات سنة ست وخمسين وستمائة .

العراقى ؛ زين الدين ؛ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ، ولد بمصر سنة خمس وعشرين وسبعمائة ؛ وعنى بالفن[١٨٢] فبرع فيه ، وتقدم بحيث كان شيوخ عصره يبالغون فى الثناء عليه بالمعرفة ؛ وكان صالحا متواضعا ، ضيق المعيشة [١٨٣] ، وله مؤلفات بديعة « كالألفية[١٨٤]

---

(١٧٩) علم الحديث .

(١٨٠) كتاب فى الأحاديث النبوية يقع فى مجلدين ، مقتصرا على ما ورد فى الترغيب لثواب الله تعالى والترهيب من عذابه مما ورد صريحا فى كتب الحديث الستة الصحيحة .

(١٨١) كتاب فى الفقه يسمى « التنبيه فى فروع الشافعية » لأبى اسحق الشيرازى الشافعى .

وهو من الكتب المتداولة المشهورة بين أصحاب مذهب الشافعى .

(١٨٢) علم الحديث .

(١٨٣) أى فقيرا .

(١٨٤) وتسمى « ألفية العراقى فى أصول الحديث » وقد لخص فيها كتاب علوم الحديث لابن الصلاح وشرحها .

التى اشتهرت فى الآفاق وشرحها ، و نظم الاقتراح [١٨٥] ، وغير ذلك ، مات سنة ست وثمانمائة هجرية .

أبو زرعة ، ولى الدين ، أحمد بن الحافظ أبو الفضل العراقى ، الإمام العلامة ، ولد فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة ، وتخرج بوالده ، ولازم البلقينى فى الفقه ، وبرع فى الفنون ، وألف الكتب النافعة المشهورة ، « كشرح البهجة » ، و« شرح جمع الجوامع فى الأصلين » ، وغير ذلك ، وولى قضاء الديار المصرية ، مات سنة ست وعشرين وثمانمائة .

البوصيرى ، شهاب الدين ، أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل الكنانى ، ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وسمع الكثير وعنى بالفن ، وألف وخرّج ، مات سنة أربعين وثمانمائة .

ابن حجر ، شهاب الدين ، أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن على الكنانى العسقلانى المصرى ، إمام الحفاظ فى زمانه ، وقاضى القضاة ، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وعانى الأدب وعلم الشعر أولا ، فبلغ فيه الغاية ، ثم طلب الحديث فسمع الكثير وبرع فيه وتقدم فى جميع فنونه ، وانتهت إليه الرياسة فى الحديث ، وألف كتباً كثيرة « كشرح البخارى »

---

(١٨٥) أى اختصر كتاب « الاقتراح فى أصول الحديث » الذى ألفه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد فى علم الحديث .

« وتمريب التهذيب » وغيرها ، توفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، ورثاه الشهاب المنصورى [بقصيدة منها] : —

بكَتْ السُّحُبُ على قاضى القُضَاة بالمطَر
وانْهَدَمَ الرُّكنُ الذِى كانَ مَشِيداً مِنْ حجَر

وقال الشيخ شهاب الدين الحجازى يرثيه [بقصيدة منها] :

يَا موتُ إنّك قَدْ نزَلْتَ بِذِى النَّدى
ومُذْ استَضَفْتَ حَبَاكَ نفْساً حاضِرهْ

يَا نفْسُ صَبْراً فالتَّأسِّى لائِقٌ
بوفاةِ أعظمِ شافِعٍ فى الآخِرَهْ

المصْطَفَى زين النَّبِيِّين الذِى
حاز العُلا والمعجزاتِ الباهِرهْ

[بعض] من كان بمصر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والمنفردين بعلو الاسناد

الدينورى ، أبو بكر أحمد بن مروان المالكى ، غلب عليه الحديث ، وله كتاب فى فضائل مالك ، مات بمصر سنة ثلاث وتسعين ومائتين وعمره أربع وثمانون سنة .

أبو جعفر، أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المالكى . من أهل العلم والحفظ ، ولى قضاء مصر شهرين و نصف شهر ، مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

محمد بن أحمد بن شاكر القطان ، مؤلف [كتاب] « فضائل الشافعى » مات سنة سبع وأربعمائة [هجرية] .

أحمد بن محمد بن يحيى الأشبيلى ، المعدل ، مات بمصر سنة خمس عشرة وأربعمائة .

الأثير ، محمد بن محمد بن أبى الطاهر محمد بن بيان الأنمارى المصرى الكاتب ، مات سنة ست وتسعين وخمسمائة وعمره تسع وثمانون سنة

ابن الجباب ، أبو البركات بن عبد العزيز بن الحسين التميمى السعد الأغلبى المصرى المالكى ، القاضى الاسعد ، الاخبارى المعدل ؛ راوى السيرة عن ابن رفاعة ، كان ذا فضل ونبل وسؤدد ووقار وحلم ؛ مات سنة إحدى وعشرين وستمائة ، وله خمس وثمانون سنة .

عبد العزيز بن عبد الوهاب بن ابى طاهر إسماعيل بن مكى الزهرى العوفى الإسكندرانى المالكى ، سمع من جده [كتاب] الموطا ، وكان ذا زهد وورع ، مات سنة سبع واربعين وستمائة عن ثمانين سنة .

مظفر بن السرى ، أبو منصور بن عبد الملك بن عتيق الفهرى الإسكندرانى المالكى الشاهد ، مات سنة ثمان وأربعين وستمائة عن تسعين سنة .

الحسن بن على بن منتصر ، أبو على الفارسى الإسكندرانى ، مات سنة إحدى وستين وستمائة [من الهجرة] .

ابن سراقة ، محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الشاطبي ، ولد سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وله مؤلفات فى التصوف ، مات سنة اثنتين وستين وستمائة [هجرية]

أبو بكر بن الحافظ أبى الطاهر إسماعيل بن الأنماطى ، ولد سنة تسع وستمائة ، وسمع [الحديث] ، ومات بالقاهرة سنة أربع وثمانين وستمائة .

الصاحب، فتح الدين، عبدالله بن أحمد المخزومى بن القيسرانى ، من بيت الرياسة والوزارة ، ولى وزارة دمشق ، ثم أقام بمصر مدة ، وكان شاعراً أديبا محدثا، ألف فى رجال الصحيحين من الصحابة، ومات بالقاهرة سنة ثلاث وسبعمائة .

ست الأكياس ، موفقية بنت عبد الوهاب بنت عتيق بن وردان المصرية ، روت عن الحسن بن دينار والعلم الصابونى .ماتت سنة اثنتى عشرة وسبعمائة عن اثنتين وثمانين سنة .

فاطمة بنت عباس البغدادية ، الشيخة العالمة ، الفقيهة الزاهدة ، القانتة الواعظة ، سيدة نساء زمانها، أم زينب ، كانت وافرة العلم ، حريصة على النفع والتذكير ، ذات إخلاص وحشمة وأمر بالمعروف ، انصلح بها نساء دمشق ثم نساء مصر ، وكان لها قبول زائد ووقع فى النفوس ، ماتت بمصر سنة أربع عشرة وسبعمائة عن نيف وثمانين سنة .

وجيهة بنت على بن يحي الأنصارية البوصيرية ، روت الحديث ، ماتت بالإسكندرية سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة عن ثمانين سنة .

قطب الدين ،أبو بكر بن تقى الدين دقيق العيد ، ولى قضاء المحلة ودرّس، مات سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

ابن الشيخه ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزى، ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة ، ومات سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

[بعض من كان بمصر من الفقهاء الشافعية]

عبد الحميد بن الوليد بن المغيرة النحوى ، كان فقيها عالما بالأخبار أعجوبة فيها ، مات فى سنة إحدى وعشرين ومائتين .

قحزم بن عبد الله الأسوانى ، يكنى بأبى حنيفة، كان من أجلة أصحاب الشافعى الآخذين عنه، وكان مقيما بأسوان يفتى بها على مذهبه مدة سنين، مات بها سنة إحدى وسبعين ومائتين .

أبو زرعة، محمد بن عثمان بن إبراهيم الدمشقى ولى قضاء مصر نيابة عن أحمد بن طولون فأقام فيه ثمانى سنين،ثم ولى قضاء دمشق فأدخل فيها مذهب الشافعى،وحكم به القضاة بعد أن كان الغالب عليهم مذهب الأوزاعى (١٨٦)، وكان عفيفا شديد التوقف فى الأحكام بالغا فى الكرم ، توفى سنة اثنتين وثلاثمائة .

(١٨٦) عالم كبير من الشام ، توفى سنة ١٨١ هـ .

أبو العباس ، أحمد بن محمد الديبلي، كان جيد المعرفة بالمذهب ، صالحا زاهدا ، صاحب كرامات، كثير العبادات ، وكان يرى الجمع بين الصلاتين بعذر المرض ، مات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

مُجلي بن جميع بن نجا المخزومي الأرسوفي المصري، صاحب الذخائر، تفقه على الفقيه سلطان المقدسي وبرع فصار من كبار الأئمة، وتفقه عليه جماعة منهم العراقي ، ولي قضاء الديار المصرية سنة سبع وأربعين وخمسمائة ثم عزل [بعد سنتين] ، مات سنة خمسين وخمسمائة ، ومن تصانيفه : كتاب أدب القضاء ، وغيره .

الخِلعي، القاضي ، أبو الحسن علي بن الحسين الموصلي، ونسبته إلى بيع الخلع لأنه كان يبيعها لملوك مصر ، ولد بمصر سنة خمس وأربعمائة، كان فقيها صالحا، له كرامات وتصانيف وروايات متسعة، وكان أعلى أهل مصر إسنادا، جمع له أبو نصر الشيرازي عشرين جزءاً وسماها « الخلعيات » ، وولي قضاء الديار المصرية يوما واحدا ثم استعفى واختفى بالقرافة ، مات بمصر سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

أبو الفتح، سلطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسي، قال السلفي عنه : كان من أفقه الفقهاء بمصر . وعليه قرأ أكثرهم ، ولد بالقدس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ؛ وتفقه ودخل مصر بعد السبعين، وتوفى سنة عشرة وخمسمائة .

الخبوشاني ، نجم الدين ، أبو البركات محمد بن سعيد بن علي، ولد سنة عشر وخمسمائة ، تفقه على تلميذ الإمام الغزالي ؛ وتفقه بالمدرسة الصلاحية

المجاورة لضريح الإمام الشافعى؛ وكان شيخها و ناظرها، وألف كتاب تحقيق المحيط فى شرح الوسيط [١٨٧] فى ستة عشر مجلدا ، مات سنة سبع وثمانين وخمسمائة ،ودفن فى قبة مفردة تحت رجلى الإمام الشافعى .

الشهاب الطوسى ، أبو الفتح ، محمد بن محمود بن محمد ، قال عنه النووى: « كان شيخ الفقهاء وصدر العلماء فى عصره » إماما فى فنون؛ تفقه على جماعة من اصحاب الغزالى ؛ وقدم مصر فنشر بها العلم ووعظ وذكر ؛ وانتفع به الناس ؛ وكان معظما عند الخاصة والعامة ؛ وعليه مدار الفتوى فى مذهب الشافعى ، ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ؛ وتوفى بمصر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وحمله أولاد السلطان على رقابهم .

ضياء الدين ، أبو عمرو ، عثمان بن عيسى بن درباس الكردى الموصلى، صاحب كتاب الاستقصاء فى شرح المهذب [١٨٨]، كان من أعلم الفقهاء فى وقته بالمذهب ، ماهراً فى أصول الفقه ، شرح كتاب اللمع لأبى إسحاق [١٨٩] وناب عن أخيه صدر الدين فى الحكم بالقاهرة، مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقد قارب التسعين .

---

(١٨٧) شرح لكتاب « الوسيط فى الفروع » فى الفقه للامام الغزالى .

(١٨٨) شرح لكتاب « المهذب فى الفروع » فى الفقه لأبى اسحاق الشيرازى الشافعى .

(١٨٩) شرح فى مجلدين لكتاب « اللمع فى أصول الفقه » لابى اسحاق الشيرازى الشافعى .

المقـــترح ؛ تقى الدين مظفر بن عبد الله بن على المصرى، وكان يحفظ «المقترح» وهو كتاب فى الجدل فلقب به ، كان إماما كبيرا ، له التصانيف فى الفقه والأصول ، دينا ورعا ، كثير الإفادة ، متواضعا ، تخرج به جماعة بالقاهرة والإسكندرية ، ولد سنة ست وعشرين وخمسمائة ، ومات سنة اثنتى عشرة وستمائة .

أمين الدين ؛ مظفر بن محمد بن إسماعيل التبريزى ، صاحب كتاب المختصر المشهور الذى لخصه من «الوجيز»، ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وتفقه ببغداد وقدم مصر فأعاد بالمدرسة الشريفية (١٩٠) ، وكان عالما زاهدا عابدا ، اختصر كتاب «المحصول» وصنف كتابا فى الفقه ثلاث مجلدات سماه «سمط الفوائد» ، سافر إلى شيراز (١٩١) فمات بها سنة إحدى وعشرين وستمائة .

الجمال المصرى، يونس بن بدران بن فيروز،ولد بمصر فى حدود سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وسمع من السلفى وغيره ،وكان يشارك فى علوم كثيرة ، واختصر [كتاب] «الأم للشافعى» وألف فى الفرائض ، ودرس التفسير بدمشق ، وولى قضاء الشام ، مات سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

الشريف ، شمس الدين محمد بن الحسين بن محمد الحسينى الأموى المصرى، المعروف بقاضى العسكر،كان إماما فقيها ، أصوليا نظاراً، ديِّنا

---

(١٩٠) كانت بالفسطاط وقد بناها صلاح الدين الأيوبى .

(١٩١) بلد بايران .

درّس [بالمدرسة] الشريفية ؛ وشرح [كتابى] المحصول وفرائض الوسيط ؛ وولى نقابة الأشراف ؛ وقضاء العسكر ؛ مات فى شوال سنة خمسين وستمائة .

الشهاب القوصى ؛ أبو المحامد إسماعيل بن حامد بن أبى القاسم الأنصارى ؛ ولد بقوص سنة أربع وسبعين وخمسمائة ؛ وسمع وتفقه ودرّس وحدث ؛ وخرّج لنفسه معجما فى أربع مجلدات ؛ وكان بصيرا بالفقه ؛ أديبا أخباريا ؛ مات بدمشق سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

ابن الأستاذ ؛ كمال الدين ، أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلبى ، كان عالما فقيها ، محدثا أصيلا فى العلم والرياسة والوجاهة ؛ شرح كتاب الوسيط (١٩٢) فى عشر مجلدات ، وولى قضاء حلب ؛ ولما أخذها التتار ارتحل إلى مصر ؛ ودرس [بها] ، ولد سنة إحدى وعشرين وستمائة ، ومات سنة اثنتين وستين وستمائة .

العراقى ؛ أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن المسلم المصرى ؛ شارح المذهب ؛ وإنما قيل له العراقى لأنه سافر إلى بغداد وأقام مدة يشتغل بها ، ولد بمصر سنة عشر وخمسمائة ؛ وتولى خطابة الجامع العتيق (١٩٣) ، وشرح المهذب (١٩٤) شرحا حسنا ؛ ومات سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ودفن بسفح المقطم ؛ وله ولد اسمه أبو محمد عبد الحكم ، ولى الخطابة بعد وفاة والده ، وله خطب جيدة وشعر لطيف .

---

(١٩٢) شرح لكتاب « الوسيط فى الفروع » فى الفقه للامام الغزالى .

(١٩٣) جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة .

(١٩٤) شرح لكتاب « المهذب فى الفروع » فى الفقه لأبى اسحق الشيرازى .

صدر الدين ، شيخ الشيوخ ، محمد بن عماد الدين محمود بن حموية الجوينى ، برع فى المذهب وأفتى ودرس ، وكان كبير القدر ، بعثه الملك الكامل [الأيوبى] رسولا إلى الخليفة يستنجد به على الفرنج لما أخذوا دمياط ، فأدركه الموت بالموصل سنة سبع عشرة وستمائة عن ثلاث وسبعين سنة .

ابن بنت الأعز ، تاج الدين ، أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامى ، والأعز كان وزير الملك الكامل ،وتاج الدين كان عالما فاضلا صالحا نزيها ، ولى قضاء الديار المصرية والتدريس والوزارة وغير ذلك ، ومات سنة خمس وستين وستمائة ، وله ولدان أحدهما صدر الدين عمر والآخر تقى الدين ابو القاسم عبد الرحمن [وكانا فقيهين عالمين] .

جلال الدين ، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكندى الدشناوى ، كان إماما فقيها ورعا ، تفقه بقوص ثم بالقاهرة ، شرح [كتاب] التنبيه (١٩٥) ، وألف كتابا فى الأصول ،وآخر فى النحو . عاد إلى قوص فتفقه عليه بها جماعة ، وتحكى عنه مكاشفات وأحوال صالحة ، مات بقوص سنة سبع وسبعين وستمائة .

الزنكلونى ، مجد الدين ، أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز ، كان إماما فى الفقه أصوليا ، محدثا نحويا ، صالحا قانتا لله صاحب كرامات ، لا يتردد إلى أحد من الأمراء ،ويكره أن يأتوا إليه ،ملازما للاشتغال (١٩٦) ، ودرّس

---

(١٩٥) كتاب فى الفقه يسمى « التنبيه فى فروع الشافعية » لأبى اسحاق الشيرازى والشرح الذى نحن بصدده يسمى « تحفة النبيه فى شرح التنبيه » .

(١٩٦) الاشتغال بالعلم .

الحديث ، وله [كتاب] شرح التنبيه (١٩٧) الذى عم النفع به وشرح المنهاج (١٩٨) ، مات سنة أربعين وسبعمائة .

بهاء الدين ، ابو حامد بن أحمد بن تقى الدين السبكى ، ولد سنة تسع عشرة وسبعمائة ، برع وهو شاب ، وساد وهو ابن عشرين سنة ، وولى التدريس ، وله تصانيف منهـــا : شرح الحاوى (١٩٩) ، مات بمكة سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وقال البرهان القيراطى يرثيه [بقصيدة منها] -

سَتبكيك عيني أيها البحرُ بالبحر
فيومك قد أبكى الورى (٢٠٠) من ورا النهر

تكاملت أوصافاً وفَضْلا وسؤدداً (٢٠١)
ولا بدّ منْ نقْص فكان من العُمر

يكتْ عينْ شَمْسْ الأفق للبدر من
مناقبه (٢٠٢) تزهُو عَلى الأنجم الزهْر

---

(١٩٧) راجع ١٩٥ ٠

(١٩٨) المنهاج : كتاب فى الفقه يسمى « منهاج الطالبين فى فروع الشافعية » ٠

(١٩٩) يسمى كتاب « الحاوى الصغير فى الفروع » فى الفقه ، لابن عبد الكريم القزوينى الشافعى ٠

(٢٠٠) الخلق ، الناس ٠

(٢٠١) رفعة ٠

(٢٠٢) الأفعال الحسنة ٠

مَعَ السلف الماضين يذْكر فَضْله

ويُحْسَبُ وَهُو الصَّدْرُ من ذلِكَ الصَّدْرْ

كمال الدين ، أبو المناقب ، أبو بكر بن محمد بن أبى بكر الخضيرى السيوطى [والد المؤلف] ، ولد بأسيوط بعد [سنة] ثمانمائة تقريبا ، واشتغل ببلده وتولى بها القضاء قبل قدومه القاهرة ، لازم العلامة القاياتى وأخذ عنه الكثير من الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعانى والمنطق ، وأجازه بالتدريس فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، وأخذ علم الحديث وقرأ القرآن ، وأتقن علوما جمة وبرع ، وأفتى ودرس سنين كثيرة ، وناب فى الحكم بالقاهرة ، وكان يغلب عليه حب الانفراد وعدم الاجتماع بالناس ، صبورا على أذاهم ، مواظبا على قراءة القرآن ، وله تصانيف كثيرة [منها] : كتاب فى التصريف ، توفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة .

جلال الدين المحلى ، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد ، ولد بمصر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، واشتغل وبرع فى الفنون فقها وكلاما وأصولا ، ونحوا ومنطقا وغيرها ، كان علامة ، آية فى الذكاء والفهم ، على قدم من الصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام ، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم ولا يأذن لهم بالدخول عليه ، وكان عظيم الحدة جدا لا يراعى أحد فى القول ، ظهرت له كرامات كثيرة ، وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع ؛ وولى تدريس الفقه وكان متقشفا فى ملبوسه ومركوبه ؛ يتكسب بالتجارة ، وألف كتبا تشد

إليها الرحال ، فى غاية من الاختصار والتحرير والتنقيح ، وسلامة العبارة وحسن المزج والحل ، منها . « شرح جمع الجوامع فى الأصول » ، توفى سنة أربع وستين وثمانمائة .

المناوى ، قاضى القضاة ، شرف الدين ، يحى بن محمد بن محمد بن محمد ، ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، لازم الشيخ ولى الدين العراقى وتخرج به(٢٠٣) فى الفقه والأصول والحديث ، وتصدى للإفتاء والإقراء ، وولى التدريس وقضاء الديار المصرية ، وله تصانيف منها : شرح مختصر المزنى(٢٠٤) ، توفى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ، وهو آخر علماء الشافعية ومحققيهم .

[بعض] من كان بمصر من الفقهاء المالكية

روح بن الفرج ، أبو الزنباع الزبيرى ، عالم فقيه بمذهب مالك من أهل مصر . ولد سنة أربع ومائتين ، وكان من أوثق الناس فى زمانه ورفعه الله بالعلم ، مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين .

أبو الطاهر ، محمد بن عبد الله البغدادى ، كان فصيحا فقيها شاعرا إخباريا ، حاضر الجواب غزير الحفظ ، ولى قضاء واسط(٢٠٥) ، ثم قضاء بعض بغداد ، ثم قضاء دمشق ، ثم قضاء الديار المصرية ، وكان يذهب إلى قول مالك وربما اختار ، وله تصانيف ، توفى سنة سبع وستين وثلثمائة .

---

(٢٠٣) تخرج على يديه وباجازته .

(٢٠٤) كتاب فى الفقه يسمى « مختصر المزنى فى فروع الشافعية »

(٢٠٥) مدينة بالعراق فى جنوب سهل الجزيرة .

محمد بن سليمان أبو بكر النعالى ؛ إمام المالكية بمصر فى وقته ، عظم شأنه وإليه كانت الإمامة بمصر ، وكانت حلقته فى الجامع تدور على سبعة عشر عمودا من كثرة من يحضرها ، مات سنة ثمانين وثلاثمائة .

أبو بكر الطرطوشى ، محمد بن الوليد الفهرى الأندلسى ، نزيل الإسكندرية أحد الأئمة الكبار ، رحل وسمع ببغداد ؛ وكان إماما عالما زاهدا ورعا متقشفا ، له تصانيف كثيرة ؛ ومن كراماته أن خليفة مصر العبيدى أخرجه من الإسكندرية ومنع الناس من الأخذ عنه ، وأنزله الأفضل الوزير فى موضع لا يبرح منه ؛ فضجر من ذلك وقال لخادمه « إلى متى نصبر ، اجمع لى المباح من الأرض » فجمعه فأكله ثلاثة أيام ؛ فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه « رميته الساعة » ، فركب الأفضل من الغد ، فقتل وولى بعده المأمون البطائحى فأكرم الشيخ إكراما كثيرا فصنف له كتاب سراج الملوك(٢٠٦) . مات سنة خمس(٢٠٧) وعشرين وخمسمائة عن خمسة وسبعين عاما .

سند بن عنان بن إبراهيم الأزدى ، تفقه بالطرطوشى وجلس فى حلقته بعده ، وانتفع به الناس ، وكان من زهاد العلماء وكبار الصالحين ، فقيها فاضلا ، مات بالإسكندرية سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

---

(٢٠٦) كتاب فى الأدب مكون من مجموعة سير الأنبياء وآثار الأولياء ومواعظ العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء .

(٢٠٧) ثبت بالتحقيق أنه توفى سنة ٥٢٠ هـ وليس كما جاء بأصل الكتاب .

صدر الإسلام ، أبو الطاهر ، إسماعيل بن مكى بن عيسى بن عوف الزهرى الإسكندرانى، تفقه وبرع فى المذهب ؛ وكان إمام عصره وعليه مدار الفتوى مع الزهد والورع ؛ وقصده السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وسمع منه كتاب الموطأ(٢٠٨) ، وله مصنفات ؛ مات سنة إحدى وثمانين وخمسمائة عن ست وتسعين سنة .

ابن شاس ، جلال الدين ، أبو محمد عبدالله بن محمد بن شاس بن قرار الجذامى السعدى شيخ المالكية ، وصاحب [كتاب] « الجواهر الثمينة » فى المذهب ، كان من كبار الأئمة العاملين، وكان جده شاس من الأمراء ، حج فى آخر عمره ، ورجع فامتنع من الفتيا إلى أن مات بدمياط مجاهدا فى سبيل الله ، والفرنج محاصرون لها سنة ست عشر وستمائة .

ابن الحاجب ، جمال الدين ، أبو عمرو ، عثمان بن أبى بكر الكردى الفقيه المقرىء النحوى الأصولى ، صاحب التصانيف البديعة ، كان أبوه حاجبا عند الأمير عز الدين موسك الصلاحى ، فاشتغل هو وقرأ القراءات ، وبرع فى الأصول والفروع والعربية وغيرها ،وكان ركنا من أركان الدين فى العلم والعمل ، صنف كتاب « المختصر فى الأصول » و « المختصر فى الفقه » و « الكافية فى النحو وشرحها » [وغيرها] ، مات بالإسكندرية سنة ست وأربعين وستمائة عن خمس وثمانين سنة .

القرطبى(٢٠٩) ، أبو العباس بن أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصارى المالكى الفقيه المحدث ، ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الكثير وقدم

---

(٢٠٨) كتاب فى الحديث للامام مالك .

(٢٠٩) هو مؤلف التفسير الباقى الى يومنا هذا وقد قامت دار الكتب بطبعه .

الإسكندرية فأقام بها يدرس، وصنف « المفهم فى شرح صحيح مسلم » واختصر « الصحيحين » ، مات سنة ست وخمسين وستمائة .

شرف الدين ، أبو حفص ، قاضى القضاة ، عمر بن عبد الله بن صالح السبكى ، ولد سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وتفقه وأفتى ودرّس ، وولى حسبة القاهرة ، ثم قضاء الديار المصرية لما ولوا من كل مذهب قاضيا ، وكان مشهورا بالعلم والدين ، مات سنة تسع وستين وستمائة .

الزواوى : عيسى بن سعد ، ولد سنة أربع وستين وستمائة ، كان فقيها عالما متفننا ، انتفع به الناس وانتهت إليه رياسة المالكية بالديار المصرية والشامية ، وله تصانيف منها : « شرح مسلم » و « تاريخ ومناقب مالك » [وغيرهما] ، مات بالقاهرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

الإخنائى ، برهان الدين ، إبراهيم بن محمد بن أبى بكر ، ولى الحسبة ونظر الخزانة ، وناب فى الحكم ، ثم ولى القضاء سنة ثلاثين وسبعمائة فاستمر إلى أن مات ، وكان مهيبا صارما قوالا بالحق ، قائما بنصر الشرع ، رادعا للمفسدين ، صنف «مختصرا فى الأحكام» مات سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

ابن خلدون ، ولى الدين ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمى ، قاضى القضاة ولد سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وبرع فى العلوم وتقدم فى الفنون ، ومهر فى الأدب والكتابة ، وولى كتابة السر بمدينة فاس (٢١٠) ، ثم دخل القاهرة

---

(٢١٠) مدينة باقليم مراكش .

فولى مشيخة[٢١١] البيبرسية وقضاء المالكية، وصنف « التاريخ الكبير ». مات سنة [ثمان وثمانمائة][٢١٢].

عبادة بن على بن صالح بن عبد المنعم الأنصارى، الإمام العلامة ؛ ولد سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، ومهر فى الفقه والأصلين[٢١٣] والعربية ؛ وصار رأس المالكية، وعين للقضاء فامتنع وألح عليه فتغيب إلى أن ولى غيره، وولى التدريس، وانقطع فى آخر عمره إلى الله تعالى، وأعرض عن الاجتماع بالناس، وامتنع من الافتاء، ومات سنة ست وأربعين وثمانمائة.

[بعض] من كان بمصر من الفقهاء الحنفية

بكار بن قتيبة بن أسد الثقفى من ولد أبى بكرة الصحابى البصرى، أبو بكر الفقيه، قاضى الديار المصرية ؛ ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة، ولاه المتوكل [الخليفة العباسى ببغداد] القضاء بمصر سنة ست وأربعين ومائتين ؛ وله أخبار فى العفة والنزاهة والورع، وتصانيف فى الشروط والوثائق، والرد على الشافعى فيما نقضه على أبى حنيفة، مات سنة خمس وسبعين ومائتين.

عبد الوهاب الحنفى ؛ أبو محمد بن النحاس المعروف بالبدر بن النجن ؛ تفقه وبرع فى المذهب وأفتى وكان مجيداً فى مناظرته، فريداً فى محاورته،

---

(٢١١) أنشأها بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٩ هـ وهى التى تعرف بجامع بيبرس بحى الجمالية الآن.

(٢١٢) وجد بالتحقيق أن مولده كان فى سنة ٧٣٢ هـ ووفاته فى ٨٠٨ هـ وليس كما جاء بأصل الكتاب.

(٢١٣) أصول الفقه، وأصول الدين.

ناظر الفحول الواردين من وراء النهر وخراسان، قدم القاهرة ودرس، ومات بها سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

الملك المعظم، عيسى بن أبى بكر بن أيوب، ولد بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة وبرع فى الفقه والأدب، وشرح [كتاب] « الجامع الكبير »، وصنف فى العروض، ملك دمشق ثمانى سنين وأشهرا، مات سنة اربع وعشرين وستمائة .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز اللخمى، القوصى، الفقيه النحوى كان متبحراً فى مذهب أبى حنيفة، ولد بقوص سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ودرس وناظر وطال عمره، وله تصانيف عديدة نظما ونثرا مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

كمال الدين بن العديم الحلبى، عمر بن أحمد بن هبة الله . الملقب برئيس الأصحاب، الإمام العالم المحدث المؤرخ، الأديب الكاتب البليغ، ولد بحلب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وبرع وساد، وصار أوحد عصره فضلا ونبلا ورياسة، ألف فى الفقه والحديث والأدب، وله [كتاب] « تاريخ حلب »، مات بمصر سنة ستين وستمائة .

فخر الدين عثمان بن إبراهيم الماردينى، المشهور بابن التركمانى . انتهت إليه رياسة الحنفية بالديار المصرية، وتخرج به خلق كثير، شرح [كتاب] « الجامع الكبير » وألقاه دروسا، مات بالقاهرة سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة عن إحدى وثمانين سنة .

علاء الدين، على بن بلبان الفارسى، ولد سنة خمس وسبعين وستمائة برع فى المذهب وأصوله، وشرح كتاب « الجامع الكبير، ورتب كتاب

« صحيح بن حبان » على الأبواب ، ورتب « معجم الطبرانى » على الأبواب وشرح كتاب « التلخيص للخلاطى[٢١٤] » مات بالقاهرة سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة .

الزيلعى ، فخر الدين عثمان بن على بن محجن البارعى ، شارح [كتاب] « الكنز » ، قدم القاهرة سنة خمس وسبعمائة ودرس ، وأفتى ، ونشر الفقه ، وانتفع به الناس ، مات سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

برهان الدين بن على بن أحمد ، قاضى الديار المصرية ، كان إماماً فقيهاً ، عارفاً بغوامض المذهب ، محدثاً ، درس وناظر وصنف [الكتب] . واختصر « سنن البيهقى الكبير[٢١٥] » مات سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

أمير كاتب بن أمير عمر ، قوام الدين أبو حنيفة الإتقانى ، ولد سنة خمس وثمانين وستمائة ، درس ببغداد ودمشق ثم قدم إلى مصر فدرس بالجامع المارداني[٢١٦] وغيره . وكان رأسا فى مذهب الحنفية ، بارعاً فى الفقه واللغة والعربية ، صنف كتاب « شرح الهداية[٢١٧] » ، ورسالة فى عدم صحة الجمعة فى موضعين من البلد ، وغيرهما . مات سنة ثمان وخمسين وسبعمائة .

---

(٢١٤) كتاب فى الفقه يسمى « تلخيص الجامع الكبير فى الفروع » للامام كمال الدين محمد بن عباد الخلاطى الحنفى ، والشرح الذى قام به ابن يلبان الفارسى هو شرح طويل أبدع فيه وسماه « تحفة الحريص » .

(٢١٥) سنن البيهقى : كتاب فى الأحاديث النبوية ألفه أبو بكر الخسروجردى البيهقى . والمختصر المذكور يقع فى خمسة مجلدات .

(٢١٦) بشارع باب زويله الآن ، أنشىء سنة ٧٣٩ - ٧٤٠ هـ .

(٢١٧) الهداية : كتاب فى الفقه يسمى « الهداية فى الفروع » ألفه أبو بكر المرغينانى الحنفى .

ابن الصائغ ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، برع فى الفقه والعربية والأدب ، ودرس وأفاد ، وله تصانيف [منها] « شرح ألفية ابن مالك» و « شرح البردة » مات سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

العجمى ، جمال الدين محمود بن على القيصرى ، قدم القاهرة قديما ، واشتغل بالفنون ومهر ، وولى الحسبة مراراً ، ونظر الجيش ، وقضاء الحنفية ، ودرس التفسير والحديث ، مات سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

الديرى ، شمس الدين محمد بن عبد الله المقدسى ، قاضى القضاة ، ولد سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، واشتغل ومهر فى الفنون ، وناظر العلماء ، واستدعاه « المؤيد » فقرره فى قضاء الحنفية ، وفى مشيخة المؤيدية(٢١٨) ، مات سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

قارى الهداية ، سراج الدين ، عمر بن على ، كان فى أول أمره خياطا بالحسينية ، ثم اشتغل ومهر فى الفقه ، إلى أن صار المشار إليه فى مذهب الحنفية ، وكثرت تلامذته ، والآخذون عنه ، مات سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، وقد نيف على الثمانين .

العينى ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ، قاضى القضاة ، ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وتفقه واشتغل بالفنون ، وبرع ومهر ، ودخل القاهرة ، وولى الحسبة مراراً ، وقضاء الحنفية ، وله تصانيف منها « شرح البخارى » ، مات سنة خمس وخمسين وثمانمائة .

---

(٢١٨) تعرف بجامع المؤيد الآن بجوار باب زويلة ، وقد أنشأها السلطان المؤيد سنة ٨١٨ - ٨٢٣ هـ .

ابن الهمام ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبدالحميد بن مسعود السيراشى الكندى ، قاضى القضاة ، ولد تقريباً سنة تسعين وسبعمائة ، وتفقه وتقدم على أقرانه فى أنواع العلوم ؛ من الفقه والأصول والنحو والمعانى وغيرها ، وكان علامة محققاً جدلياً ، وله تصانيف منها « شرح الهداية » و « التحرير فى أصول الفقه » ، مات سنة إحدى وستين وثمانمائة.

الشُّمُنّى ، تقى الدين ، أبو العباس ، أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمى الدارى ، ولد بالإسكندرية سنة إحدى وثمانمائة ، وتفقه ، وأخذ النحو ، والحديث ، وبرع فى الفنون ، وسمع الكثير ، وقرأ الفنون ، وانتفع به الخلق ، وصنف حاشية على [كتاب] « المغنى » وحاشية على [كتاب] « الشفاء » وغير ذلك ، وطلب لقضاء الحنفية فامتنع ، مات سنة إثنتين وسبعين وثمانمائة .

أمين الدولة ، الأقصر ، يحيى بن محمد ، ولد سنة نيف وتسعين وسبعمائة ، وانتهت إليه رياسة الحنفية فى زمانه ، مات سنة ثمانين وثمانمائة.

[بعض] من كان بمصر من أئمة الفقهاء الحنابلة

هم بالديار المصرية قليل جداً . ولم أسمع بخبرهم فيها إلا فى القرن السابع وما بعده ، وذلك أن الإمام أحمد رضى الله عنه كان فى القرن الثالث ، ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلا فى القرن الرابع ، وفى هذا القرن ملك [الفاطميون] مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة ؛ قتلا ونفياً وتشريداً ، وأقاموا مذهب الشيعة ، ولم يزولوا منها إلا أواخر

القرن السادس ، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب ، وأول إمام الحنابلة علمت حلوله بمصر « الحافظ عبدالغنى المقدسى » .

شرف الدين عبدالغنى ، بن يحيى بن عبد الله الحرانى ، قاضى القضاة، لم يكن مثله فى زمانه علما ورياسة . ولد بحران سنة إحدى وتسعين وستمائة، قدم مصر فولى نظر الخزانة والتدريس بالصالحية(٢١٩) ثم القضاء . وكان مشكور السيرة ، مات سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

نجم الدين الباهى ، محمد بن محمد بن عبدالدايم ، أفتى ودرس وشارك فى العلوم ، كان أفضل الحنابلة بالديار المصرية ، وأحقهم بولاية القضاء مات سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة .

عز الدين أبو البركات ، ولد سنة ثمانمائة ، وسمع الكثير ، وولى قضاء الحنابلة بالديار المصرية ، فباشره بعفة ونزاهة وتواضع مفرط ، بحيث لم يتخذ نقيبا ولاحاجبا ، درس للحنابلة بغالب مدارس البلد ، وله تعاليق وتصانيف كثيرة فى الفقه وأصوله ، والحديث والعربية والتاريخ وغير ذلك ، مات سنة ست وسبعين وثمانمائة .

[بعض] من كان بمصر من أئمة القراءات

وَرْش، عثمان بن سعيد، أبو سعيد المصرى ، أصله قبطى ، مولى آل الزبير بن العوام ، ولد سنة خمس عشرة ومائة ، وأخذ القراءة عن نافع وهو الذى لقبه بورش لشدة بياضه ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية . وكان ماهرا فى العربية ، مات بمصر سنة سبع وتسعين ومائة .

---

(٢١٩) أنشأها السلطان نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠ هـ وموضعها الآن بشارع المعز لدين الله – حى الصاغة .

أبو يعقوب الأزرق، يوسف بن عمرو بن يسار المدنى المصرى ، لزم ورش مدة طويلة وأتقن عنه الأداء ، وخلفه بالإقراء بالديار المصرية ، وانفرد عنه بتغليظ اللامات ، وترقيق الراءات، توفى فى حدود الأربعين ومائتين .

عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقى ، أبو الأزهر المصرى ، أحد الأئمة الأعلام ، حدث وقرأ القرآن على ورش ، ولمكانة أبى الأزهر اعتمد الأندلسيون على قراءة ورش ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

عامر بن أحمد بن حمدان ، أبو غانم المصرى ، قرأ عليه عامة أهل مصر ، له مؤلف فى اختلاف السبعة (٢٢٠) ، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

أحمد بن عبد العزيز بن بدهن ، أبو الغنى البغدادى ، المقرىء ، قرأ فحذق ومهر ، وطال عمره واشتهر ، وكان من أطيب الناس صوتا وأفصحهم أداء ، مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

أبو الحسن بن طاهر ، عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون المبارك ، أبو الطيب الحلبى ، أحد الحذاق المحققين ، مصنف كتاب « التذكرة فى القراءات » ، برع فى الفن وكان من كبار المقرئين بالديار المصرية، مات بمصر فى سن الكهولة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة .

محمد بن الحسن بن على بن الحسين ، أبو مسلم البغدادى ، كاتب الوزير أبى الفضل بن حنزابة ، وآخر من درس السبعة . مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة .

---

(٢٢٠) سبعة القراءات .

عبد الجبار أحمد الطرسوسى ، أبو القاسم ، شيخ القراء بمصر ، وله كتاب « المجتبى » فى القراءات، مات سنة عشرين وأربعمائة .

فارس بن أحمد بن موسى بن عمران ، أبو الفتح الحمصى المقرىء الضرير، أحد الحذاق بهذا الشأن، ومؤلف كتاب « المنشأ » فى القراءات الثمانية ، مات سنة إحدى وأربعمائة عن ثمانين سنة .

الحسن بن محمد بن إبراهيم، أبو على البغدادى ، المقرىء المالكى ، مصنف كتاب « الروضة » فى القراءات ، سكن مصر وصار شيخ القراء ، مات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

إسماعيل بن خلف بن سعد بن عمران ، أبو الطاهر الأنصارى الأندلسى المصرى، مصنف كتاب «العنوان فى القراءات »، تصدر للإقراء زمناو لتعليم العربية ، وكان رأسا فى ذلك ، اختصر كتاب « الحجة »(٢٢١) لأبى على الفارسى ، مات سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

الحسن بن خلف بن عبد الله ، أبو الحسن القيروانى ، نزيل الإسكندرية ، ومصنف كتاب « تلخيص العبادات » فى القراءات ، ولد سنةسبع وعشرين وأربعمائة ، وعنى بالقراءات وتقدم فيها ، وتصدر للإقراء مدة ، مات فى الإسكندرية سنة أربع عشرة وخمسمائة .

عبد الرحمن بن أبى بكر عتيق بن خلف ، أبو القاسم بن الفحام الصقلى، صاحب كتاب « التجريد » فى القراءات ، إنتهت إليه رياسة الإقراء

---

(٢٢١) كتاب فى النحو ألفه أحمد بن عبد الغفار المعروف بأبى على الفارسى .

بالإسكندرية ، ولد سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، ومات سنة ست عشرة وخمسمائة .

أبو القاسم بن قرة بن خلف بن محمد الرعيني الشاطبي ، المقرىء الضرير ، أحد الأعلام ، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وارتحل للحج ، ثم استوطن مصر ، واشتهر اسمه ، وكان موصوفا بالزهد والعبادة ، وكان رأسا فى القراءات ، حافظا للحديث بصيرا بالعربية ، واسع العلم ، وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الأمانى والرائية ، وخضع له فحول الشعراء وحذاق القراء ، ومن شعره : —

قُلْ لِلأَمِيرِ نَصِيحَة لاَ تَرْكَنَنَّ إلى فَقِيهِ
إنّ الفَقِيهَ إذَا أَتَى أَبْوَابَكُمْ لا خَيْر فِيهِ

مات سنة تسعين وخمسمائة .

عبد الصمد بن سلطان بن أحمد بن الفرج ، أبو محمد الجذامى المصرى ، ولد سنة أربعين وخمسمائة ، وكان متقنا للعربية ورأسا فى الطب ، مات سنة ثمان وستمائة .

علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى ، كان فقيها مفتيا ، إماما فى القراءات ، والتفسير ، والنحو ، واللغة ، تصدر للإقراء وانتفع به الناس ، وله مصنفات كثيرة منها التفسير ، مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

أحمد بن على بن محمد بن سكن الأندلسى ، أحد الحذاق ، سكن الفيوم ، اختصر كتاب « التيسير » وشرح « الشاطبية » ، مات فى حدود الأربعين وستمائة .

التقى ، الصائغ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصرى ، شيخ القراء فى عصره ، رحلت إليه الطلبة من أقطار الأرض لانفراده بالقراءة دراية ورواية ، وكان أيضا فقيها شافعيا ، مشاركا فى فنون أخرى ، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة . ومات بمصر سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

شمس الدين محمد بن محمد بن تمير ، المعروف بابن السراج ، تصدر للإقراء ، وأخذ عنه جماعة ، كتب الخط وبرع فيه وصار معلما له بالأزهر ، ولد بعد السبعين وستمائة ، ومات بالقاهرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة .

[بعض] من كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية

السيدة نفيسة بنت الأمير حسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، كان أبوها أمير المدينة للمنصور [العباسى] ، دخلت مصر مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق ، فأقامت بها ، وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخيرات ، ذات مال ، فكانت تحسن إلى عموم الناس ، ولما توفى الشافعى أمرت بجنازته فأدخلت إليها المنزل فصلت عليه ماتت سنة ثمان ومائتين ، وعزم زوجها أن يدفنها بالمدينة النبوية فسأله أهل مصر دفنها بمصر ، فدفنت [بجامعها الحالى]

ذو النون ، ثوبان بن إبراهيم ، أبو الفيض ، أحد مشايخ الطريق ، ولد بأخميم ، وكان أوحد وقته علما وورعا وأدبا ، وهو أول من عبر عن علوم المنازلات[٢٢٢] فأنكر عليه اهل مصر وقالوا « أحدث علما لم تتكلم فيه

---

(٢٢٢) علم المناظرة .

الصحابة » وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ، ورموه بالزندقة ، وأحضره المتوكل إلى « سامرا »[٢٢٣] فوعظه ذوالنون ، فبكى ، ورده مكرما ، مات سنة ست وأربعين ومائتين ، وقد قارب التسعين .

أبو بكر أحمد بن نصر الدقاق الكبير ، من أكابرمشايخ مصر ، ومن كلامه « من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام المحض » وقال « كنت مارا فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة ، فهتف بى هاتف من تحت شجرة ، كل حقيقة لاتتبع الشريعة فهى كفر » .

أبو الحسن بن بنان بن محمد بن حمدان ، الحمال الزاهد الواسطى ، نزيل مصر وشيخها ، كان ذا منزلة عظيمة فى النفوس ، وضرب بعبادته المثل ، ومن كلامه « اجتنبوا رياء الأخلاق كما تجتنبوا الحرام » وقال « الوحدة جلسة الصديقين » وقال « ذكر الله باللسان يورث الدرجات ، وذكر الله بالقلب يورث القربات » . هام على وجهه بسيناء فمات بها سنة ست عشرة وثلاثمائة .

أبو الخير الأقطع ، أصله من المغرب ، وكان أوحد عصره فى طريقة التوكل ، وكانت السباع والهوام تأنس به ، وله فراسة حادة ، مات سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة .

أبو على الحسن بن أحمد الكاتب المصرى ، من كبار مشايخ المصريين ، وكان أوحد مشايخ وقته ، ومن كلامه « إذا انقطع العبد إلى الله بكليته ،

---

(٢٢٣) بلدة شمالى بغداد على نهر دجلة وقد كانت عاصمة الخلافة العباسية منذ ٢٢٩ هـ ، ثم دب اليها الخراب منذ سنة ٢٨٩ هـ فى خلافة المعتضد العباسى .

أول مايفيده الله ؛ الاستغناء به عن الناس» ، وقال « يقول الله ؛ من صبر علينا وصل إلينا ، و « إذا سكن الخوف من القلب ؛ لم ينطق اللسان بمالا يعنيه » ، مات سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة .

أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملى النابلسى ، كان عابدا صالحا زاهدا [قيل] إن كافور الإخشيدى بعث إليه بمال فرده وقال « قال الله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » فالاستعانة بالله تكفى . فرد كافور الرسول بالمال إليه وقال : قل له ، قال الله تعالى « له مافى السموات ومافى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » فأين ذكر كافور هنا ، فقال أبو بكر : صدق الملك ، والمال لله ، كافور صوفى لاأنا . ثم قبل المال ، وكان قوالا بالحق قال : لو كان معى عشرة أسهم لرميت الروم بسهم ، ورميت بنى عبيد بتسعة ، فبلغ ذلك المعز ، فقتله سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائى ، الشريف الحسنى ، الإمام الشهير ، أصله من سبتة(٢٢٤) ، أقام بمكة سبع سنين ، ثم قدم قنا فأقام بها إلى أن مات .وكان أحد الزهاد المشهورين ،تخرج به جماعة من أعيان الصالحين وكراماته كثيرة ، مات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

على بن أحمد بن إسماعيل بن يوسف الصباغ القوصى ، صاحب المعارف والكرامات ، أخذ عن الشيخ عبدالرحيم القنائى ،وظهرت بركاته على الذين صحبوه ، وهدى الله به خلقا ، وكان حسن التربية للمريدين(٢٢٥) ، وصحبه

---

(٢٢٤) مدينة باقليم مراكش .

(٢٢٥) المحبين لله تعالى .

جماعة من العلماء منهم الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد ، مات بقنا سنة ثلاث عشرة وستمائة .

أبو العباس البصير ، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجى الأنصارى الأندلسى ، كان أبوه من ملوك المغرب ، فولد له الشيخ أطمس العينيين ، فخافت أمه سطوة أبيه ، فأمرت فألقى فى البرية ، فأرضعته الغزلان ، ثم إن والده خرج إلى الصيد فلقيه ، وهو لا يشعر أنه ابنه ، وقال لزوجته : ربيه لعل الله أن يجعل لنا فيه خيرا . فلما كبر قرأ القرآن ، واشتغل بالعلوم الشرعية إلى أن برع فيها ، ثم سافر ، فدخل الصعيد ، ثم أقام بالقاهرة يقرىء الناس وينفعهم ، وكان حافظا بارعا فى علم الحديث ، حافظا لمتونه عارفا بعلله ورجاله ، وكانت له الأحوال الغريبة والأساليب العجيبة ، توفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

ابن الفارض ، شرف الدين ، أبو القاسم عمر بن على بن مرشد الحموى المصرى ، ولد بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وكان أبوه يكتب فروض [٢٢٦] النساء ، وكان فاضلا أديبا حسن النظم ، متوقد الخاطر ، يسلك طريق التصوف ، أقام بمكة مدة ، مات فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .

أبو الحجاج الأقصرى ، يوسف بن عبد الرحيم بن غزى . كان فى أول أمره مشارف [٢٢٧] الديوان ثم تجرد [٢٢٨] ، توفى بالأقصر سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

---

(٢٢٦) ما يفرض لهن من المستحقات من نفقة وغيرها .

(٢٢٧) الناظر فى مصروفها وادارتها وحساباتها .

(٢٢٨) أى ترك هذا المنصب وتصوف .

أبو السعود بن أبى العشائر بن شعبان بن الطيب، مولده بباذبين - بلد بقرب واسط بالعراق ، [ومن كلامه] « ينبغى للسالك الصادق فى سلوكه ان يجعل كتابه قلبه» ، مات بالقاهرة سنة أربع وأربعين وستمائة ودفن بسفح المقطم (٢٢٩) .

أبو الحسن الشاذلى ، الشريف تقى الدين ، على بن عبد الله بن عبدالجبار شيخ الطائفة الشاذلية،منشؤه بالمغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة (٢٣٠) له السياحات الكثيرة ، والمنازلات الجليلة ، والعلوم الكثيرة ، قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد « مارأيت أعرف بالله من الشاذلى »، [ومن كلامه] « والله لقد يسألوننى عن المسألة لا يكون لها عندى جواب ؛ فأرى الجواب مسطراً فى الدواة والحصير والحائط » ، مات بصحراء عيذاب متوجها إلى مكة سنة ست وخمسين وستمائة .

أبو الحسن بن قفل ، من صوفية مصر ، ومن كلامه « إن شئت أن تصير من الأبدال ، فحول خلقك إلى بعض خلق الأطفال ، ففيهم خمس خصال لو كانت فى الكبار لكانوا أبدالا ، لا يهتمون للرزق ، ولا يشكون من خالقهم إذا مرضوا ، ويأكلون الطعام مجتمعين ، وإذا تخاصموا لم يتحاقدوا وتسارعوا إلى الصلح ، وإذا خافوا جرت عيونهم بالدموع ».

سيدى أحمد البدوى ، هو أبو الفتيان أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد ابن أبى بكر القدسى الملثم ، وعرف بالبدوى لملازمته اللثام ، ولبس لثامين لا يفارقهما ، ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة، وحج فى سنة تسع وستمائة

---

(٢٢٩) له مزار بحى المذبح بالسيدة زينب .

(٢٣٠) بلدة من اقليم المغرب بشمالى افريقيا .

مع أبيه وأهله، وأقام بمكة . ولما مات أبوه سنة سبع وعشرين وستمائة عرض عليه التزويج فأبى لإقباله على العبادة ، وكان قد حفظ القرآن وقرأ شيئا من الفقه على مذهب الشافعى ، [ثم صحب] أخاه إلى العراق ، ولازم الصمت حتى كان لا يتكلم إلا بالاشارة، واعتزل الناس جملة ، ولازم الصيام وأدمن عليه ، سار إلى مصر سنة أربع وثلاثين وستمائة فأقام بطنطا على سطح دار لا يفارقه ، واشتهر بالعطاب لكثرة ما يقع بمن يؤذيه من الناس ، وتؤثر عنه كرامات وخوارق [منها أنه] مر به رجل يحمل قربة لبن ، فأومأ (٢٣١) إليها بأصبعه فانقدت (٢٣٢) فانسكب اللبن ، فخرجت منه حية قد انتفخت ، مات سنة خمس وسبعين وستمائة .

أبو العباس المرسى ، أحمد بن عمر الأنصارى ، رأس أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، قال يوما « والله لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ، ماعددت نفسى من المسلمين » ، مات بالإسكندرية سنة ست وثمانين وستمائة .

عبدالله بن محمد بن سليمان المنوفى ، جمع بين العمل والعلم والصلاح ، تفقه على مذهب مالك ، واعتزل ، وانقطع بالمدرسة الصالحية مقتصرا على خويصة نفسه ، لايكاد يخرج إلا إلى الصلاة . وله كرامات ظاهرة ، حكى « الأمير الجائى الدوادار » قال : وقع فى نفسى إشكال فى مسألة ، وكان لى صاحب من الفقهاء الحنفية أتردد إليه ، فركبت إليه لأسأله على تلك المسئلة فلم أجده ، فأتيت الشيخ عبد الله المنوفى ، فلما جلست قال لى : كأنك مشتغل

---

(٢٣١) أشار .

(٢٣٢) انقطعت .

بشىء من الفقه ، فقلت نعم ، قال فما قولك فى كذا وكذا لتلك المسئلة بعينها ، فقلت منكم يستفاد ، فأخذ يتكلم فى تلك المسئلة وما عليها من الإيرادات ، وذكر الإشكال الذى وقع فى نفسى ، ثم شرع يجيب عنه ، حتى انجلى ، فسألته عن شىء آخر ، قال لا ، قم مع السلامة ، والقصد قد حصل » ولد سنة ست وثمانين وستمائة ، وتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، وقال الحافظ أبو الفضل العراقى « لم أر قط جنازة أكثر جمعا من جنازة الشيخ عبدالله المنوفى » ورأيت فى مناقب الشيخ التى جمعها تلميذه الشيخ خليل ، أنه لما حصل الفناء ؛ وأراد الناس أن يخرجوا ليدعوا ربهم ؛ جئت إلى الشيخ وطلبت منه الحضور مع الناس فقال لى : نعم ، أنا أكون معهم فى ذلك اليوم ولكن لا أظهر . فكان ذلك يوم موته ، ففهمت أنه أشار إلى خفائه عنهم بالكفن .

مسلم السلمى ، كان مقيما بجامع الفيلة ، وكان صالحا عابدا له كرامات ، ربى سبُعاً ، فصار عنده كالهرّ يدور فى البيوت ، فلما مات الشيخ أخذه السباعون فتوحش عندهم فى الغابة ، وعجزوا عنه ، مات سنة أربع وستين وسبعمائة

يوسف العجمى ، جمال الدين ، عبدالله بن عمر بن على بن خضر الكورانى ، إمام فى عصره ، وله رسالة فى التصوف ، مات سنة ثمان وستين وسبعمائة وقبره مشهور بالقرافة .

إسماعيل بن يوسف الإنبابى ، صاحب الزاوية بانبابة ، نشأ على طريقة حسنة ، واشتغل بالعلم ، ثم انقطع بزاويته ، مات سنة تسعين وسبعمائة .

شمس الدين البلالى ، محمد بن على بن جعفر العجلونى ، نزيل القاهرة ، ولد قبل الخمسين وسبعمائة ، اشتغل بالعلم قليلا وسلك طريق الصوفية فمهر ،

وصارت له بإحياء« علوم الدين[٢٣٣] » ملكة ، واختصره اختصارا حسنا وكان خيرا معتقدا ، مات سنة اثنتى عشرة وثمانمائة .

ابن عرب ، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد اليمانى ، الزاهد ، نشأ نشأة حسنة ، وكان يدرى القراءات ، واشتغل ونسخ بالأجرة ، ثم انقطع عن الناس فلم يجتمع بأحد ، واختار العزلة مع مواظبته على الجمعة والجماعة[٢٣٤] واقتصر على ملبس خشن جدا ، وقنع بيسير من القوت ، وأقام [على ذلك] أكثر من ثلاثين سنة ، مات سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

أبو بكر بن عبد الله بن أيوب بن أحمد الملوى الشاذلى ، ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وصحب القراء ، وكان كثير الذكر والعبادة ويتكسب ببيع الغزل ، وللناس فيه اعتقاد كبير ، مات سنة إحدى وأربعين وثمانمائة .

[بعض] من كان بمصر من أئمة النحو

عبد الملك بن هشام بن أيوب المغافرى صاحب السيرة ، هذب سيرة ابن إسحق فصارت تنسب إليه ، كان إماما فى اللغة والنحو والعربية ، أديباً أخبارياً نسّابه ، كان مقيما بديار مصر وقد اجتمع به الشافعى حين وردها ، وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة ، ومات سنة ثمانية عشر ومائتين .

---

(٢٣٣) كتاب للامام الغزالى يعتبر من أمهات الكتب فى الفلسفة الاسلامية .

(٢٣٤) يقصد ، صلاة الجمعة وصلاة الجماعة .

ابن ولاد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد ، التميمى المصرى مصنف كتاب « الانتصار لسيبويه» وكان شيخ الديار المصرية فى العربية مع أبى جعفر النحاس، توفى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

أبو جعفر النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل ؛ المرادى المصرى ؛ النحوى ؛ كان له تصانيف كثيرة منها ؛ « تفسير القرآن » ؛ « والناسخ والمنسوخ » و « شرح أبيات سيبويه » و « شرح المعلقات » ؛ غرق تحت المقياس ؛ ولم يدر أين ذهب ؛ سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

الحوفى ، أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد صاحب «إعراب القرآن» وكان إماما فى العربيـة والنحو والأدب ؛ وله تصانيف كثيرة ؛ وهو من قرية يقال لها شبرا من أعمال الشرقية ، انتفع به أهل مصر ، مات سنة ثلاثين وأربعمائة .

ابن بابشاذ ، أبو الحسن طاهر بن أحمد المصرى الجوهرى ،صاحب التصانيف ،دخل بغداد تاجرا فى الجوهر ، وأخذ عن علمائها ، وخدم بمصر فى ديوان الإنشاء ، ثم تزهد . ومن تصانيفه: «المقدمةوشرحها»(٢٣٥)، و« شرح الجمل »(٢٣٦) وتعليقه فى النحو نحو خمسة عشر مجلدا، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص فمات فى ساعته سنة تسع وستين وأربعمائة .

محمد بن إسحق بن أسباط الكندى ، أخذ عن الزجاج ، وكان شيخ أهل الأدب . صنف « المغنى » فى النحو وغيره .

---

(٢٣٥) تسمى « المقدمة المحسنية فى فن العربية » فى علم النحو .

(٢٣٦) الجمل : كتاب فى علم النحو لأبى القاسم الزجاجى ويسمى « كتاب الجمل الكبيرة » .

ابن القطاع ، ابو القاسم على بن جعفر بن على السعدى الصقلى ، المصرى اللغوى ، مصنف « كتاب الأفعال » ، قدم مصر فى حدود سنة خمسمائة فأكرمه اهلها ، وأقام بها إلى أن مات سنة خمس عشر وخمسمائة وقد جاوز الثمانين .

يحيى بن معط بن عبد النور ، رين الدين ، الزوواى . كان إماما مبرزا فى العربية ، شاعرا محسنا ، تصدر بجامع عمرو لإقراء النحو ، وحمل الناس عنه ، وصنف الألفية المشهورة والفصول ، ولد سنة أربع وستين وخمسمائة ومات سنة ثمان وعشرين وستمائة .

محمد بن مكرم الافريقى ، المصرى ، جمال الدين ، أبو الفضل ، صاحب « لسان العرب » ، ولد سنة ثلاثين وستمائة ، ومات سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

أبو حيان ، أثير الدين ، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى نحوى عصره ولغويه ، ومقرئه ، ولد فى شوال سنة أربع وخمسين وستمائة وتقدم فى النحو فى حياة شيوخه ، واشتهر اسمه وطار صيته ، وألف الكتب المشهورة ، وأخذ عنه أكابر عصره ، وتقدموا فى حياته ، مات سنة خمس وأربعين وسبعمائة ورثاه الصلاح الصفدى بشعر [منه] .

يا عين جُودى بالدُّموع التى ... يَرْوى بِها ماضَمَّه مِنْ ثرى
مات إمامٌ كانَ فى عِلْمه ... يُرى إماماً والوَرى مِنْ ورا
والنَّحْو (٢٣٧) قدسار الرَّدى نحوه (٢٣٨) ... والصرْفُ للتَّصريف قدغيرا

---

(٢٣٧) أى علم النحو .

(٢٣٨) الهلاك .

لهُ الأسانيدُ التى قد عَلَتْ فاستَسفلت فيها سَوامي الذّرى

وشاعِراً فى نَظْمِه مُغلقاً كم حَرَّرَ اللفْظَ وكم حبّرا

إن مات فالذِّكرُ له خالدٌ يَحْيا به مِنْ قبْل أن يُنشرا

وخصّهُ مِنْ ربه رَحْمةٌ تُوردُهُ فى حشره الكوثرا (٢٣٩)

ابن أم قاسم المرادى ، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن على ، ولد بمصر وأخذ عن أبى حيان وغيره ، وأتقن العربية والقراءات ، وألف كتباً منها ، شرح التسهيل (٢٤٠) ، وشرح المفصل (٢٤١) ، والجنى الدانى فى حروف المعانى (٢٤٢) ، مات سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

ابن هشام ، جمال الدين ، عبد الله بن يوسف بن عبد الله المصرى ، الإمام المشهور ، ولد سنة ثمان وسبعمائة ، ولازم [العلماء] وأتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ ، وتخرج به خلق ، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة والتحقيق البالغ ، والاطلاع المفرط ، والاقتدار على التصرف فى الكلام ، قال ابن خلدون « مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » مات سنة إحدى وستين وسبعمائة .

---

(٢٣٩) نهر من أنهار الجنة يشرب منه المتقون يوم القيامة .

(٢٤٠) التسهيل : كتاب فى النحو يسمى « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » .

(٢٤١) هو شرح لكتاب فى النحو يسمى « المفصل فى صناعة الاعراب » لأبى القاسم الزمخشرى .

(٢٤٢) كتاب فى النحو .

السمين ، صاحب الإعراب المشهور ، شهاب الدين ، أحمد بن يوسف ابن عبد الدايم ، الحلبي ، نزيل القاهرة ، تعانى النحو فمهر فيه ، ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه ، وأخذ القراءات ومهر فيها ، وولى تدريس القراءات بجامع ابن طولون ، والاعادة[٢٤٣] [بمسجد] الشافعى وناب فى الحكم وله « تفسير القرآن » ، و« الإعراب » ، و« شرح التسهيل[٢٤٤] » و « شرح الشاطبية » ، مات فى سنة ست وخمسين وسبعمائة .

ابن عقيل ، قاضى القضاة ، بهاء الدين ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ، من ولد عقيل بن أبى طالب ، ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وأخذ القراءات والفقه ولازم أبا حيان [وغيره] وتفنن فى العلوم ، وولى قضاء الديار المصرية ، والتدريس والتفسير بالجامع الطولونى ، وله تصانيف منها « المساعد فى شرح التسهيل » ، و« شرح الألفية » ، مات سنة تسع وستين وسبعمائة .

ناظر الجيش ، محب الدين ، محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم ، الحلبي ، ولد سنة سبع وتسعين وستمائة ، واشتغل ببلاده ، ثم قدم القاهرة ولازم أبا حيان [وغيره] ، ومهر فى العربية وغيرها ، وولى نظر الجيش

---

(٢٤٣) منصب الاعادة يشبه منصب المعيد بالجامعة فى وقتنا الحاضر ، فكان صاحب منصب الاعادة يحضر الدرس مع الطلبة ثم يتولى شرح ما يحتاج الى شرح لهم بعد أن يلقى الأستاذ درسه .

(٢٤٤) التسهيل : كتاب فى النحو يسمى « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » ألفه ابن مالك .

ودرس التفسير بالمنصورية[٢٤٥] وله « شرح التسهيل[٢٤٦] » ، و « شرح التلخيص[٢٤٧] » ، مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة .

الغمارى ، شمس الدين ، محمد بن محمد بن على بن عبد الرزاق ، أخذ عن أبى حيان وغيره ، وحدث ، وكان عارفا باللغة العربية بارعا فيها ، كثير المحفوظ للشعر ، ولد سنة عشرين وسبعمائة ، ومات سنة اثنتين وثمانمائة .

شمس الدين ، محمد بن إبراهيم الشنطوفى ؛ ولد بعد الخمسين وسبعمائة ، ومهر فى العربية ، وتصدر بالجامع الطولونى فى القراءات ، وبالشيخونية[٢٤٨] فى الحديث ، وانتفع به خلق ، مات سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة .

ابن الدمامينى ، بدر الدين ، محمد بن أبى بكر بن عمر الإسكندرانى ، ولد بالاسكندرية سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وتعانى الآداب ففاق فى النحو والنظم والنثر ، ، وشارك فى الفقه وغيره ، ومهر واشتهر ذكره ، وتصدر بالجامع الأزهر لإقراء النحو ؛ وصنف حاشية على « مغنى اللبيب[٢٤٩] » وشرح « التسهيل[٢٥٠] » ؛ وشرح « البخارى[٢٥١] » ؛ وشرح

---

(٢٤٥) وهى المعروفة الآن بجامع قلاوون ، بشارع المعز لدين الله الفاطمى بالنحاسين .

(٢٤٦) ارجع الى الشرح أمام رقم ٢٤٤ .

(٢٤٧) التلخيص : كتاب فى الفقه يسمى « تلخيص الجامع الكبير فى الفروع » للامام كمال الدين الخلاطى .

(٢٤٨) هى المعروفة الآن بجامع بيخون بحى القلعة .

(٢٤٩) « مغنى اللبيب » : كتاب فى النحو ألفه جمال الدين بن هشام .

(٢٥٠) ارجع الى الشرح أمام رقم ٢٤٤ .

(٢٥١) « البخارى » : اسم لكتاب فى علم الوضع من علوم اللغة العربية وسمى البخارى نسبة الى الشيخ محمد بن محمود الداعى المعروف بالبخارى ، والكتاب على رسالة للوضع لعضد الدين الايجى .

«الخزرجية[٢٥٢]» مات بالهند سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

[بعض] من كان بمصر من أرباب المعقولات[٢٥٣] وعلوم الأوائل والحكماء والأطباء والمنجمين

سعيد بن نوفل ، طبيب نصرانى ، كان فى خدمة أحمد بن طولون .

سعيد بن البطريق ، نصرانى مشهور بالطب ، وله مؤلفات ، مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

محمد بن أحمد بن سعيد التميمى ، أبو عبد الله ، من أطباء مصر وله مؤلفات ، كان فى خدمة العزيز بن المعز لدين الله ، مات سنة سبعين وثلاثمائة .

أبو الحسن على بن الإمام الحافظ أبى سعيد بن يونس ، صاحب تاريخ مصر ، كان منجما شديد الاعتناء بعلم الرصد ، له زيج مفيد يسمى « الزيج الحاكمى » يرجع إليه أصحاب الفن ، وله شعر جيد ، مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة .

أبو الصلت ، أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الدانى الأندلسى ، كان ماهراً فى علوم الهيئة والموسيقى ، والطبيعة والرياضة ، والإلهى[٢٥٤]

---

(٢٥٢) الخزرجية : قصيدة مشهورة وتسمى أيضا « الرامزة » فى علم العروض والقوافى واسم الخزرجية نسبة الى ناظمها الامام ضياء الدين الخزرجى المعروف بأبى الجيش المغربى ، والشرح المذكور لابن الدمامينى يسمى « العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة » .

(٢٥٣) أى العلوم العقلية وقد سبق التعريف بها .

(٢٥٤) العلوم الدينية .

كثير التصانيف ، بديع النظم ، مات سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عن ثمان وستين سنة .

الرشيد بن الزبير الأسوانى ، كان ذا علم غزير ، وفضل كثير ، عالماً بالهندسة والمنطق وعلوم الأوائل ، شاعراً ، تولى نظر الإسكندرية ، ثم قتل بها سنة ثلاث وستين وخمسمائة .

شرف الدين ، عبدالله بن على ، شيخ الطب بالديار المصرية ، خدم العاضد وعمر دهراً طويلا ، مات سنة إثنين وتسعين وخمسمائة .

القطب المصرى ، إبراهيم بن على بن محمد السلمى ، أصله من المغرب ، ثم انتقل إلى مصر فأقام بها مدة ، ثم سافر إلى بلاد العجم ، كان عالماً بالمعقولات ، ألف كتباً كثيرة فى الطب والحكمة ، منها : « شرح كليات القانون » ، قتله التتار بنيسابور [٢٥٥] لما استولوا عليها سنة ثمانى عشرة وستمائة .

الفخر الفارسى ، محمد بن إبراهيم بن أحمد الشيرازى ، نزيل مصر ، كان فاضلا بارعا ، له مصنفات فى الأصول والكلام ، مات بمصر سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقد نيف على التسعين .

الموفق ، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى ، كان عالما بأصول الدين ، والنحو واللغة ، والطب والفلسفة ، والتاريخ ، فى غاية الذكاء ، شافعيا محدثا ، ولد ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وصنف التصانيف الكثيرة فى أنواع من العلوم ، منها : « شرح المقامات » ، و « الجامع

---

(٢٥٥) بلد بايران .

الكبير فى المنطق ، والطبيعة ، والإلهيات عشر مجلدات » ، أقام بمصر ، ومات ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة .

السيف الآمدى ، على بن على ، صاحب التصانيف النافعة ، منها : « الأحكام » وغيره ، ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . واشتغل بمذهب الحنابلة، ثم انتقل إلى مذهب الشافعى ، ومهر فى المعقولات ، حتى لم يكن فى زمانه أعلم منه بها ، سكن مصر ، وتصدر مدة للإقراء ، وانتفع به الناس ، ثم حسده جماعة ونسبوه إلى فساد العقيدة ، فخرج إلى الشام فمات بها سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

فضل الدين الخونَجى ، محمد بن ماء ورد بن عبد الملك ، الفيلسوف ، ولد سنة تسعين وخمسمائة ، برع فى علوم الأوائل ، وولى قضاء الديار المصرية ، صنف : « الموجز فى المنطق والجمل » و « كشف الأسرار فى الطبيعة » وشرح « مقالة ابن سينا » [وغير ذلك] ، مات سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

ابن البيطار ، ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقى ، صاحب كتاب « الأدوية المفردة » ، انتهت إليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه ، خدم الملك الكامل (٢٥٦) ثم ابنه الصالح ، مات بدمشق سنة ست وأربعين وستمائة .

ابن النفيس ، على بن أبى الحزم القرشى ، شيخ الطب بالديار المصرية وصاحب التصانيف الموجزة ، شرح « القانون (٢٥٧) » وانتهت إليه معرفة

---

(٢٥٦) الملك الكامل الأيوبى .

(٢٥٧) القانون : كتاب فى الطب ألفه الامام ابن سينا وقد ضمنه قوانين الطب الكلية والجزئية .

الطب بالمشاركة فى الفقه والأصول والحديث والعربية والمنطق ، مات سنة سبع وثمانين وستمائة .

الأصبهانى ، محمد بن محمود ، شارح كتاب « المحصول » (٢٥٨) ، صنف كتابا فى هذه العلوم سماه « القواعد » ، وكان عارفا بالنحو والشعر مشاركا فيما عداها ، ولد بأصبهان (٢٥٩) سنة ست عشرة وستمائة ، واشتغل ببغداد ، وقدم القاهرة ، فولى قضاء قوص ، وعاد فولى التدريس ، مات بالقاهرة سنة ثمان وثمانين وستمائة .

الخويى ، قاضى القضاة ، شهاب الدين ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن سعادة الشافعى ، كان من أعلم أهل زمانه بالفتوى ، له تصانيف منها كتاب فى عشرين فنا ، ونظم « علوم الحديث لابن الصلاح » ، و « كفاية المتحفظ » (٢٦٠) ، ولى قضاء الديار المصرية وقضاء الشام ، مات فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة عن سبع وستين سنة .

محمد بن إبراهيم المتطيب ، المعروف بابن الدهان ، قرأ الطب والمعقولات ، وكان طبيبا حكيما ، فاضلا متفلسفا .

شمس الدين أبو عبد الله ، محمد بن يوسف ، الجزرى المصرى ، كان فقيها عالما بالأصلين ، والنحو ، والبيان والمنطق ، والطب ، ولد سنة سبع

---

(٢٥٨) المحصول : كتاب فى الفقه يسمى «المحصول فى أصول الفقه» لفخر الدين الرازى .

(٢٥٩) هى أصفهان بلد بايران .

(٢٦٠) هو كتاب « كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ » فى اللغة لأبى اسحق الطرابلسى المعروف بابن الأجدابى ، ومختصر الشيخ الخويى يسمى « نظم كفاية المتحفظ فى اللغة » .

وثلاثين وستمائة ، واشتغل بقوص ، ثم استوطن مصر ، ودرّس وشرح « منهاج البيضاوى » (٢٦١) ، مات سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

علاء الدين الباجى ، على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب ، كان إماما فى الأصلين والمنطق ، فاضلا فيما سواهما ، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، واستوطن القاهرة ، وصنف مختصرات فى علوم متعددة ، مات سنة أربع عشرة وسبعمائة .

الأصفهانى ، شمس الدين ، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد ، كان إماما بارعا فى العقليات ، عارفا بالأصلين ، فقيها ، ولد سنة أربع وسبعين وستمائة ، واشتغل بتبريز (٢٦٢) ، وقدم الديار المصرية ، فولى التدريس ، ومشيخة خانقاه (٢٦٣) قوصون بالقرافة ، وصنف الكتب المحررة النافعة ، وانتشرت تلاميذه ، مات شهيدا بالطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

عز الدين ، إسماعيل بن هبة الله الإسنائى ، كان إماما فى العلوم العقلية أخذ عن الشمس الأصفهانى [وغيره] ، وانتصب للإقراء ، وتخرج به خلق ، وألف ، مات بمصر سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

شمس الدين ، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ، مدرس الأطباء بجامع ابن طولون ، كان فاضلا ، له نظم ، مات سنة ست وسبعين وسبعمائة .

---

(٢٦١) هو كتاب « منهاج الوصول فى علم الأصول » مختصر للقاضى ناصر الدين البيضاوى .

(٢٦٢) مدينة بايران .

(٢٦٣) موضعها بحى القلعة الآن .

صلاح الدين يوسف بن عبدالله ، المعروف بابن المغربى الطبيب ، رئيس الأطباء بالقاهرة ، مات سنة ست وسبعين وسبعمائة .

ضياء الدين عبد الله بن سعد ، القرمى الشافعى ، كان إماما فى المعقولات ، أخذ عنه العز بن جماعة ، ودرس بالشيخونية (٢٦٤) ، كانت لحيته طويلة جدا تصل إلى رجليه ، وإذا نام يجعلها فى كيس ، وإذا ركب انفرقت فرقتين فكل من رآه يقول : سبحان الخالق ، فكان يقول : «أشهد أن العوام مؤمنون بالاجتهاد لا بالتقليد ، لأنهم يستدلون بالصفة على الصانع » ، مات سنة ثمانين وسبعمائة .

العلاء على بن أحمد بن محمد السرائى ، كان من أكابر العلماء بالمعقولات وإليه المنتهى فى علم المعانى والبيان ، استدعاه برقوق ، فقرره شيخا فى مدرسته ، مات سنة تسعين وسبعمائة وقد جاوز السبعين .

ابن صغير ، الرئيس علاء الدين ، على بن عبد الواحد بن محمد ، كان أعجوبة فى الفن ، ولى رياسة الطب دهراً طويلا ، وله فيه المعرفة التامة ؛ بحيث كان يصف الدواء الواحد للمريض الواحد بما يساوى ألفاً وبما يساوى درهما ، مات سنة ست وتسعين وسبعمائة .

قنبر بن عبد الله الشروانى ، اشتغل فى بلاده ، وقدم الديار المصرية فأقام بالجامع الأزهر يشغل الطلبة ، وكان ماهراً فى العلوم العقلية ، حسن التقرير ، معرضاً عن الدنيا ، قانعا باليسير ، لا يتردد إلى أحد ، وكان يحب السماع (٢٦٥) ، مات سنة إحدى وثمانمائة .

---

(٢٦٥) أى سماع الموسيقى .

ابن جماعة ، عز الدين ، محمد بن أبي بكر ، ولد سنة تسع وخمسين وسبعمائة واشتغل بالعلم صغيراً ومال إلى فنون المعقول فأتقنها إتقانا بالغاً ، وله تصانيف عديدة ، مات سنة تسع عشرة وثمانمائة .

الهروى ، قاضى القضاة ، شمس الدين بن عطاء الله بن محمد بن أحمد ، ولد بهراة (٢٦٦) سنة سبع وستين وسبعمائة ، واشتغل فى بلاده بالعلوم ، وفاق فى العقليات ، ثم قدم القاهرة فولى قضاء الشافعية ، وكتابة السر ، مات سنة تسع وعشرين وثمانمائة .

علاء الدين البخارى ، على بن محمد بن محمد ، علامة الوقت ، ولد سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، وأخذ عن علماء عصره ، ورحل إلى الأقطار ، وبرع فى المعقول وصار إماما ، قدم القاهرة وتصدر للاقراء بها ، وأخذ عنه غالب أهلها ، وكان مع ما اشتمل عليه من العلم غاية فى الورع والزهد والتحرى ، وعدم التردد إلى بنى الدنيا ، مات سنة إحدى وأربعين وثمانمائة

الكافيجى ، محيى الدين ، محمد بن سليمان بن سعد ، ولد قبل سنة ثمانمائة تقريبا ، تقدم فى فنون المعقول حتى صار إماما ، وله تصانيف كثيرة ، مات سنة تسع وسبعين وثمانمائة .

[بعض] من كان بمصر من الوعاظ والقصاص

أبو الحسن على بن محمد بن أحمد ، الواعظ البندارى المصرى ، ارتحل إلى مصر وأقام بها ، وله مصنفات كثيرة فى الحديث ، والوعظ ، والزهد ، مات سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وله سبع وثمانون سنة .

---

(٢٦٦) من أمهات مدن خراسان .

ابن نجا ، الواعظ زين الدين ، على بن إبراهيم بن نجا الدمشقى ، الحنبلى نزيل مصر ، ولد سنة ثمانى وخمسمائة وتفقه ببغداد ، وعاد إلى دمشق ، وقدم مصر ، وصحب السلطان صلاح الدين بن أيوب ، وكان له مكانة عنده ، مات سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

زين الدين ، أحمد بن محمد الأندلسى المصرى ، الواعظ الأديب الشاعر ولد سنة خمس وستمائة ، ومات بالقاهرة سنة أربع وثمانين وستمائة .

[بعض] من كان بمصر من المؤرخين

أبو عمر الكندى (٢٦٧) ، محمد بن يوسف ، صنف كتاب « فضائل مصر » و « قضاة مصر » وكان فى زمن كافور (٢٦٨) .

ابن زولاق ، الحسن بن إبراهيم ، صنف كتابا فى « فضائل مصر » ، مات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة عن إحدى وثمانين سنة .

المسبحى ، محمد بن عبد الله بن أحمد الحرانى ؛ صنف كتاب « تاريخ مصر » وكتابا فى « النجوم » ، وكتاب « التلويح والتصريح » من الشعر [وغيرها] ، مات سنة عشرين وأربعمائة عن أربع وخمسين سنة .

القفطى ، الوزير جمال الدين ، على بن يوسف بن إبراهيم ، وزير حلب ، ولد بقفط سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وهو صاحب « تاريخ النحاة » .

---

(٢٦٧) ولد الكندى فى سنة ٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م وتوفى سنة ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م .

(٢٦٨) هو كافور الاخشيد أمير مصر من ٣٥٥ هـ الى ٣٥٧ هـ .

و « تاريخ اليمن » و « تاريخ مصر » و [غيرها] ، مات بحلب سنة ست وأربعين وستمائة .

ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، قاضي القضاة ، صاحب [كتاب] « وفيات الأعيان » ، ولد سنة ستمائة ، وتفقه على كبار العلماء ، كان سرياً ذكياً أخبارياً ، سكن مصر مدة ، وناب فى القضاء بها ، ثم ولى قضاء الشام عشر سنين ، ثم عزل فأقام بمصر سبع سنين ، ثم رد إلى قضاء الشام ، مات سنة إحدى وثمانين وستمائة .

ركن الدين بيبرس ، الأمير المنصورى الدوادار ، صاحب التاريخ المسمى « بزبدة الفكرة » فى إحدى عشر مجلداً ، مات سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

ابن المتوج (٢٦٩) ، تاج الدين ، محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيرى أحد العدول بمصر ، ولد بها سنة تسع وثلاثين وستمائة ، ألف تاريخ مصر وسماه « إيقاظ المتغفل وإتعاظ المتأمل » .

النويرى ، أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البكرى ، صاحب التاريخ المشهور باسمه ، مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

شهاب الدين الأوحدى ، أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان ، ولد سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وكان لهجا (٢٧٠) بالتاريخ ، ألف كتاباً كبيراً فى « خطط مصر والقاهرة » ، وكان مقرئا أديباً ، مات سنة إحدى عشرة وثمانمائة .

---

(٢٦٩) مات سنة ٧٣٠ هـ = ١٣٢٩ م

(٢٧٠) له ولع .

المقريزى ، تقى الدين ، احمد بن على بن عبد القادر بن محمد ، مؤرخ الديار المصرية ، ولد سنة تسع وستين وسبعمائة ، ولى حسبة القاهرة ، ونظم ونثر ، وألف كتباً كثيرة منها : « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة » و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » و « السلوك لمعرفة دول الملوك » و « التاريخ الكبير » و [غير ذلك] ، مات سنة أربعين وثمانمائة (٢٧١) .

[بعض] من كان بمصر من الشعراء والأدباء

جميل بن عبد الله بن معمر العذرى ، صاحب بثينة ، شاعر إسلامى ، من أفصح الشعراء فى زمانه ، قدم مصر على عبد العزيز بن مروان فأكرمه ، ومات بها سنة اثنتين وثمانين وأنشد لما احتضر :—

بَكَرَ النَّعِىُّ ولم يكُنْ بجميل ... وثوى (٢٧٢) بمصر ثواء غير قُفولِ

قُومي بثينةُ فاندُبى بعويل ... وابْكى خَليلك قبْـل كلِّ خَليل

عزة بنت جميل بن حفص ، أم عمر الحضرمية ، صاحبة كثير ، كانت أبرع الخلق أدبا ، وأحلاهم حديثا ، وقد أمر عبد الملك بن مروان بإدخالها على حرمه ليتعلمن من أدبها ، ماتت بمصر فى أيام عبد العزيز بن مروان .

كثيِّر عزة بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعى ، أشعر الإسلاميين ، أقام بمصر مدة يمدح عبد العزيز بن مروان وهو فى كنفه

---

(٢٧١) بالتحقيق وجد أن وفاته كانت فى سنة ٨٤٥ هـ وليست كما جاء بأصل الكتاب .

(٢٧٢) أقام واستقر .

وزار قبر صاحبته عزة بها ، ورثاها وتغير شعره بعدها ، ثم مات عبدالعزيز ابن مروان ، فقيل له : مابال شعرك قد قصرت فيه ؟. فقال : ماتت عزة فلا اطرب ، وذهب الشباب فلا أعجب ، ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب ، وإنما الشعر من هذه الخلال . مات مابين سنتى خمسين وسبعين ومائة .

أبو نواس ، الحسن بن هانىء الشاعر ، المشهور ، أقام بمصر مدة ، وركب ذات يوم فى النيل فحذر من التمساح فقال :

أضمرتُ للنيل هِجْراناً وتقلية (٢٧٣) إذ قيل لى إنما التمساحُ فى النيل

أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائى المشهور ، صاحب [كتاب] الحماسة شامى ، كان بمصر فى حداثته يسقى الماء بالمسجد الجامع ، ثم جالس الأدباء وأخذ عنهم حتى قال الشعر فأجاد ، وشاع ذكره ، وبلغ المعتصم خبره فحمل إلى بغداد ، وتقدم على شعراء وقته ، مات بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين .

أبو العباس ، عبد الله بن محمد ، الناشىء الشاعر المتكلم المعتزلى ، أصله من الأنبار (٢٧٤) وأقام ببغداد مدة ثم انتقل إلى مصر ، كان شاعرا متفننا فى علوم منها المنطق ، ذكيا فطنا ، وله قصيدة فى فنون العلم على روىّ (٢٧٥) واحد تبلغ أربعة آلاف بيت ، وله عدة تصانيف وأشعار كثيرة ، مات بمصر سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

أحمد بن محمد بن طباطبا (٢٧٦) الشريف الحسنى ، أبو القاسم المصرى الشاعر ، مات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .

---

(٢٧٣) هجرانا وبعدا .
(٢٧٤) بلد بالعراق .
(٢٧٥) قافية .
(٢٧٦) له كتاب معيار الشعر الذى ظهر حديثا .

المتنبي ، أحمد بن الحسين ، أبو الطيب الشاعر المشهور ، ولد بالكوفة وأقام بمصر مدة أربع سنين عند كافور الإخشيد يمدحه ، ثم توهم منه كافور فجفاه فخاف منه المتنبي وهرب، فأرسل كافور فى إثره فأعجزه.

كشاجم ، اسمه محمود بن محمد بن الحسين ، أقام بمصر مدة فاستطابها ، ثم رحل عنها فكان يتشوق إليها ، ثم عاد إليها فقال :

قد كانَ شوقى إلى مَصر يُؤرّقنى　　فالآن عُدْتُ وعَادَتْ مصرُ لى داراً

ظافر بن القاسم (٢٧٧) الحداد الجذامى الإسكندرى ، الشاعر المحسن ، صاحب الديوان ، مات سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

محمود بن إسماعيل بن قادوس ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية ؛ وشيخ القاضى الفاضل، وكان يسميه ذا البلاغتين، مات سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

الحسن بن على بن إبراهيم الأسوانى ؛ المعروف بالمهذب بن الزبير ؛ ذكره العماد فى « الخريده » وقال : لم يكن بمصر فى زمنه أشعر منه . وأنه أعرف به من أخيه الرشيد بن الزبير ؛ توفى سنة إحدى وستين وخمسمائة .

القاضى الفاضل ، أبو على، عبد الرحيم بن على ، البيسانى العسقلانى المصرى ، محى الدين ، الوزير ، صاحب ديوان الإنشاء ، ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، قيل إن رسائله لو جمعت لبلغت مائة مجلد ، وله آثار جميلة ، وأفعال حميدة ، مات سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بمصر .

---

(٢٧٧) له ديوان شعر .

العماد الكاتب ، محمد بن محمد بن حامد ، الوزير ، الأصفهانى، ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصبهان[٢٧٨]، وتفقه ببغداد، وأتقن الفقه والخلاف والعربية ، ثم تعانى[٢٧٩] الكتابة والترسل والنظم ، فحاز قصب السبق ، وصنف التصانيف الأدبية ، مات سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

ابن قلاقس ، عبد الله بن مخلوف بن على ، الإسكندرى ، ويلقب بالقاضى الأعز ، من شعراء الدولة الصلاحية[٢٨٠] ، ولد بالإسكندرية سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وكان شاعرا مجيدا ، فاضلا نبيلا ، صحب السلفى فانتفع به ، مات فى عيذاب سنة سبع وستمائة .

الأسعد بن الخطير ، مهذب بن مماتى المصرى ، الكاتب الشاعر ، من شعراء الدولة الصلاحية[٢٨١]، كان ناظر الدواوين ، وله مصنفات عديدة ونظم السيرة الصلاحية وكتاب كليلة ودمنة ، وله ديوان شعر ، مات سنة ست عشرة وستمائة ، عن اثنتين وستين سنة .

جعفر بن شمس الخلافة ، محمد بن مختار ، يلقب مجد الملك ، الأديب الكبير ، له ديوان وتصانيف ، ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ومات سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

---

(٢٧٨) هى أصفهان بايران .

(٢٧٩) اشتغل .

(٢٨٠) الدولة الأيوبية التى أسسها صلاح الدين الأيوبى وقد حكمت مصر من سنة ٥٦٤ - ٦٤٨ هـ = ١١٦٩ - ١٢٥٠ م

(٢٨١) راجع ٢٨٠

ابن بصاقة ، نصر الدين هبة الله ، بن عبد الباقى الغفارى ، كان أكتب أهل زمانه ، وأطولهم باعا فى الأدب ، وله ديوان شعر ، ولد بقوص سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، ومات بدمشق سنة ست وخمسين وستمائة .

ابن مطروح ، الصاحب جمال الدين ، يحي بن عيسى بن مطروح أحد الشعراء المجيدين ، وصاحب التصانيف المفيدة فى الأدب ، توفى سنة أربع وخمسين وستمائة .

سيف الدين ، أبو الحسن على بن عمر ، المعروف بالمشد ، الشاعر المعروف ولد بمصر سنة عشرين وستمائة ، وتولى شد (٢٨٢) الدواوين ، وله ديوان شعر مشهور ، مات يوم عاشوراء سنة ست وخمسين وستمائة .

البهاء زهير بن محمد بن على بن يحي الأزدى المصرى ، الشاعر الكاتب ، صاحب الديوان المشهور ، ولد بمكة ، ونشأ بقوص ، ثم قدم إلى القاهرة ، وخدم الملك الصالح [أيوب] ، مات سنة ست وخمسين وستمائة .

السعيد ، أبو القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك المصرى ، الشاعر المشهور ، صاحب الديوان البديع فى الموشحات الذى سماه « دار الطراز » ، كان أحد الفضلاء ، والرؤساء النبلاء ، أخذ الحديث والنحو ، وكتب بديوان الإنشاء مدة ، وكان بارع الترسل والنظم ، واختصر كتاب « الحيوان للجاحظ » وسماه « روح الحيوان » ، ولد فى حدود خمسين وخمسمائة ، ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة .

---

(٢٨٢) حسابات وتنظيم .

ابن الخيمى ، محمد بن عبد المنعم الأنصارى اليمنى ، قدوة فى الطريقة [الصوفية] ، وأسوة فى علم الحقيقة ، إلا أن صناعة الأدب عليه أغلب ، وعلم الشعر فيه أرجح ، حامل لواء النظم فى وقته ، مات سنة خمس وثمانين وستمائة عن نيف وثمانين سنة .

محى الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان المصرى ، الأديب ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، وأحـــد البلغاء المذكورين ، له النظم الفائق ، والنثر الرائق ، ومصنفات منها : « سيرة الملك الظاهر » ، ولد سنة عشرين وستمائة ، ومات بمصر سنة اثنتين وتسعين وستمائة .

شهاب الدين ، أحمد بن عبد الملك العزازى ، الشاعر المحسن ، ديوانه فى مجلدين ، مات بمصر سنة اثنتين وتسعين وستمائة .

الشرف البوصيرى ، صاحب البردة (٢٨٣) ، محمد بن سعيد بن حماد ، المغربى الأصل ، البوصيرى المنشأ ، ولد بناحية دلاص (٢٨٤) سنة ثمان وستمائة ، وبرع فى النظم ، مات سنة خمس وتسعين وستمائة .

شهاب الدين ، أحمد بن محى الدين بن فضل الله ، كاتب السر بالديار المصرية ، الأديب الناظم الناشر ، صاحب كتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » وغيره ، ولد سنة سبعمائة ، ومات سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

---

(٢٨٣) البردة : قصيدة مشهورة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢٨٤) احدى مدن الوجه القبلى بمديرية بنى سويف .

ابن نباته ، الأديب جمال الدين ، محمد بن محمد بن الحسن الجذامى ، ولد بمصر سنة ست وثمانين وستمائة ، وفاق أهل زمانه فى النظم والنثر ، وهو أحد من حذا حذو القاضى الفاضل وسلك طريقه ، مات سنة ثمان وستين وسبعمائة .

ابن أبى حجلة ، شهاب الدين أحمد بن يحى بن أبى بكر ، التلمسانى ، نزيل القاهرة ، ولد سنة خمس وعشرين وسبعمائة ومهر فى الأدب والنظم والنثر والترسل ، وعمل المقامات وغيرها ، وله مجاميع كثيرة منها « السكردان [٢٨٥] » « وحاطب الليل [٢٨٦] » و [غيره] ، مات سنة ست وسبعين وسبعمائة .

ابن حجة ، تقى الدين أبو بكر بن على الحموى ، نزيل القاهرة ، رأس أدباء العصر ، صاحب البديعية [٢٨٧] المشهورة وشرحها ، و ثمار الأوراق [٢٨٨] وغير ذلك من التصانيف الأدبية ، مات سنة سبع وأربعين وثمانمائة .

النواجى ، شمس الدين محمد بن حسن بن على ، ولد سنة سبع وثمانين وسبعمائة ، وأمعن النظر فى علوم الأدب حتى فاق ، وألف كتبا منها : « تأهيل

---

(٢٨٥) مجموعة من آداب السلوك ، ونصائح الملوك ، ومدح ورثاء ، وجد وهزل ، وغيرها .

(٢٨٦) كتاب جمع فوائد أدبية ، وهو عشر مجلدات .

(٢٨٨) كتاب فى الأدب يعرف بثمرات الأوزاق ويشتمل على زبدة ما يحتاج اليه فى المجالس والمحافل من النوادر والحكايات .

الأديب » و « الشفاء فى بديع الاكتفاء [٢٨٩] » [وغير ذلك] ، مات سنة تسع وخمسين وثمانمائة .

الشهاب الحجازى، أحمد بن محمد بن على ، الأنصارى الخزرجى ، الفاضل الأديب ، الشاعر البارع ، ولد سنة تسعين وسبعمائة، عنى بالأدب كثيراً حتى صار أحد أعيانه ، وصنف كتباً أدبية منها : « روض الآداب » « والقواعد » و « والمقامات من شرح المقامات » [وغير ذلك] ، مات سنة خمس وسبعين وثمانمائة ، وقال الشهاب المنصورى يرثيه بقصيدة [منها] :

كانَ فى مطلع البلاغـة يَسْرِى فتوارى [٢٩٠] مِنَ الثرى بحِجَاب
يَا شِهاباً طلوعُه فِى سمَـا الفَضْل ولـكِنْ أفوله [٢٩١] فى الترَاب

الشهاب المنصورى ، أبو العباس أحمد بن محمد بن على ، المعروف بالهائم ، ولد سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، واشتغل وفهم شيئا من العلم ، وبرع فى الشعر وفنونه ، وتفرد به فى آخر عمره ، وله ديوان كبير ، مات سنة سبع وثمانين وثمانمائة .

القادرى ، شمس الدين محمد بن أبى بكر بن عمر بن عمران، الأنصارى السعدى ، الدنجاوى ، ولد سنة خمس عشرة وثمانمائة ، واشتغل بالعلم،

---

(٢٨٩) كتاب فى الادب .

(٢٩٠) اختفى .

(٢٩١) مغيبه .

وقال الشعر فأكثر ، وبرع فى فنون الأدب نظما ونثراً ، مات سنة ثلاث وتسعمائة ، ومن نظمه قصيدة منها :

شَجَاكَ بِرَبْعِ[٢٩٢] العَامِرِيَّةِ مَعهدُ
به أنكرتْ عَيْناكَ ما كُنْتَ تعهدُ

تَرَحَّلَ عَنهُ أَهْلُهُ بأهِلَّةٍ[٢٩٣]
بأحْداجِها[٢٩٤] غيدٌ مِن العينِ خُرَّدُ[٢٩٥]

كواعِبُ أتراب[٢٩٦] حِسانٌ كَأَنَّها
بُدُورٌ بأغْصانِ النَّقا يَتأوَّدُ[٢٩٧]

وَممَّا شَجَانِى فوْقَ عُودٍ حَمامة
تُرجِّعُ ألحاناً لها وتُغَرِّدُ

تم الجزء الأول

---

(٢٩٢) الدار بعينها حيث كانت ، فربع العامرية - دار العامرية .
(٢٩٣) جمع هلال .
(٢٩٤) مراكب النساء وهى كالمحفات .
(٢٩٥) الأبكار المتسترات .
(٢٩٦) نواهد مستويات السن .
(٢٩٧) ينحنى ، ينثنى



الجزء الثاني

من الكتاب



[بعض] أمراء مصر منذ فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد

أول أمير هو عمرو بن العاص ، ولاه عمر بن الخطاب على الفسطاط وأسفل الأرض ، وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح على الصعيد إلى الفيوم .

[وفى أيام عمرو] أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال « يا أمير المؤمنين ! عائذ بك من الظلم ! سابقت ابن عمر فسبقته ، فجعل يضربنى بالسوط ، ويقول : أنا ابن الأكرمين » فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ومعه ابنه [فلما] قدم ، قال عمر [للمصرى] « خذ السوط فاضرب » فجعل يضربه بالسوط ، ويقول عمر « اضرب ابن الأكرمين » ثم قال « ضعه على صلعة عمرو » فقال « يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذى ضربنى وقد أشفيت منه » فقال عمر [لعمرو] « مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » ؟؟ فقال [عمرو] « يا أمير المؤمنين ! لم أعلم ولم يأتنى » .

[ولما استخلف عثمان بن عفان] عزل عمْرا ، وولى عبد الله بن سعد أميراً على مصر كلها ، وذلك فى سنة خمس وعشرين هـ . فانتقل عمرو إلى المدينة وفى نفسه من عثمان أمر كبير ، وكره أهل مصر عبد الله بن سعد ، فاشتغل عبد الله عنهم بقتال أهل المغرب ، وفتحه بلاد البربر وإفريقية ، ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة ، يؤلبون (١) الناس على حرب عثمان والإنكار عليه فى عزله عمراً وتوليه من دونهم ، فساروا إلى المدينة

---

(١) يحرضون .

وسألوه أن يعزل عنهم ابن أبى سرح ويولى محمد بن أبى بكر أميراً ، فأجابهم إلى ذلك .

فلما رجعوا إذا هم براكب ، فأخذوه وفتشوه ، فإذا فى أدواته كتاب إلى ابن أبى سرح على لسان عثمان بقتل بن أبى بكر وجماعة معه ، فرجعوا إلى عثمان ، فحلف ما له علم بذلك وثبت أن مروان زوره على لسانه وزور خاتمه .

وكان ذلك سبب تحريض المصريين على قتل عثمان ، حتى حصروه وقتلوه ، وكان الذى قتله رجل من مصر ، قتل هو أيضاً فى الحال ،ونهبوا دار عثمان ، ثم عدلوا إلى بيت المال فأخذوا ما فيه ، وذلك سنة خمس وثلاثين هـ .

وبقيت المدينة خمسة أيام بلا خليفة ، والمصريون يلحون على «علىّ» أن يبايعوه وهو يهرب منهم ، ويطلب الكوفيون «الزبير» فلا يجدونه ، والبصريون «طلحة» فلا يجيبهم ، فمضوا إلى سعد بن أبى وقاص فلم يقبل منهم ، ثم جاءوا إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فحاروا فى أمرهم ، فرجعوا إلى «على» فألحوا عليه فبايعوه .

وأشار ابن عباس (٢) باستمرار نواب عثمان فى البلاد إلى حين آخر فأبى عليه «على» ، وعزل عبد الله بن سعد عن مصر وولى قيس بن سعد بن عبادة .

[غير أن] محمد بن أبى حذيفة كان قد تغلب على مصر وأخرج منها

---

(٢) عبد الله بن عباس من كبار الصحابة .

بن أبى سرح لما بلغه حصر عثمان . وسار ابن أبى سرح فجاءه الخبر فى الطريق بقتل عثمان ، فذهب إلى الشام ، وأخبر معاوية بما كان من امره بديار مصر .

ثم سار قيس بن سعد إلى مصر بولاية على ، ودعاهم إلى البيعة فبايعوا واستقامت له طاعة مصر سوى قرية خربتا (٣) ، [إذ كان] بها أناس قد أعظموا قتل عثمان ، وكانوا نحوا من عشرة آلاف منهم بسر بن أرطاة ومسلمة بن مخلد [وغيرهما] فبعثوا إلى قيس فوادعهم ، وضبط مصر وسار فيها سيرة حسنة ، وكانت [ولايته] فى سنة ست وثلاثين هـ .

[ولقد] كتب معاوية إليه يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان، ووعده أن يكون نائبه على العراقين (٤) إذا تم له الأمر ، فلما بلغه الكتاب ؛ لم يخالفه ولم يوافقه بل بعث يلاطف معه الأمر ، وذلك لبعده من على وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود ، فسالمه قيس وتركه ، فلما بلغ ذلك عليا اتهمه ، وكتب إليه أن يغزو الذين تخلفوا عن البيعة فبعث يعتذر وكتب إليه « إن كنت أمرتنى بهذا لتختبرنى فابعث على عملك بمصر غيرى » . فولى « على » محمد بن أبى بكر .

فلم يزل بمصر قائماً بالأمر مهيبا حتى بلغ [المصريون] خبر وقعة صفين والتحكيم فطمعوا واجترؤا عليه ، وبارزوه بالعداوة ، و[بلغ علياً ذلك] فولى الأشتر النخعى.

وعظم على معاوية تولية الأشتر [طمعا فى مصر] ، فتقدم إلى مقدم

---

(٣) كانت فى كورة الحوف ، بشرقى الدلتا .

(٤) الكوفة والبصرة .

الخراج فى أن يحتال على الأشتر ليقتله ، فلما سار الأشتر إلى مصر ، قدم إليه مقدم الخراج طعاما وشرابا من عسل فمات به .

وتأسف « على » على وفاة الأشتر لشجاعته ، وكتب إلى محمد بن أبى بكر باستقراره واستمراره بديار مصر .

ولما انقضى التحكيم وسلم أهل الشام لمعاوية بالخلافة ؛ جمع أمراءه واستشارهم فى المسير إلى مصر فاستجابوا له ، وعين نيابتها لعمرو بن العاص إذا فتحها . وجهز معاوية عمراً فى ستة آلاف مقاتل ، فسار إليها واجتمعت عليه العثمانية (٥) وهم عشرة آلاف ، فكتب إلى محمد بن أبى بكر « تنح عنى بدمك ، إن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك » فأغلظ ابن أبى بكر لعمرو فى الجواب وخرج فى ألفى فارس . فأقبل عليه الشاميون فأحاطوا به من كل جانب [ففر] ، ودخل عمرو الفسطاط فى صفر سنة ثمان وثلاثين هـ . وقتل محمد بن أبى بكر . ثم كتب إلى معاوية يخبره بما كان ، فأقامه أميراً بمصر إلى أن مات بها سنة ثلاث وأربعين ، ودفن بالمقطم .

[وتعاقب الولاة على مصر حتى ولى] مسلمة بن مخلد سنة خمسين ، فجمعت له مصر والمغرب ، وهو أول وال جمع له ذلك ، و [فى عهده] بنيت أول كنيسة فى فسطاط مصر ، وأقام أميراً إلى أن مات سنة اثنتين وستين .

ولما ولى ابن الزبير (٦) الخلافة بعد موت يزيد [بن معاوية] وذلك فى سنة أربع وستين ؛ استناب على مصر عبد الرحمن بن مخرم القرشى

---

(٥) أنصار عثمان بن عفان رضى الله عنه ، المطالبون بدمه .

(٦) عبد الله بن الزبير ، نودى به خليفة بعد موت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان واستمر تسع سنوات حتى قتله الحجاج بن يوسف الثقفى فى خلافة عبد الملك بن مروان .

الفهرى ، فقصد مروان (٧) مصر فتملكها ، وجعل عليها ولده عبدالعزيز وذلك فى سنة خمس وستين ، فلم يزل أميراً بها عشرين سنة ، ثم وقع الطاعون بالفسطاط ، فخرج عبد العزيز إلى حلوان ، ومات بها سنة ست وثمانين ، ودفن بمقبرة الفسطاط .

ثم ولى عبد الله بن عبد الملك [بن مروان] وكان حدثاً ، وهو أول من نقل الدواوين إلى العربية ، وأول من نهى الناس عن لباس البرانس فأقام إلى سنة تسعين ، ثم عزله أخوه الوليد .

وولى قرة بن شريك العبسى ، وكان ظلوماعسوفا ، و [فى عهده] بنى بفسطاط مصر المسجد الذى فى حصن الروم ويعرف بمسجد العيلة ، ومات قرة بمصر سنة تسع وتسعين .ه

[وتعاقب الولاة دون أحداث هامة] حتى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فقامت الدولة العباسية وانهزم مروان (٨) [بن محمد] وهرب إلى مصر ، وقام السفاح (٩) فولى نيابة الشام ومصر صالح بن على بن عبد الله بن عباس ، فسار حتى قتل مروان ، ورجع إلى الشام واستخلف على مصر أباعون عبد الملك بن يزيد الأزدى ، فأقام إلى سنة ست وثلاثين ومائة . [ثم تتابع

---

(٧) مروان بن الحكم الخليفة الاموى من ٦٤ - ٦٥ هـ .

(٨) آخر خلفاء بنى أمية ويلقب بالحمار لكثرة تحمله فى الحروب وقد قتل بقرية بوصير قرب مدينة الفيوم سنة ١٣٢ هـ .

(٩) أبو عبد الله السفاح أول خليفة عباسى من ١٣٢ هـ - ١٣٦ = ٧٥٠ - ٧٥٤ م .

(١٠) هارون الرشيد الخليفة العباسى من ١٧٠ هـ - ١٩٢ هـ = ٧٨٦ - ٨٠٩ م .

الولاة] فولى الرشيد(١٠) عليها جعفر بن يحيي البرمكى سنة ست وسبعين ومائة ، فاستناب عليها عمر بن مهران وكان شيعيازرى الشكل أحول ، وسبب [توليته] أن الرشيد بلغه أن موسى بن عيسى [واليها آنئذ] عزم على خلعه ، فقال : والله لأولين عليها أنجس الناس » فاستدعى عمر بن مهران وولاه على [مصر] نيابة عن جعفر ، فسار عمر إليها على بغل وغلامه أبو درة على بغل آخر فدخلها ، فانتهى إلى مجلس موسى بن عيسى ، فجلس فى أخريات الناس حتى انفضوا ، فأقبل عليه موسى وهو لا يعرف من هو فقال « ألك حاجة يا شيخ » قال « نعم أصلح الله الأمير » ثم مال بالكتب فدفعها اليه ، فلما قرأها قال « أنت عمر بن مهران » قال « نعم » فقال « لعن الله فرعون حين قال ، أليس لى ملك مصر » ثم سلم إليه العمل وارتحل منها . وفى سنة سبع وسبعين ومائة عزل الرشيد جعفرا من مصر وولى عليها إسحق بن سليمان . [وتتابع بعده عليها الولاة حتى إذا كانت سنة عشر ومائتين وجه المأمون [بن هارون الرشيد] عبد الله بن طاهر إلى مصر ، فاستنقذها من عبد الله بن السرى بعد حروب يطول ذكرها .

وفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ثار رجلان بمصر وهما عبد السلام وابن حليس ، فخلعا المأمون واستحوذا على مصر ، وتابعهما طائفة من القيسية واليمنية(١١) ، فولى المأمون أخاه أبا إسحاق الرشيد نيابتها مضافة إلى الشام ، فقدمها سنة أربع عشرة ومائتين .

---

(١١) قبيلتان عربيتان .

وفى سنة ست عشرة ومائتين ولى عيسى بن منصور مولى بنى نصر ، وفى أيامه قدم المأمون مصر .

[وتتابع الولاة حتى] ولى أحمد بن طولون[١٢] فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وأضيفت إليه نيابة الشام والعواصم والثغور وإفريقية، فأقام مدة طويلة، وفتح مدينة إنطاكية[١٣]،وبنى بمصر جامعه المشهور، وكان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد السامانى عامل بخارى إلى الخليفة ، وأمه جارية تركية . ولقد طلب الأتراك من أحمد أن يقتل المستعين[١٤] ويعطوه واسطا ، فأبى وقال «والله لا تجرأت على قتل أولاد الخلفاء» . فلما ولى مصر قال: «لقد وعدنى الأتراك إن قتلت المستعين أن يولونى واسطاً ، نخفت الله ولم أفعل ، فعوضنى سبحانه ولاية مصر والشام وسعة الأحوال» .

قال بعض أصحابه «ألزمنى ابن طولون صدقاته وكانت كثيرة» ، فقلت له يوما «ربما امتدت إلىّ اليد المطوقة بالجوهر ، والمعصم ذى السوار ، والكم الناعم ، أفأمنع هذه الطبقة ؟» فقال : «هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، احذر أن ترد يداً امتدت إليك، وأعط من استعطاك ، فعلى الله تعالى أجره»، وكان يتصدق فى كل أسبوع بثلاثة آلاف دينار ، سوى الراتب ، ويجرى على أهل المساجد

(١٢) مؤسس الدولة الطولونية التى حكمت مصر من ٢٥٤ - ٢٩٢ هـ = ٨٧٨ - ٩٠٥ م .

(١٣) مدينة بالشام .

(١٤) الخليفة العباسى ببغداد حكم من ٢٤٨ - ٢٥٢ هـ = ٨٦٢ - ٨٦٦ م .

فى كل شهر ألف دينار ، وكان خراج مصر فى أيامه [أربعة ملايين وثلاثمائة ألف دينار]،واستمر ابن طولون أميرا إلى أن مات بمصر فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين .

وولى بعده ابنه أبو الجيش خمارويه ، وأقام مدة طويلة ثم ذبحه بعض خدمه على فراشه بدمشق سنة اثنتين وثمانين ومائتين .

وولوا بعده ولده جيش ، فأقام تسعة أشهر ثم قتلوه ، ونهبوا داره.

وولوا هارون بن خمارويه ، وقد التزم فى كل سنة [بمليون وخمسمائة دينار] تحمل إلى باب الخليفة المعتضد [١٥] فأقره على ذلك ، فلم يزل إلى سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فدخل عليه عماه شيبان وعدى ابنا أحمد بن طولون وهو ثمل [١٦] فى مجلسه فقتلاه .

وولى عمه أبو المغانم شيبان اثنى عشر يوما ثم سلم الولاية إلى محمد بن سليمان الواثق ، وانقضت دولة الطولونية عن الديار المصرية .

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ولى محمد بن طغج الإخشيد [١٧] ، وفى هذا الوقت كان ضعف أمر الخلافة ، وتغلب الأطراف ، وبطل معنى الوزارة ، وصارت الدواوين تحت حكم أمير الأمراء محمد بن رائق ، وصارت الدنيا فى أيدى عمالها [١٨] ، فأقام محمد بن طغج فى مصر إلى أن مات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

---

(١٥) الخليفة العباسى ببغداد من ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ = ٨٩٢ - ٩٠٢ م .
(١٦) مخمور .
(١٧) مؤسس الدولة الاخشيدية التى حكمت مصر من ٣٢٣-٣٥٨ هـ = ٩٣٥-٩٦٩ م .
(١٨) أى نشأت الدويلات المنفصلة فى عصر الضعف العباسى .

وقام ابنه أبو القاسم أنوجور ومعناه بالعربية «محمود مقامه» وكان صغيراً ، فأقيم كافور الخادم الأسود أتابكا (١٩) فكان يدبر المملكة ، فاستمر إلى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة فمات أنوجور .

وقام بعده أخوه على فاستمر إلى أن مات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . فاستقرت المملكة باسم كافور ؛ يدعى له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية والحجاز ، فأقام سنتين وأربعة أشهر .

كان كافور خصيا حبشياً اشتراه الإخشيد من بعض أهل مصر ، ثم تقدم عنده لعقله ورأيه ، إلى أن صار من كبار القواد ، ثم لما مات أستاذه [محمد بن طغج] ، كان أتابك ولده أنوجور وكان صبياً ، فغلب كافور على الأمور ، وصار الاسم للولد ، والحكم لكافور ، ثم استقل بالأمر [بعد موت ولدى الإخشيد] . قال أبو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوى ، كنت أساير كافور يوما فسقطت مقرعته من يده ، فبادرت بالنزول وأخذتها من الأرض ودفعتها إليه ، فقال لى ، « أيها الشريف ، أعوذ بالله من بلوغ الغاية ، ما ظننت أن الزمان يبلغنى حتى يفعل بى هذا » ، وكاد يبكى ، « أنا صنيعة الأستاذ (٢٠) ووليه » . فلما بلغ باب داره ودعته وسرت » فإذا بالبغال والجنائب بمراكبها ، وقال أصحابه « أمر الأستاذ (٢١) بحمل هذا إليك » . وقد مدحه المتنبي بقوله :

قواصِدُ كافورٍ ، توارِكُ غيرِه ومَنْ قَصد البَحْرَ استَقَلَّ السَّواقيا

فجاءت بِنا إنسان عَين زمَانِه وخَلَّت بياضاً خَلْفَها ومآقيا

(١٩) وصيا .
(٢٠) يقصد محمد بن طغج الاخشيد مؤسس الدولة الاخشيدية .
(٢١) أى كافور .

ثم هجاه بقوله :

مَنْ عَلَّمَ الأسْوَدَ المخصِيَّ مكرُمَةً أقَوامُهُ البيضُ أمْ آباؤُهُ الصِّيدُ[٢٢]

وذاكَ أنَّ الفُحولَ[٢٣] البيضَ عاجِزَةٌ عَنْ الجميلِ فكَيفَ الخِصْيَةُ السودُ

أمراء مصر من بنى عبيد[٢٤]

لما توفى كافور الإخشيدى ، لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه ، فأصابهم غلاء شديد أضعفهم ، فلما بلغ ذلك المعز أبا تميم معد بن المنصور إسماعيل وهو ببلاد شمال إفريقية ، بعث جوهر ، وهو القائد الرومى فى مائة ألف مقاتل ، فدخلوا مصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . فهرب أصحاب كافور ، وأخذ جوهر مصر بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة ، فخطب جوهر للمعز على منابر مصر وسائر أعمالها ، وأمر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون أن يؤذنوا « بحى على خير العمل[٢٥] » ، فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له رداً ، وصبروا لحكم الله . وشرع فى بناء القاهرة والقصرين[٢٦] والجامع الأزهر ، وأرسل بشيرا إلى المعز يبشره بفتح مصر .

ثم توجه المعز من المغرب فوصل الإسكندرية فى شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، وتلقاه أعيان مصر بها فخطب هناك خطبة بليغة .

---

(٢٢) العظماء .
(٢٣) العظماء الكرام .
(٢٤) هم الفاطميون وقد حكموا مصر من ٣٥٨ـ٥٦٧ هـ = ٩٣٥ـ ١١٧١ م .
(٢٥) بدلا من « حى على الفلاح » .
(٢٦) كان موضعهما ما يعرف الآن بحى بيت القاضى ومجموعة قلاوون.

وسار من الإسكندرية إلى القاهرة فدخلها ، و نزل بالقصرين ، فكان أول [قضية](٢٧) انتهت إليه ؛ « أن امرأة كافور الإخشيدى تقدمت إليه فذكرت له أنها كانت اودعت رجلا من اليهود الصواغ قبـاء(٢٨) من لؤلؤ منسوج بالذهب ، وأنه(٢٩) جحد ذلك ، فاستحضره وقرره ، فأنكر اليهودى ، فأمر أن تفتش داره ، فوجد القباء فى جرة [مدفونة] ، فدفعه المعز إليها فقدمته إليه وعرضته عليه ، فأبى ان يقبله منها ورده عليها ، فاستحسن ذلك منه الحاضرون من مؤمن وكافر » .

[وفى عهده] سار «الحسن بن أحمد القرمطى» فى جيش كثيف [إلى مصر وانضم إليه] « حسان بن الجراح الطائى» أمير العرب والشام ، وضعف جيش المعز عن مقاومتهم ، فراسل «حسانا» ووعده بمائة ألف دينار إن هو خذل بين الناس ،[فرد حسان] « أن ابعث إلى بما التزمت ، فإذا التقينا انهزمت بمن معى » ، فأرسل إليه المعز مائة ألف دينار فى أكياس ، وجعل [النحاس الملبس بالذهب] فى أسفل الأكيـاس ، ووضع فى رؤوس الأكيـاس الدنانير الخالصة ، وركب فى أثرها بجيشه ، ونشبت الحرب بينهم ، فانهزم حسان بالعرب ، فضعفت جانب القرمطى ،فكسره المعز،واستمر المعز بالقاهرة إلى أن مات سنة خمس وستين وثلاثمائة .

وولى بعـده ابنه العزيز أبو منصـور نزار ، ومن غرائبـه أنه استوزر رجلا نصرانيا يقـال له « عيسى بن نسطورس » وآخر يهـوديا اسمه « ميشا» ، فعز بسببهما اليهود والنصارى ، حتى كتبت إليه امرأة فى

---

(٢٧) حكم .
(٢٨) ثوب يلبس فوق الثياب .
(٢٩) أنكر .

حاجة لها تقول « بالذى أعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بميشا ، وأذل المسلمين بك ، لما كشفت عن ظلامتى » ، فعند ذلك أمر بالقبض على هذين ، وأخذ من النصرانى ثلاثمائة ألف دينار ، واقام العزيز إلى أن مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة .

وولى بعده ابنه الحاكم فكان شر الخليقة ، رام [٣٠] أن يدعى الألوهية كما ادعاها فرعون ، فأمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفاً إعظاماً لذكره واحتراماً لاسمه ، وفعل ذلك فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين ، وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجدا ، حتى أنه يسجد بسجودهم الرعاع وغيرهم فى الأسواق ، وزاد ظلمه فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون : يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت .

كان جباراً عنيداً شيطاناً مريداً كثير التلون فى أقواله وأفعاله ، هدم كنائس مصر ثم أعادها ، ومن قبائحه ؛ أنه ابتنى المدارس وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ثم قتلهم وخربها ، وأمر الناس باغلاق الأسواق نهاراً وفتحها ليلا فاحتملوا ذلك زمناً طويلا ، حتى اجتاز هو مرة بشيخ يعمل النجارة فى أثناء النهار فوقف عليه وقال « ألم ننهكم من هذا ! » فقال الشيخ « يا سيدى ! أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنهار فهذا من جملة السهر » فتبسم وتركه وأعاد الناس إلى أمرهم الأول .

ومنع النساء من الخروج من منازلهن ومن أن يطلعن من الطاقات ، أو الأسطحة ، كما منع الخفافين [٣١] من عمل الأخفاف لهن ،

---

(٣٠) أحب وطلب .
(٣١) صانعو الاخفاف « الحذاءون » .

ومنعهن من دخول الحمامات ، وقتل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك، وهدم بعض الحمامات عليهن .

ومنع طبخ الملوخيا ، وله رعونات كثيرة لا تنضبط فأبغضه الخلق ، وكتبوا له الأوراق بالشتم له ولأسلافه فى صورة قصف .

[واشتد غضبه على المصريين يوما] فأمر العبيد من السودان أن يحرقوا مصر وينهبوا ما فيها من الأموال والحريم ففعلوا ، فقاتلهم أهل مصر قتالا عظيما ثلاثة أيام والنار تعمل فى الدور والحريم ،فاجتمع الناس فى الجوامع ورفعوا المصاحف ، وجاروا إلى الله تعالى واستعانوا به ، وما انجلى الحال حتى احترق من مصر نحو ثلثها، ونهب نحو نصفها، وسبي حريم كثير، وُفعلت بهن [الفاحشة] .واشترى الرجال من سبى لهم من النساء والحريم من أيدى العبيد .

وتعدى شره إلى أخته يتهمها بالفاحشة ، ويسمعها أغلظ الكلام فعملت على قتله ، فركب ليلة إلى جبل المقطم ينظر فى النجوم فأتاه عبدان فقتلاه، وحملاه إلى أخته ليلا فدفنته فى دارها، وذلك سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

وولى بعده ابنه أبو الحسن على ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله ، فأقام إلى أن توفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة وكانت سيرته جيدة .

وولى بعده ابنه أبو تميم معد ولقب المستنصر ، وكان عمره سبع سنين فطالت مدته جدا - إذ أقام ستين سنة،وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وولى بعده ابنه أبو القاسم أحمد ولقب المستعلى ،فأقام إلى أن توفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

وولى بعده ابنه أبو على منصور ولقب الآمر بأحكام الله، وكان له من العمر خمس سنين وشهر وأيام ، [وصار] سيء السيرة ، فعدّى يوما إلى الروضة فى فئة قليلة،فخرج عليه قوم بالسيوف فأسخنوه ، فقتل سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

وبعد قتله تغلب على الديار المصرية الوزير « أبو على أحمد بن الأفضل بدر الجمالى »، فأقام الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميمون عبدالمجيد بن الأمير أبى القاسم بن المستنصر بالله .

واستحوذ الجمالى على الأمير ، وحصره فى مجلس لا يدخل إليه أحد إلا من يريده ، وخطب لنفسه على المنابر، ونقل الأموال من القصر إلى داره ،ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط ، وظل هكذا حتى قتل الوزير الجمالى، فعظم أمر الحافظ ، وجدد له ألقاب لم يسبق إليها ، وخطب له بها على المنابر ، وكان الحافظ كثير المرض ، واستمر على الولاية إلى أن مات سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

وولى بعده ولده الظافر بالله أبو المنصور إسماعيل، فأقام إلى أن قتل فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

وولى بعده ولده الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى ، وهو صبى صغير ابن خمس سنين ، وكان مدبر دولته أبو الغارات طلائع بن رُزّيك، ومات الفائز سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وولى بعده العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ، وهو آخر العبيديين، ومات سنة سبع وستين وخمسمائة .

وزالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله .

لم يكن للمستنصر ومن بعده من الخلافة سوى الاسم فقط ، لاستيلاء وزرائهم على الأمور، وحجرهم عليهم، وتلقبهم بألقاب الملوك .

أمراء مصر من حين ملكها بنو أيوب الى أن اتخذها الخلفاء العباسيون دارا للخلافة

بعد قتل الظافر الفاطمي وتوليه الفائز [الصبي الصغير] ؛ وصلت الأخبار إلى بغداد، فكتب الخليفة المكتفي العباسي عهدا للملك نور الدين محمود بن زنكي على البلاد الشامية والمصرية، وأرسله إليه، فسار محمود حتى أتى دمشق وانتزعها من يد ملكها ، وشرع في فتح بلاد الشام بلدا بلدا ، وأخذ ما بأيدي الفرنج منها ، وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة ؛ أقبلت الفرنج في محافل (٣٢) كثيرة إلى الديار المصرية ، فأرسل نور الدين محمود « أسد الدين شيركوه بن شادي» ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، فسارا إلى الفرنج فاقتتلوا قتالا عظيما ، فهزم الفرنج ولله الحمد .

ثم سار أسد الدين بعد كسر الفرنج إلى الإسكندرية فملكها ،واستناب عليها صلاح الدين، ثم عاد إلى الصعيد فملكه، فصالح شاور وزير العاضد أسد الدين على الإسكندرية بخمسين ألف دينار فأجابه إلى ذلك .

وخرج صلاح الدين منها وسلمها إلى المصريين وعاد إلى الشام ،

---

(٣٢) في جماعات وأعداد .

وقرر شاور للفرنج على مصر مائة ألف دينار فى كل عام ، وان يكون لهم شحنة[٣٣] بالقاهرة ، فسكن القاهرة أكثر شجعان الفرنج وتحكموا فيها ، بحيث كادوا يستحوذون عليها ويخرجون المسلمين .

فلما كانت سنة أربع وستين وخمسمائة ، قدم إمداد الفرنج فى محافل هائلة فأخذوا مدينة بلبيس ، فقتلوا وأسروا ونزلوا بها ، وجعلوها موئلا ومعقلا ، ثم جاءوا فنزلوا على الفسطاط من ناحية باب الشرقية ، فأمر الوزير شاور الناس أن يحرقوها وأن ينتقلوا إلى القاهرة ، فنهب البلد ، وذهب للناس أموال كثيرة ، وبقيت النار تعمل فى الفسطاط أربعة وخمسين يوما .

فعند ذلك أرسل الخليفة العاضد يستغيث بنور الدين ، وبعث إليه بشعور نسائه يقول « أدركني واستنقذ نسائى من أيدى الفرنج ، وألتزم لك بثلث خراج مصر ، فجهز نور الدين الجيوش وعليهم أسد الدين ومعه صلاح الدين ، فدخلا القاهرة ورجع الفرنج لما سمعوا بوصولهما .

وعظم أمر أسد الدين بمصر ، وقتل صلاح الدين الوزير شاور ، وفرح المسلمون بقتله لأنه كان يمالىء الفرنج على المسلمين ، وأقيم اسد الدين مكانه فى الوزارة ولقب الملك المنصور ، فلم يلبث إلا شهرين وخمسة أيام ومات .

فأقام العاضد ، صلاح الدين مكانه فى الوزارة ولقبه الملك الناصر ، وكان ذلك فى سنة أربع وستين وخمسمائة . وارتفع قدر صلاح الدين بمصر والتفت عليه القلوب ، وخضعت له النفوس .

---

(٣٣) من يقومون بضبط البلد (أى رجال الامن) .

وفى سنة خمس وستين وخمسمائة ، حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما ، فقاتلهم صلاح الدين حتى أجلاهم .

وأرسل نور الدين إلى صلاح الدين يأمره أن يخطب للخليفة العباسى بمصر ، فشرع فى تمهيد الخطبة ، فقطع الآذان « بحى على خير العمل » من مصر كلها ، وعزل القضاة ، لأنهم كلهم كانوا شيعة ، وولى قاضى القضاة صدر الدين بن درباس الشافعى ، واستناب شافعية فى سائر البلاد . وامر صلاح الدين فى سنة سبع وستين وخمسمائة بإقامة الخطبة لبنى العباس بمصر .

ولما بلغ الخبر نور الدين أرسل إلى الخليفة المستضىء (٣٤) يعلمه بذلك ، فزينت بغداد وأغلقت الأسواق ، وفرح المسلمون فرحا شديداً .

وكتب العماد الكاتب عن السلطان صلاح الدين إلى الملك نور الدين يبشره بذلك : —

قَدْ خَطَبنا للمُسْتضىء بِمِصْر نائِب المُصْطَفى إمَام العصْر

وأرسل الخليفة المستضىء إلى صلاح الدين خلعة سنية ، وكتب له تقليداً بالبلاد المصرية واليمنية ، وأضاف إليها بلاد الشام وما تحتوى عليه من المدن ، مستثنيا منها ، ما هو بيد نور الدين إسماعيل بن نور الدين محمود ، وهى حلب وأعمالها .

ولما استقل السلطان صلاح بأرض مصر ، أسقط عن أهلها المكوس والضرائب . وقرأ المنشور بذلك على رءوس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة سنة سبع وستين وخمسمائة .

---

(٣٤) الخليفة العباسى ببغداد

واستولى على القصر وخزائنه وفيها من الأموال ما لا يحصى ، ووجد خزانة كتب ليس فى بلاد الإسلام لها نظير ، تشتمل على نحو [مليونى] مجلد ، فأعطاها للقاضى الفاضل ، وأخذ صلاح الدين فى نصر السنة ، وإشاعة الحق وإهانة المبتدعة ، والانتقام من الروافض (٣٥) .

ثم تجردت همته إلى الفرنج وغزوهم ، فكان من أمره معهم ماضاقت به التواريخ ، واسترد منهم ما استولوا عليه من بلاد الشام ؛ من ذلك القدس الشريف ، وأجلى ما بين الشام ومصر من الفرنج . ثم افتتح الحجاز واليمن من يد متغلبيها ، وتسلم دمشق بعد موت نور الدين فصار سلطان مصر والشام والحجاز . وافتتح كثيرا من بلاد النوبة ، وملك أكثر ديار ربيعة وبكر (٣٦) . فكانت مملكته من المغرب إلى تخوم العراق ومعها اليمن والحجاز .

ونشر العدل فى الرعية ، وبنى المدارس والخوانق (٣٧) ، وأجرى الأرزاق على العلماء والصلحاء ، مع الدين المتين والورع والزهد والعلم ، وكان يحفظ القرآن ، و« التنبيه » و « الحماسة » (٣٨) .

وهو الذى ابتنى قلعة القاهرة على جبل المقطم » فسكن بها السلاطين ، وكانوا قد جعلوها دار الوزارة بالقاهرة .

وفتح عسكره طرابلس وبرقه من بلاد المغرب ، وكسر عسكر تونس

---

(٣٥) أى الخارجين على السنة ، أنصار الفاطميين .
(٣٦) فى أقصى شمال العراق .
(٣٧) جمع خانقاه وهى ما تعرف « بالتكية » .
(٣٨) الحماسة : كتاب جمع فيه مؤلفه أبو تمام ما اختاره من أشعار العرب . والتنبيه : كتاب شرح فيه الامام أبو الفتح عثمان بن حسن الموصلى ما أشكل من أبيات كتاب الحماسة .
(٣٤) الخليفة العباسى ببغداد .

وخطب بها لبنى العبـاس ، ولو لم يقع الخلف بين عسكره الذين جهزهم إلى المغرب ، لملك المغرب بأسره ، ولم يختلف عليه مع طول مدته أحد من عسكره على كثرتهم .

وكان الناس يأمنون ظلمه لعدله ، ويرجون [٣٩] رفده لكثرته ، ولم يكن لمبطل ولا لصاحب هزل عنده نصيب ، وكان إذا قال صدق ، وإذا وعد وفى ، وإذا عاهد لم يخلف ، وكان رقيق القلب جدا ، ورحل بولديه الأفضل والعزيز لسماع الحديث من الإمام السلفى [بالإسكندرية] .

كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام الفرنج ، فيسرقون فاتفق أن أخذ بعضهم صبيا رضيعاً ابن ثلاثة أشهر من مهده ، فوجـدت [٤٠] عليه أمه وجدا شديداً ، واشتكت إلى ملوكها فقالوا لها إن سلطان المسلمين رحيم القلب ، فاذهبي إليه ، فجاءت إلى صـلاح الدين فبكت واشتكت أمر ولدها ، فرق لها رقة شديدة ودمعت عيناه ، فأمر بإحضـار ولدها ، فإذا هو بيع فى السوق ، فرسم بدفع ثمنه إلى المشترى ولم يزل واقفا حتى جىء بالغلام فدفعه إلى أمه ، وحملها على فرس إلى قومهـا مكرمة ، واستمر السلطان على طريقته العظيمة إلى أن انتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وله سبـع وخمسون سنة [٤١] . ولم يـترك فى خزائنه من الذهب إلا ستة وثلاثين درهما ، ولم يترك دارا ولا عقارا ولا مزرعة ، ولا شيئا من أنواع الأملاك ، وترك سبعة عشر ولدا وابنـة واحـدة .

---

(٣٩) عطاءه وبره .
(٤٠) حزنت .
(٤١) قبره معروف بدمشق .

وكان متدينا فى مأكله ومشربه، ومركبه وملبسه، فلا يلبس إلا القطن والكتان والصوف، ويواظب على الصلاة فى الجماعة، ويواظب على سماع الحديث، وعمل فيه الشعراء مراثى كثيرة، من ذلك قصيدة للعماد الكاتب مائتان وثلاثون بيتاً منها:

شَمْلُ الهُدَى والمُلْكِ عَمَّ شَتَاتُه والدهرُ سَاءَ وأقْلعَت[٤٢] حَسَناته

باللهِ أينَ الناصِر المَلِكُ الذى لِلّه خَالِصَة صَفت نِيّاتُه

أين الذى شرُفَ الزمَانِ بِفَضله وسَمَتْ على الفُضَلاء تشْريفاتُه

أين الذى عَنَت[٤٣] الفرنج لبأسِهِ ذلاًّ ومِنْهَا أدْرِكت ثاراتُه

أغْلالُ أعْناقِ العِدَا أسْيافه أطْواقُ أجْياد[٤٤] الورى حَسَناتُه

وقام من بعده ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان، وكان نائب أبيه بمصر فى حياته مدة اشتغاله بفتح البلاد الشامية، فاستقل بها بعد وفاته، فسار سيرة حسنة بعفة عن الشهوات والأموال، حتى أنه ضاق ما بيده ولم يبق فى الخزانة لا درهم ولا دينار، فجاءه رجل يسعى فى قضاء الصعيد بمال، فامتنع وقال «والله لا بعت دماء المسلمين وأموالهم بملك الأرض»، وسعى آخر فى قضاء الإسكندرية بأربعين ألف دينار وحملها إليه فلم يقبلها، ومات سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ودفن فى قبة الإمام الشافعى.

فأقيم ولده ناصر الدين محمد ولقب المنصور، فاستمر إلى سنة ست

---

(٤٢) سارت وولت.
(٤٣) خضعت وذلت.
(٤٤) جمع جيد وهو العنق.

وتسعين وخمسمائة ، ثم استفتى عم أبيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر ابن أيوب بن شادى الفقهاء فى عدم صحة مملكته لكونه صغيرا ابن عشر سنين ، فأفتوا بأن ولايته لا تصح ، فنزع المنصور وأقيم الملك العادل .

وأرسل العادل إلى الخليفة العباسى يطلب التقليد بمصر والشام ، فأرسل إليه مع الشهاب السهروردى ، فكان يصيف بالشام ويشتى بمصر وينتقل فى البلاد ، وكان ابنه الكامل ينوب عنه بمصر أيام غيابه .

والعادل أول من سكن قلعة الجبل بمصر من الملوك ، سنة أربع وستمائة ، ونقل إليها أولاد العاضد الفاطمى وأقاربه فى بيت فى صور حبس ، ومات العادل سنة خمس عشرة وستمائة .

وخلفه ابنه الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد ، وفى هذه السنة نزلت الفرنج على دمياط ، وأخذوا برج السلسلة ، وكان حصنا منيعا ، وهو قفل بلاد مصر ، وصفته أنه فى وسط جزيرة فى النيل عند انتهائه إلى البحر ، ومن هذا البرج إلى دمياط وهى على شاطىء البحر وحافة النيل سلسلة ، ومنه إلى الجانب الآخر وعلى الجسر سلسلة أخرى لتمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل فلا يتمكن من البلاد .

فلما ملكت الفرنج هذا البرج ، شق ذلك على المسلمين بمصر وغيرها ، ووصل الخبر إلى الملك العادل قبل موته ومات أسفا وحزنا .

ثم استحوذ الفرنج فى سنة ست عشرة وخمسمائة على دمياط ، وجعلوا الجامع كنيسة لهم ، وبعثوا بمنبره ورءوس القتلى إلى الجزائر . وعرض الكامل عليهم رد بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين قد فتحه من بلاد السواحل الشامية مقابل ترك دمياط فامتنعوا ، ثم ضاقت عليهم الأقوات

وقدمت عليهم مراكب فيها ميرة (٤٥) فأخذها الأسطول البحرى المصرى، وأرسلت المياه على دمياط من كل ناحية وحصرهم المسلمون ، فعند ذلك أنابوا (٤٦) إلى المصالحة بلا معارضة ،وكان ذلك يوما مشهودا من سنة سبع عشرة وستمائة ، ووقع الصلح على ماأراد الكامل .

أنشأ الكامل دار الحديث بالقاهرة ، وعمر القبة على ضريح الإمام الشافعى ، وأجرى الماء من بركة الحبش إلى حوض السبيل والسقاية على باب القبة ،ووقف غير ذلك من الأوقاف على أنواع البر ، وله المواقف المشهورة بدمياط ، وكان معظما للسنة، وكانت وفاته بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وأقيم بعده ولده الملك العادل أبو بكر ، فبلغ ذلك أخاه الأكبر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، صاحب حصن كيفا (٤٧) فقدم ، وبرز العادل إلى بلبيس قاصدا القتال ،فاختلف عليه الأمراء وقيدوه واعتقلوه ، وأرسلوا إلى الصالح أيوب فملكوه، وذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وكان الصالح مهيبا جداً ، دبر المملكة على أحسن حال ، وبنى المدارس الأربعة (٤٨) بين القصرين ، وعمر قلعة الروضة واشترى ألف مملوك وأسكنهم بها وسماهم البحرية ، كما أكثر من شراء الترك وأعتقهم

---

(٤٥) تموين .
(٤٦) خضعوا ورضوا .
(٤٧) بين بلدة آمد على نهر الفرات وجزيرة ابن عمر فى أقصى شمال العراق قرب ديار بكر .
(٤٨) مدرسة مقسمة الى أربعة أقسام ، لكل مذهب من المذاهب الاربعة قسم .

وتأميرهم ، فقام الشيخ عز الدين بن عبد السلام القومة الكبرى فى بيع أولئك الأمراء وصرف ثمنهم فى مصالح المسلمين .

وفى سنة سبع وأربعين وستمائة ؛ هجمت الفرنج على دمياط فهرب من فيها واستحوذ [الفرنج] عليها ، والملك الصالح مقيم بالمنصورة لقتالهم ، فأدركه أجله ومات ، فأخفت جاريته شجرة الدر موته وبقيت تعلم بعلامته (٤٩) ، وأعلمت أعيان الأمراء فأرسلوا إلى ابنه الملك المعظم توران شاه وكان بحصن كيفا فقدم وملكوه ، فقتل الفرنج وكسرهم ، وقتل منهم ثلاثين ألفا .

وأسر الفرنسيس (٥٠) ملك الفرنج ، وحبس مقيداً بدار ابن لقمان (٥١) ووكل بحفظه الطواشى صبيح . ثم نفرت قلوب العسكر من توران شاه لأنه قرب مماليكه وأبعد مماليك أبيه فقتلوه . وكان مدة ملكه شهرين .

ووليت شجرة الدر أم خليل جارية الملك الصالح بعد قتل توران شاه ، وخطب لها على المنابر ، ونقش اسمها على الدينار والدرهم ، وكانت تعلم على المنشورات وتكتب «والدة خليل» ، وأرسل الخليفة المستعصم العباسى يعاتب أهل مصر فى ذلك ويقول « إن كان ما بقى عندكم رجل تولونه ؛ فقولوا لنا نرسل إليكم رجلا » . واتفقت شجرة الدر والأمراء على إطلاق الفرنسيس بشرط أن يردوا دمياط إلى المسلمين ، ويعطوا ثمانمائة ألف دينار عما كان بدمياط من الحواصل (٥٢) » ويطلقوا أسرى

---

(٤٩) تختم بختمه ، أو توقع .
(٥٠) لويس التاسع ملك فرنسا .
(٥١) ما زال معروفا بمدينة المنصورة .
(٥٢) المخازن .

المسلمين ، فأطلق [الفرنسيس] على هذا الشرط . فلما سار إلى بلاده أخذ فى الاستعداد والعودة إلى دمياط ، فندم الأمراء على إطلاقه ، وكتب الصالح جمال الدين بن مطروح إليه :—

قُلْ للفَرَنْسِيس إذا جِئْتَهُ مقالَ صِدْقٍ مِن قئولٍ فَصِيح
آجَرَكَ الله على ما جَرَى مِنْ قتل عُبَّادِ يَسُوع المَسِيح
أتيت مِصْراً تَبْتَغى مُلكها تَحْسَبُ أنَّ الزَّمْر بالطَّبل رِيح
فساقَكَ الْحِينُ إلى أدْهَم [٥٣] ضاقَ بها عَن ناظِرَيْك انفَسِيح
وكلّ أصْحَابكَ أودَعْتهم بِحُسْن تَدْبِيرك بطْنَ الضَّرِيح
إنْ كان بَابا كم [٥٤] بذا راضِياً فرُبّ غِشٍّ قد أتى من نَصِيح
وقُلْ لهُم إنْ أضمَرُوا عودَةً لأخذِ ثأرٍ أو لِعقْدِ صَحِيح
دارُ ابن لُقمانَ على حالها والقيدُ باقٍ والطَّواشى صَبيح

فلم يلبث [٥٥] الفرنسيس أن أهلكه الله ، وكفى المسلمين شره ، وأقامت شجرة الدر فى المملكة ثلاثه أشهر ثم عزلت نفسها .

وخلفها الملك الأشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المسعود ابن الملك الكامل وعمره ثمانى سنين «وذلك فى سنة ثمان وأربعين وستمائة» وجعل عز الدين أيبك التركمانى مملوك الصالح أتابكا، وخطب لهما وضربت

---

(٥٣) قيد .
(٥٤) البابا بروما .
(٥٥) لم يلبث وليس ينشب كما جاء بالاصل .

السكة[٥٦] باسميهما ، وعظم شأن الأتراك من يومئذ ومدوا أيديهم[٥٧] إلى العامة .

وأحدث وزيره الأسعد الفائزى ، ظلامات ومكوسا كثيرة . ثم خلع عز الدين الملك الأشرف واستقل بالسلطنة سنة اثنتين وخمسين وستمائة، ولقب بالملك المعز وهو أول من ملك مصر من الأتراك[٥٨]، وممن جرى عليه الرق ، فلم يرض الناس بذلك حتى أرضى الجند بالعطايا الجزيلة .

وتزوج المعز أيبك شجرة الدر، ثم خطب ابنة صاحب الموصل، فغارت شجرة الدر فقتلته سنة خمس وخمسين وستمائة .

وأقيم بعده ولده علي ولقب بالمنصور وكان عمره نحو خمس عشرة سنة ، فأقام سنتين وثمانية أشهر ، وفى ايامه أخذ التتار بغداد وقتل الخليفة العباسى .

وقبض سيف الدين قطز مملوك أيبك على المنصور . واعتقله سنة سبع وخمسين وستمائة، وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر بعد أن أفتى العلماء والأمراء وغيرهم بأن المنصور صبي لا يصلح للملك ، ولاسيما وأن التتار قد وصلوا البلاد الشامية وجاء أهلها إلى مصر يطلبون النجدة .

وخرج المظفر قطز بالجيوش سنة ثمان وخمسين وستمائة متوجها إلى الشام لقتال التتار، ومعه ركن الدين بيبرس البندقدارى ، فالتقوا بالتتار عند عين جالوت[٥٩] ، وهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد ، ثم دخل المظفر قطز إلى دمشق .

---

(٥٦) العملة .

(٥٧) أى ظلموا وبطشوا .

(٥٨) يقصد المماليك البحرية .

(٥٩) بفلسطين .

وتتبع بيبرس التتار إلى حلب وطردهم عن البلاد السورية ، ووعده قطز بحلب ثم رجع عن ذلك فتأثر بيبرس ووقعت الوحشة بينهما ، واتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق سنة ثمان وخمسين وستمائة .

وتسلطن بيبرس وتلقب بالملك الظاهر .

« من قام بمصر من الخلفاء العباسية »

لما أخذ التتار بغداد وقتل الخليفة المستعصم سنة ست وخمسين وستمائة ، ظلت الدنيا بلا خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة .

وفى رجب من هذه السنة قدم مصر أبو القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله ، وهو عم الخليفة المستعصم وأخو المستنصر ، وقد كان معتقلا ببغداد ثم أطلق ، وخرج السلطان الظاهر بيبرس للقائه ، ومعه القاضى والوزير ، والعلماء والأعيان ، والشهود والمؤذنون فتلقوه ، وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بإنجيلهم ، ودخل من باب النصر بأبهة عظيمة . ثم أثبت نسب الخليفة ، فبايعه شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ، والسلطان ثم القاضى [وغيرهم] ، ولقب المستنصر بالله وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة ، وكتبت بيعته إلى الآفاق ، وأنزل بقلعة الجبل هو وحشمه وخدمه ، وفى شعبان ، ألبس الخليفة السلطان بيده خلعة سوداء ، وعمامة سوداء ، وطوقا فى عنقه من الذهب ، وقيداً من ذهب فى رجليه ، وفوض إليه الأمور فى البلاد الإسلامية ، وما سيفتحه من البلاد ، ولقب بقسيم أمير المؤمنين .

ثم طلب الخليفة من السلطان أن يجهزه إلى بغداد ، فرتب له جندا

وآقام له كل مايحتاج إليه ، وسار السلطان الظاهر إلى دمشق ، ثم رجع إلى مصر ، وسار الخليفة ومعه ملوك الشرق ، فجـاءه عسكر من التتار ، فقتل من المسلمين جماعة ، و [فقد] الخليفة فلا يدرى أقتل أم هرب ، وذلك سنة ستين وستمائة ، وكان ممن شهد الموقعة معه وهرب ابو العباس أحمد بن الأمير أبى على الحسن بن الأمير على بن أبى بكر بن المسترشد بالله العباسى ، فكاتب الملك الظاهر ، فطلبه فقدم القاهرة ومعه ولده وجماعة ، وتلقاه السلطان وأظهر السرور به وأنزل بقلعة الجبل وأغدق عليه .

وفى سنة إحدى وستين وستمائة قرئ نسبه على الناس ، ثم أقبل السلطان عليه وبايعه بإمرة المسلمين ، ثم أقبل هو على السلطان وقلده الأمور ، ثم بايعه الناس على طبقاتهم ولقب الحاكم بأمر الله ، وكان يوما مشهوداً .

ثم كتبت بيعته إلى الآفاق ، فخطب له فى جامع دمشق ونقش اسمه على السكة ، ثم خاف الظاهر عاقبة أمره ، فأسكنه عنده فى القلعة ، موسعا عليه فى النفقات ، يتردد إليه العلماء والقراء ، ممنوعا من اجتماع أحد من أهل الدولة به ، ثم أسقط اسمه من النقود وأبقاه على المنابر .

ولاحظه الملك الأشرف خليل بن قلاوون (٦٠) أتم من تلك الملاحظة ، فكان يخطب أحيانا الجمع فى المناسبات .

ولما ملك المنصور لاجين (٦١) زاد فى إكرامه ، وصرفه فى الركوب والنزول ، فحج فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وأعطاه لاجين سبعمائة ألف درهم ، ورجع من الحج فأقام بمنزله إلى أن مات سنة إحدى وسبعمائة ،

---

(٦٠) سلطان مصر من ٦٨٩ الى ٦٩٧ هـ = ١٢٩٠–١٢٩٦ م .

(٦١) سلطان مصر من ٦٩٧ الى ٦٩٨ هـ = ١٢٩٦–١٢٩٨ م .

ودفن بجوار السيدة نفيسة فى قبة بنيت له . وهو أول خليفة مات بمصر من بنى العباس .

وولى الخلافة بعده بعهد منه ولده أبو الربيع سليمان ولقب المستكفى بالله، وبايعه السلطان والقضاة والأعيان ، وأشهد عليه أنه ولى الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما ولاه والده ، وفوضه إليه ، ثم نزل إلى داره [بحى قلعة] الكبش ونقش اسمه على النقود ، ثم رسم السلطان بأن ينتقل الخليفة وأولاده وجميع من يلوذ به إلى القلعة إكراما له ، فنزلوا فى دارين وأجرى عليهم الرواتب الكثيرة ، واستمر مع السلطان كالأخوين دهرا طويلا ، حتى وشى الواشى بينهما ، فأمره السلطان أن يخرج إلى قوص فيقيم بها سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وخرج إليها هو وأولاده وأهله ، وتوجع الناس كثيرا ، وظل يخطب له على المنابر ، ومات فى سنة أربعين وسبعمائة ودفن بقوص .

وكان قد عهد بالخلافة إلى ابنه أحمد ، فلما بلغ الناصر ذلك لم يلتفت إلى ذلك العهد ، وطلب ابن أخى المستكفى، إبراهيم بن ولى العهد المستمسك بالله أبى عبد الله محمد بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد ، وبايعه ولقب الواثق بالله ، وراجع الناس السلطان فى أمره ، ووصموه بسوء السيرة، وجهد قاضى القضاة فى صرف السلطان عنه فلم يفعل ، وما زال بهم حتى بايعوه .

ولما تسلطن أبو بكر المنصور [بن الناصر محمد بن قلاوون] ؛ خلع الخليفة الواثق وبايع أحمد بن الخليفة المستكفى ولقب الحاكم بأمر الله . واستمر الخليفة فى منصبه إلى أن مات سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة - ولم يعهد بالخلافة لأحد .

ثم جمع « شيخو » [أمير مصر] الأمراء والقضاة ، فوقع الاختيار على أخى الخليفة الراحل وهو أبو بكر المستكفى ، فبايعوه ولقب المعتضد بالله وكنى أبو الفتح ، وضم إليه نظر المشهد النفيسى (٦٣) .

ومات سنة ثلاث وستين وسبعمائة . وكان قد عهد بالخلافة لولده أبى عبد الله محمد ، فقام بعده ولقب المتوكل على الله ، واستمر إلى أن قتل السلطان الأشرف شعبان وأقيم ولده المنصور على ، وكان « أينبك البدرى » مدبر دولته ، وقد حقد على المتوكل فطلب نجم الدين زكريا بن إبراهيم ابن ولى العهد المستمسك بن الخليفة الحاكم بأمر الله سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، فخلع عليه واستقر خليفة بغير مبايعة ولا إجماع ولقب المستعصم بالله ، ثم أعيد المتوكل وخلع زكريا ، واستمر المتوكل فى الخلافة إلى سنة خمس وثمانين وسبعمائة ، فبلغ الظاهر برقوق أنه واطأ جماعة على قتله ، إذا لعب الكرة ، وأن يقوموا بنصرة الخليفة واستبداده بالأمر ، لأن برقوقا لم يسر فى ملكه بالعدل ، فخلعه برقوق وسجنه بالقاعة ، بعد أن امتنع القضاة عن الإفتاء فيه بشىء وقاموا عنه .

وطلب عمر بن إبراهيم بن المستمسك بن الحاكم وبايعه بالخلافة ، ولقب الواثق بالله ، وفى السنة نفسها أخرج المتوكل من السجن ، وأقام بداره مكرما ، واستمر الواثق فى الخلافة إلى أن مات سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

وكلم الناس برقوقا فى إعادة المتوكل فأبى ، وأحضر أخا عمر ، زكريا الذى كان « أينبك » ولاه [سابقا] فبايعه ولقب المعتصم بالله ، واستمر حتى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . ثم ندم برقوق على ما صنع بالمتوكل

---

(٦٣) أى جامع السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها .

فخلع زكريا وأعاد المتوكل إلى الخلافة ، وحلف القضاة كلا من الخليفة والسلطان للآخر على الموالاة والمناصحة ، وأقام زكريا بداره إلى أن مات مخلوعا سنة إحدى وثمانمائة ، وقرىء تقليد المتوكل بالمشهد النفيسى بحضرة القضاة والأمراء ، وقرر له السلطان دارا بالقلعة يسكنها ، وله أن يركب إلى داره بالمدينة ماشاء ، واستمر المتوكل إلى أن مات سنة ثمان وثمانمائة . والمتوكل أول من أثرى من خلفاء مصر وكثر ماله ، ورزق أولادا كثيرين .

[وخلف المتوكل] ابنه أبو الفضل العباسى ، فاستقر فى الخلافة بعده ولقب المستعين بالله ، فأقام إلى أن خرج «شيخ» على الناصر فرج وظفر به ، وذلك سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ثم أشهد الخليفة على خلع الناصر ، لما ثبت عليه من الكفريات والانحلال والزندقة .

واتفق رأى الأمراء على سلطنة الخليفة واستقلاله بالأمر ، فلم يوافقهم إلا بعد شدة وتوثق منهم بالايمان ، فبايعه الأمراء كلهم وحلفوا له على الوفاء ، ولكنه لم يغير لقبه ، وجلس على كرسى الملك ، وقام الكل بين يديه وذلك بالشام .

ثم قرر « بكْتُمُر جِلَق » فى نيابة الشام » وقرقماش فى نيابة حلب ، وسودون الجلبي فى نيابة طرابلس و« شَيخ »و« نَوْروز »فى ركابه يدبران الأمر ، وكتب المستعين إلى القاهرة باجتماع الكلمة له ، وفر الناصر فرج إلى حلب ، ثم قبض عليه وقتل ، ثم صرف المستعين بكمتر جلق عن نيابة الشام وقرر فيها «نوروز» ، وقرر بكتمر أميرا كبيرا بالقاهرة ، ثم توجه هو والعسكر إلى القاهرة فدخلوها سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وحصل للناس من الفرح ما لا مزيد عليه ، ونزل الخليفة بالقلعة ، وفوض إلى

«شيخ» امر المملكة فى جميع الأمور ، وكتب له أن يولى أو يعزل من غير مراجعة ، وأشهد عليه بذلك ولقب «نظام الملك» ، ثم ما لبث شيخ أن سأل الخليفة أن يفوض إليه السلطنة على العادة ، فأجاب بشرط أن ينزل من القلعة إلى بيته فلم يوافقه شيخ ، بل استنظره أياما ، ونقل المستعين من القصر إلى دار من دور القلعة ومعه أهله . ووكل به من يمنعه الاجتماع بالناس ، واستمر المستعين فى الخلافة إلى سنة ست عشرة وثمانمائة ، ثم حكم بخلعه من الخلافة ، وسير إلى الإسكندرية فأقام بها إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة .

وبويع بالخلافة بعد خلع المستعين أبو الفتح داود ولقب المعتضد بالله ، وكان نبيلا ذكيا فاضلا ؛ فجالسه العلماء والفضلاء ، ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه ، وكان جوادا سمحا وطالت مدته فى الخلافة ، فلما حضرته الوفاة ؛ عهد بالخلافة إلى شقيقه أبى الربيع سليمان ، ولقب المستكفى بالله ، ومات المعتضد سنة خمس وأربعين وثمانمائة .

واستقر المستكفى ، وكان من صلحاء الخلفاء وعبادهم ، حسن السيرة ، وكان السلطان الظاهر جقمق (٦٣) يعتقده ويعرف له حقه ، ومات سنة أربع وخمسين وثمانمائة ، ولم يعهد بالخلافة لأحد ، ومشى السلطان فى جنازته وحمل نعشه بنفسه .

وبايع بعده بالخلافة أخاه أبا البقاء حمزة ولقب القائم بأمر الله ، ثم إن الجند خرجوا على السلطان الأشرف إينال (٦٤) ، فقام معهم ، وحدثته نفسه بطلب الملك فانهزم الجند ، فغضب عليه الأشرف وخلع سنة تسع

---

(٦٣) سلطان مصر من ١٤٣٨ - ١٤٥٣ م .

(٦٤) سلطان مصر من ١٤٥٣ - ١٤٦٠ م .

وخمسين وثمانمائة، وسير إلى الإسكندرية إلى أن مات بها سنة ثلاث وستين وثمانمائة .

وبويع أخوه أبو المحاسن يوسف ، ولقب المستنجد بالله بعد خلع القائم ، ومات سنة أربع وثمانين وثمانمائة .

وخلفه ابن أخيه عبد العزيز أبى العز يعقوب بن المتوكل على الله، ولم يزل مشارا إليه ، محبوبا فى صدور الناس ، وقد خرج السيوطى برسمه(٦٥) «كتاب الأساس فى فضل بنى العباس» [وغيره] ،وتعفف عن أخذ مايحصل من مشهد السيدة نفيسة من النذور وغيرها، وصرفه إلى مصالح المكان ، وكان الخلفاء قبله يأخذون لأنفسهم غالبه ، والباقى يفرقونه على من شاءوا ، فرفع ذلك من [قدره] .

فصل [عن عواصم الخلافة]

كانت قاعدة الخلافة «المدينة» مدة أبى بكر وعمر وعثمان ، فلما انتهت الخلافة إلى على انتقل إلى «الكوفة» واتخذها قاعدة لخلافته .

فلما ولى معاوية انتقلت قاعدة الخلافة إلى « دمشق »،واستقرت قاعدة لى آخر الدولة الأموية .

فلما ملك السفاح سكن « الأنبار » (٦٦) . ولما ولى المنصور بنى « الهاشمية » (٦٧) وسكنها . [ثم انتقل] إلى « بغداد » فصارت قاعدة الخلافة له ولبنيه .

---

(٦٥) تحت اشرافه ورعايته .
(٦٦) بلد غربى نهر الفرات بينها وبين بغداد ثلاثون ميلا .
(٦٧) كانت تقع على نهر الفرات شمالى الكوفة .

وبنى المعتصم « سُر مَن رأى » (٦٨) فانتقلت قاعدة الخلافة إليها ، ثم بنى هارون الواثق إلى جانبها « الهارونية » فانتقلت قاعدة الخلافة إليها ، ثم بنى أخوه جعفر المتوكل إلى جانبها «الجعفرية» فانتقلت قاعدة الخلافة إليها ، ثم عادت إلى بغداد فى زمن المعتمد (٦٩) وظلت إلى عهد المستعصم (٧٠) الذى قتله التتار ، فانتقلت قاعدة الخلافة إلى مصر .

وصارت « غزنة » (٧١) قاعدة سلطنة محمود بن سُبُكتين وبنيه ، ثم « همذان » (٧٢) زمان الدولة السلجوقية . و «خوارزم» (٧٣) مكان الملوك الخوارزمية ، ثم «دمشق» زمن العادل نور الدين محمود بن زنكى ، ثم مصر من زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وإذا اعتبرت أحوال البلاد تجد السعادة قد نظرت هذه مرة ثم تلك أخرى كما قال الشاعر :

وإذا نظرت إلى البقاع رأيتها   تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

---

(٦٨) هى سامرا التى بناها المعتصم العباسى سنة ٢٢١ هـ وتقع على نهر دجلة شمالى بغداد وعلى بعد ستين ميلا منها وقد احتفظت بروائها حتى عهد المعتضد سنة ٢٨٩ هـ ثم سارع اليها الخراب .

(٦٩) الخليفة العباسى ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ .

(٧٠) قتله التتار سنة ٦٥٦ هـ وقضوا على الدولة العباسية .

(٧١) مدينة بأفغانستان كانت عاصمة الدولة الغزنوية التى حكمت أفغانستان واقليم البنجاب من الهند من ٣٥١ الى ٥٨٢ هـ = ٩٦٢ - ١١٨٦ م .

(٧٢) مدينة بايران كانت عاصمة الدولة السلجوقية .

(٧٣) خوارزم ، مدينة فى جنوب بحر آرال وغرب نهر جيحون ، من أواسط آسيا .

« [بعض] سلاطين مصر

الذين فوض اليهم خلفاء مصر العباسيون

أولهم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى، ولما فوض إليه خليفة مصر ؛ لقبه قسيم أمير المؤمنين ، وهو أول من لقب بها ، وكان الملوك قديما يكتب أحدهم من جهة الخليفة [إلى أحدهم من جهته] مولى أمير المؤمنين أى عتيقه ، ويكتب هو إلى الخليفة « خادم أمير المؤمنين » ، فإن زيد فى تعظيمه لقب « ولى أمير المؤمنين » ثم « صاحبه » ثم « خليله » وهو أعلى ما لقب به ملوك بنى أيوب .

فلقب الظاهر هذا « قسيم أمير المؤمنين » أجل من تلك الالقاب .

كان فى الظاهر محاسن [ومساوىء] ؛ فقد ظلم أهل الشام غير مرة ، وأفتاه جماعة بموافقة هواه ، فقام الشيخ محى الدين النووى فى وجهه وأنكر عليه وقال « أفتوك بالباطل » ، وكان منقمعا تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، لايستطيع أن يخرج عن أمره ، حتى إنه قال لما مات الشيخ « مااستقر ملكى إلا الآن » .

ومن محاسنه أنه أكمل عمارة المسجد النبوى وكان «المستعصم العباسى قد شرع فيه بعد أن احترق ولكنه قتل » ، وأرسل منبرا فنصب هناك ، وحج سنة سبع وستين وستمائة فغسل الكعبة بيده بماء الورد ، وزار المدينة النبوية فرأى الناس يلتصقون بالقبر النبوى ، فأرسل سياجا من خشب فأدير حوله فى العام التالى .

وله فتوحات كثيرة ، وملك الروم وجلس على تخت آل سلجوق .
وهو الذى جعل القضاة أربعة لكل مذهب قاض ، وجدد صلاة الجمعة

بالجامع الأزهر وبجامع الحاكم وكانا مهجورين من زمن الفاطميين ، وأمر فى أيامه بإراقة الخمور ، وإبطال المفسدات والخواطىء ، وإسقاط المكوس المرتبة عليها .

وكان له صدقات كثيرة ، من ذلك عشرة آلاف أردب قمح للفقراء والمساكين وأرباب الزوايا كل سنة ، ويخرج جملة مستكثرة يستفك بها من حبس القاضى من المفلسين ، وكان يرتب فى رمضان مطابخ لأنواع الأطعمة للفقراء والمساكين ، ومات الظاهر سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق.

وقام بعده فى الملك ولده الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد ، وسنه ثمانى عشرة سنة ، واستمر إلى سنة ثمان وسبعين وستمائه ، فاختلف عليه الأمراء وقاتلوه ، فخلع نفسه من السلطنة وأشهد على ذلك .

وأقيم مكانه أخوه بدر الدين سلامش ولقب الملك العادل ، وكان عمره سبع سنين ، فجعل أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى الألفى ، وضربت السكة باسم سلامش وباسمه ، ودعا لهما معا فى الخطبة ، واستمر العادل شهرين ، فاجتمع الأمراء وخلعوه ، وأقاموا بعده قلاوون الصالحى ، ففوض إليه الخليفة ولقب الملك المنصور .

واستمر قلاوون فى السلطنة فكانت له مشاهد حسنة وفتوحات منها طرابلس (٧٤) ، وقد كانت فى يد الفرنج منذ سنة ثلاث وخمسمائة ، وهو الذى احدث وظيفة كتاب السر (٧٥) ، وأحدث اللعب بالرمح أيام إدارة المحمل

---

(٧٤) بلد باقليم لبنان .

(٧٥) كان يقوم بها من كان يسمى قبل عهد المماليك بصاحب ديوان الانشاء .

وكسوة الكعبة ، وغير ملابس الدولة عما كانوا عليه فى دولة بنى أيوب ؛ وأقام فى السلطنة إلى أن توفى سنة تسع وثمانين وستمائة .

وخلفه ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل، واستمر فى السلطنة إلى أن قتل سنة ثلاث وتسعين وستمائة، ودفن فى مدرسته التى انشأها بالقرب من السيدة نفيسة .

وأقيم أخوه ناصر الدين أبو الفتوح محمد ولقب الملك الناصر ، وعمره يومئذ تسع سنين ، ثم عزل سنة أربع وتسعين وستمائة . وخلفه زين الدين كتبغا ولقب الملك العادل ، وقتل سنة ثمان وتسعين وستمائه .

وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان منفيا بالكرك (٧٦) ؛ وشق القاهرة وعليه خلعة الخليفة ، واستمر إلى سنة ثمان وسبعمائة ؛ ثم خرج قاصدا الحج فاجتاز الكرك فأقام بها ، ثم كتب إلى الديار المصرية بعزل نفسه عن المملكة ، فأثبت ذلك .

وأقيم فى السلطنة الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى ولقب الملك المظفر ، ثم عاد الملك الناصر بن قلاوون من الكرك طالبا عوده إلى ملكه ، وبايعه على ذلك جماعة من الأمراء سنة ثمان وسبعمائة ، فأتى دمشق فانتظم أمره ثم توجه إلى مصر ، فلما بلغ ذلك المظفر بيبرس ، أخذ جميع ما فى الخزائن من الأموال ، وتوجه إلى أسوان ، فوجه إليه الناصر من أحضره وخنقه ، وشرع يعاتب الناس فى أمره كالخليفة والقضاة وغيرهم .

واستمر الناصر فى السلطنة بلا منازع ، وحج سنة اثنتى عشرة

---

(٧٦) بلد بفلسطين .

وسبعمائة من طريق الكرك ، وعاد إلى دمشق ، ثم حج من القاهرة سنة تسع عشرة وسبعمائة ومعه قاضى القضاة البدر بن جماعة ، والأمراء وغالب أرباب الدولة ، وأبطل فى هذه السنة مكوس الحرمين وعوض أميرى مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام ، ومهد ما كان فى عقبة إيليا(٧٧) من الصخور ، ووسع طريقها ، ثم حج حجة ثالثة .

وهو الذى حفر الخليج الداخل من قنطرة قديدار ، واستمر إلى أن مات سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وهو أطول ملوك الترك مدة .

وأقيم بعده ولده سيف الدين أبو بكر ولقب الملك المنصور ، فأقام دون الشهرين ثم خلع ونفى هو وإخوته إلى قوص ، وتهتكت حريم أبيه الناصر ، وكثر البكاء والعويل بالقاهرة ، ثم قتل بقوص .

وأقيم بعده أخوه علاء الدين كجك ولقب الملك الأشرف ، وعمره دون ست سنوات ، فأقام خمسة أشهر ثم خلع ، واعتقل بالقلعة إلى أن مات سنة ست وأربعين وسبعمائة .

واستمر تعيين الملوك وخلعهم وقتلهم حسب أهواء الجند ، [حتى إذا كانت] سنة أربع وثمانين وسبعمائة أقيم فى السلطنة سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص ولقب الملك الظاهر وهو أول المماليك الجراكسة . وكان الذى أشار بتلقيب برقوق بالظاهر شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى ، لأن ولايته كانت وقت الظهر ، واستمر فى السلطنة حتى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، ثم خلع وسجن بالكرك ، [ثم عاد بعد سنة] فاستمر إلى أن مات سنة إحدى وثمانمائة .

---

(٧٧) تقع على خليج العقبة .

وأقيم بعده ولده زين الدين ابو السعادات فرج ولقب الملك الناصر، فأقام إلى سنة ثمان وثمانمائة ، فخلع ثم أعيد [فى السنة نفسها]، فأقام إلى أن خرج عليه «شيخ المحمودى» وقاتله وحصره وظفر به، وحكم، القاضى ابن العديم بسفك دمه ، فقتل بسيف الشرع ، وذلك سنة خمس عشرة وثمانمائة .

٨١٥

وأقيم الخليفة المستعين بالله العباسى سلطانا مستقرا بالأمر ، ثم سأله شيخ أن يفوض إليه السلطنة على العادة فأجابه إلى ذلك . وبقيت الخلافة باسم المستعين ، واستقر شيخ فى السلطنة ولقب الملك المؤيد ، وكان من خيار الملوك ، وتوفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة .

٨٢٤

[ثم استمر إقامة الملوك الأطفال الذين كان يدبر أمرهم أمراء يأخذون ألقاب الملوك، ولا يلبثون أن يستأثروا بالسلطنة لأنفسهم] .

وفى سنة ست وتسعمائة ولى قانصوه الغورى ولقب بالأشرف .

٩٠٦

(الفرق بين السلطنة والخلافة والملك من حيث الشرع)

سأل عمر بن الخطاب سلمان(٧٨) فقال له « أملك أنا أم خليفة ؟ » فقال له سلمان « إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته فى غير حقه فأنت ملك غير خليفة ، فاستعبر عمر » .

الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا فى حق . والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطى هذا .

---

(٧٨) سلمان الفارسى صحابى جليل .

« من يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح »

الاصطلاح أن لا تطلق هذه التسمية إلا على من يكون فى ولايته ملوك « فيكون ملك الملوك » فيملك مثل مصر أو الشام أو إفريقية أو الأندلس ؛ ويكون عسكره عشرة آلاف فارس أو نحوها ، فإن زاد بلادا أو عددا فى الجيش ؛ كان أعظم فى السلطنة ، وجاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم . فإن خطب له فى مثل مصر والشام والجزيرة ؛ ومثل خراسان وعراق العجم وفارس ؛ ومثل إفريقية والمغرب الأوسط والأندلس؛ كان تسميته «سلطان السلاطين» كالسلجوقية .

جلوس السلطان فى دار العدل للمظالم

إذا جلس السلطان للمظالم؛ جلس عن يمينه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، ثم الوكيل عن بيت المال ، ثم الناظر فى الحسبة . ويجلس عن يساره كاتب السر ، وقدامه ناظر الجيش ، وجماعة من الموقعين تكملة حلقة دائرة .

وإذا وجد وزير من أرباب الأقلام ؛ جلس بينه وبين كاتب السر ، وإن كان الوزير من أرباب السيوف ؛ وقف على بعد مع بقية أرباب الوظائف .

ويقف من وراء السلطان صفان من حملة السلاح، دائرة عن يمينه ويساره [وطائفة أخرى من كبار الموظفين] .

ويجلس على بعد تقديره خمسة عشرة ذراعا (٧٩) من يمنة ويسرة ؛ ذووالسن من أكابر أمراء المؤمنين « وهم أمراء المشورة » . ويليهم من

---

(٧٩) قرابة سبعة أمتار ونصف .

دونهم من أكابر الأمراء وأرباب الوظائف وقوف . ومن وراء أمراء المشورة يقف بقية الأمراء .

ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان ، الحجاب والدوادارية (٨٠) لإحضار قصص الناس ، وإحضار المساكين ، وتقرأ عليه .

فما احتاج إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه ، وما كان متعلقاً بالعسكر تحدث مع الخاص وكاتب السر فيه .

وهذا الجلوس يكون يومى الإثنين والخميس [من كل أسبوع] . إلا أن القضاة وكاتب السر لايحضرون يوم الخميس .

عساكر مملكة مصر

منهم من هو بحضرة السلطان ، ومنهم من فى أقطار المملكة وبلادها ، ومنهم سكان بادية كالعرب والتركمان . وجندها مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان ، وغالبهم من المماليك المبتاعين (٨١) وهم طبقات : اكابرهم من له إمرة مائة فارس إلى مائة وعشرة أو عشرين ، وتقدمة ألف ، ومن هذا القبيل يكون أكابر النواب .

وأمراء الطبلخانة (٨٢) ، لكل إمرة أربعين فارسا ، وقد يزيد إلى السبعين .

وأمراء العشرات ، ومنهم من يكون له عشرون فارسا . وجند الحلقة ، لكل أربعين منهم مقدم ليس له حكم عليهم ، إلا إذا خرج العسكر [فيرافقهم ويرتبهم] .

---

(٨٠) كالكتاب الآن .

(٨١) الذين يشترون بالمال .

(٨٢) أمراء الجند بقلاع الثغور .

أرباب الوظائف

الكبار « من ذوى السيوف »

إمرة سلاح ، الدوادارية ، الحجوبية ، إمرة جامدار ، الأستاذدارية ، نقابة الجيوش .

« ذوو الأقلام »

الوزارة ، كتابة السر ، نظر الجيش ، نظر الأموال ، نظر الخزانة ، نظر البيوت ، نظر بيت المال ، ونظر الاسطبلات .

ذوو العلم :

القضاة ، والخطباء ، ووكالة بيت المال . والحسبة ، وكانت هناك وظيفة تسمى « نيابة السلطنات » أبطلها الملك الناصر محمد بن قلاوون ؛ إذ كان النائب سلطانا مختصرا ، فهو الذى يفرق الإقطاعات ويعين الإمرة والوظائف ، ويتصرف التصرف المطلق فى كل أمر إلا فى ولاية المناصب الجليلة ، كالقضاء والوزارة وكتابة السر ، لكنه يعرض على السلطان من يصلح ، وقلّ ألا يجاب ، وأحيانا كان يسمى « كافل الممالك » أو السلطان الثانى .

وأما الوزارة فكان يليها من أرباب السيوف والأقلام على قدر ما يتفق عليه ؛ والوزير هو ثانى « النائب للسلطنة » فى المكانة .

وقد أبطل الناصر الوزارة أيضا ، واستقل هو بما كان يفعله النائب والوزير . واستجد وظيفة يسمى مباشرها ناظر الخاص ، وأصل موضوعها

أن يكون مباشرها متحدثا فيما هو خاص بمال السلطان ، فيتحدث فى مجموع الأمر ؛ الخاص بنفسه ، والعام بأخذ رأيه فيه ، فكأنه الوزير لقربه من السلطان .

وأما « إمرة السلاح » ؛ فموضوعها ان صاحبها دار بالسلاح ، والمتولى بحمل سلاح السلطان فى المجامع الجامعة وهو من الأمراء المئين .

والدوادارية ؛ يبلغ صاحبها الرسائل عن السلطان ، ويقدم القصص[٨٣] إليه ، ويشاور على من يحضر بالباب ، ويقدم البريد ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب .

والحجوبية ؛ موضوعها أن صاحبها يقف بين الأمراء والجند ، وهو المشار إليه « بالقائم مقام البواب » فى كثير من الأمور .

وإمرة جامدار ؛ صاحبها كالمتسلم للباب ، فمن أراد السلطان قتله كان على يد صاحب هذه الوظيفة .

والأستاذ دارية ؛ صاحبها إليه أمر بيوت السلطان كلها ، من المصالح والنفقات والكساوى ، وهو من الأمراء المئين .

ونقابة الجيش ؛ صاحبها كأحد الحجاب الصغار ، وله تخلية الجند فى عرضهم ، وإذا أمر السلطان بإحضار أحد [قام بذلك] .

والولاية ؛ صاحبها هو صاحب الشرطة .

وأما الوزارة ؛ فصاحبها ثانى السلطان إذا أنصف وعرف حقه ، ولكن فى هذه المدد تقدمت عليها النيابة وتأخرت الوزارة ؛ فصار المتحدث فيها

(٨٣) المظالم .

ناظر المال لايتعدى الحديث فيه ، ولا يمد يده فى الولاية والعزل . وتطلع السلطان إلى الإحاطة بجزئيات الأحوال ثم أبطل هذه الوظيفة [كما سبق] ، وصار ما كان إلى الوزير منقسما إلى ثلاثة : فإلى ناظر المال أوشاد الدواوين ، أمر تحصيل المال وصرف النفقات والكلف . وإلى ناظر الخاص تدبير جملة الأمور ، وإلى كاتب السر ، التوقيع فى دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاورة واستقلالا . ثم إن كلا من المتحدثين الثلاثة لايقدر على الاستقلال إلا بمراجعة السلطان .

وأما نظر الجيش فلصاحبه النظر فى الاقطاعات ، وأغلب ما يكون انظر لخزانة للقضاة أو نحوهم ، وكانت وظيفة كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة ، فلما استحدثت وظيفة « الخاص » ضعف أمرها .

[ولقد كان] نظر بيوت السلطان منوطا بالأستاذ دارية ، ونظر بيت المال لايليه إلا من هو من ذوى العدالة المبرزة ، [لأن وظيفته] هى حمل حمولة المملكة إلى بيت المال والتصرف فيه . ولصاحب نظر الاصطبلات الحديث فى أنواعها ، وعلفها ، وأرزاق خدمها ، وما يبتاع لها .

[بعض] قضاة مصر

[كان] أول قاض استقضى بمصر فى الإسلام عثمان بن قيس بن أبى العاص سنة أربع وعشرين ، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن يستقضى كعب بن يسار بن ضِنَّة ، فأبى كعب أن يقبل القضاء ، وقال « قضيت فى الجاهلية ، ولا أعود إليه فى الإسلام » وأقيم عثمان على القضاء إلى أن صرف سنة اثنتين وأربعين .

وفى أيام معاوية بن أبى سفيان، ولى سليم بن عتر التُّجيبى ، وجعل إليه القصص (٨٤) والقضاء جميعاً ، وكان يقص الناس وهو قائم ، وهو أحد العباد المجتهدين ، ولما مات قالت امرأته «رحمك الله ، فوالله لقد كنت ترضى ربك وتسر أهلك» .

ثم ولى عابس بن ربيعة المرادى الشرطة مع القضاء ، فاستمر حتى دخل مروان بن الحكم مصر سنة خمس وستين ، فدعى له عابس ، وكان أمياً لا يكتب ، فقال له مروان «أجمعت كتاب الله» قال «لا !» «قال» أفأحكمت الفرائض ؟ »قال « لا » قال « فيم تقضى ؟ »قال « أقضى بما علمت ، وأسأل عما جهلت » فقال [مروان] « أنت القاضى »، فلم يزل على القضاء إلى أن توفى سنة ثمان وثمانين .

وولى عبد العزيز بن مروان [والى مصر الأموى] ، بشير بن النضر المزنى ثم عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى ، فجمع له القضاء والقصص وبيت المال ، فكان يأخذ رزقه فى السنة ألف دينار ، فلم يكن يحول عليه الحول وعنده ما تجب فيه الزكاة ، ولم يزل حتى مات سنة ثلاث وثمانين تقريباً .

وفى سنة إحدى وعشرين ومائة ، ولى خير بن نعيم الحضرمى وصرف سنة ثمان وعشرين ومائة ، ثم رد فى ولاية بنى العباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة ثم عزل نفسه [بعد سنتين] ، والسبب أن رجلا من الجند قذف رجلا فخاصمه إليه (٨٥) وثبت عليه بشاهد واحد ، فأمر بحبس الجندى إلى أن يثبت الرجل بشاهد آخر ، فأرسل أبو عون عبد الملك بن يزيد (٨٦) ، فأخرج الجندى من الحبس ، فاعتزل «خير» وجلس فى بيته

(٨٤) الوعظ .
(٨٥) فاشتكاه اليه .
(٨٦) أمير مصر آنئذ .

وترك الحكم ، فأرسل إليه أبو عون ، فقال « لا ، حتى ترد الجندى إلى مكانه » ، فلم يرد ، فبقى [خير] على عزمه .

ثم [خلفه] غوث بن سليمان الحضرمى ثم أبو خزيمة إبراهيم بن يزيد الرعينى (٨٧) ، [وقصة ولايته أن الوالى العباسى] شاور فى رجل يوليه القضاء ، فأشير عليه بثلاثة نفر ، حياة بن شريح ، وأبو خزيمة ، وعبد الله بن عياش الغسانى .

فكان أول من نوظر [فى ذلك] حياة بن شريح فامتنع ، فدعى له بالسيف والنَّطع (٨٨) ، فلما رأى ذلك «حياة» أخرج مفتاحا كان معه وقال « هذا مفتاح بيتى ولقد اشتقت إلى لقاء ربى » فلما رئى عزمه تركوه فنجا . ثم دعى بأبى خزيمة ، فعرض عليه القضاء فامتنع فدعى له بالسيف والنطع ، فضعف قلبه ولم يحتمل ذلك ، فأجاب إلى القبول فاستقضى ، وكان ابو خزيمة يعمل الأرسان (٨٩) ويبيعها قبل أن يلى القضاء ، فمر به رجل من أهل الإسكندرية وهو فى مجلس الحكم فقال له « يا أبا خزيمة ! احتجت إلى رسن لفرسى » ، فقام أبو خزيمة إلى منزله فأخرج رسنا فباعه منه ثم جلس . وكان أبو خرشة المرادى صديقا لأبى خزيمة ، فمر به يوما فسلم عليه ، فلم ير منه ما كان يعرف ، وكان قد خوصم إليه فى جدار ، فاشتد ذلك على أبى خرشه فشكاه إلى بعض قرابته ، ثم سأل أبا خزيمة فقال « ما كان ذلك إلا أنى خفت أن يرى خصمك سلامى عليك فيكسره ذلك عن بعض حجته » فقال أبو خرشه « إنى أشهدك أن الجدار له » . ثم استعفى أبو خزيمة فأعفى .

---

(٨٧) الرعينى وليس الحضرمى كما جاء بالأصل .

(٨٨) جلد كان يفرش لاستقبال الدم عند القتل .

(٨٩) مفرده رسن وهو ما يوضع على أنف الفرس ويتصل بالنجام .

وفى سنة أربع وخمسين ومائة ولى ابن لهيعة ، وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثون دينارا ، وهو أول قاض بمصر أجرى عليه ذلك ، وأول قاض استقضاه بها خليفة . وإنما كان ولاة البلد هم الذين يولون القضاة، ولم يزل حتى صرف سنة أربع وستين ومائة .

وولى بكار بن قتيبة من أهل البصرة سنة خمس وأربعين ومائتين ، فأقام قاضيا وأحمد بن طولون يصله فى كل سنة بألف دينار ، ولما بلغ ابن طولون [خروج] الموفق من طاعة أخيه المعتمد (٩٠) ، أراد خلع الموفق من ولاية العهد فوافقه فقهاء مصر ، وخالفه القاضى بكار ، فحبسه ابن طولون فى سنة سبع وخمسين ومائتين ، ومات بكار فى سنة خمس وسبعين ومائتين .

وفى عهد المعز الفاطمى ولى أبو الحسن على بن النعمان سنة ست وستين وثلاثمائة ، وكان شيعيا غاليا ، وشاعرا مجيدا ، وهو أول من نعت « بقاضى القضاة» ، فأقام إلى أن مات سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

وولى بعده أخوه أبو عبد الله محمد، وكان شيعيا أيضا ، وعرف بالعلم والصيانة وإقامة الحق ، وقد ارتفعت رتبته لأن العزيز الفاطمى أجلسه معه يوم العيد على المنبر . وزادت عظمته فى دولة الحاكم إلى أن مات سنة تسع وثمانين وثلاثمائة .

وفى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ولى أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى [القضاء] ثم أضيف إليه الوزارة ، وهو أول من جمع بينهما ، ثم صرف عنهما سنة خمس وأربعين وأربعمائة .

---

(٩٠) الخليفة العباسى ببغداد .

ولما استولى الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب على القاهرة ؛ أزال دولة الشيعة، وولى صدر الدين عبدالملك بن درباس الكردى الشافعى قضاء القضاة بالقاهرة ، وذلك سنة ست وستين وخمسمائة ، فأقام إلى أن صرف بعد وفاة صلاح الدين سنة تسعين وخمسمائة فى أيام العزيز عثمان ابن صلاح الدين .

وفى سنة سبع عشرة وستمائة، ولى شرف الدين محمد بن عبد الله الإسكندرانى المعروف « بعين الدولة » . [وفى زمنه] كانت بمصر مغنية تدعى « عجيبة » فأولع الملك الكامل بها ، فكانت تحضر إليه ليلا وتغنيه فى مجلس ، [ومعه غيره] . ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل عند ابن عين الدولة ، فقال له « السلطان يأمر ولا يشهد » وأعاد عليه القول ففهم السلطان الكامل أنه لا يقبل شهادته ، فقال : « أنا أشهد ، تقبلنى أم لا » فقال القاضى «لا أقبلك ، وكيف أقبلك و «عجيبة» تطلع إليك بجنكها[٩١] كل ليلة وتنزل ثانى يوم بكرة وهى تتمايل سكرى على أيدى الجوارى » فقال له السلطان « ياكيواج » وهى كلمة شتم بالفارسية ، فقال « ليس فى الشرع، ياكيواج ،اشهدوا على أنى قدعزلت نفسى» ،ونهض ،فقيل للملك الكامل « المصلحة إعادته » حتى لا يشيع أمرعجيبة، فنهض إلى القاضى وترضاه ،فعاد إلى القضاء ، وأقام إلى أن توفى سنة تسع وثلاثين وستمائة .

[وخلفه قاضيان] أحدهما الشيخ عز الدين بن عبد السلام فكان على قضاء مصر والوجه القبلى ، وكان قد قدم من دمشق ، [والسبب] أن سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة « صيدا »

---

(٩١) آلة وترية موسيقية .

وقلعة «السقيف» ، فأنكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له فى الخطبة ، وساعده فى ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكى فغضب السلطان منهما ، فخرجا إلى الديار المصرية . فأرسل السلطان إلى الشيخ وهو فى الطريق يتلطف به فى العود إلى دمشق ، فاجتمع به [الرسول] ولاينه وقال له « ما نريد منك إلا أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير » ، فقال له الشيخ « يا مسكين ، ما أرضاه يقبل يدى فضلا عن أقبل يده ، يا قوم أنتم فى واد وأنا فى واد ، والحمد لله الذى عافانا مما ابتلاكم » ، ولما وصل إلى مصر تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب فأكرمه وولاه قضاء مصر ، ثم تصدى لبيع أمراء الدولة من [المماليك] ، وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار ، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين ، فبلغهم ذلك فعظم الخطب عندهم ، واجترم[٩٢] الأمر ، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا ، وتعطلت مصالحهم لذلك ، وكان من جملتهم نائب السلطنة ، فاستثار غضبا ، فاجتمعوا وأرسلوا إليه فقال « نعقد لكم مجلساً وننادى عليكم لبيت مال المسلمين » ، فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث إليه فلم يرجع ، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه ، فانزعج النائب وقال « كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ، ونحن ملوك الأرض ، والله لأضربنه بسيفى » فركب فى جماعته ، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول[٩٣] فى يده ، فخرج ولد الشيخ ورأى من نائب السلطنة ما رأى ، وشرح [لأبيه] الحال فما اكترث وقال « ياولدى أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله » ، ثم

---

(٩٢) عظم واشتد .

(٩٣) خارج من غمده .

خرج، فحين وقع بصره على النائب يبست يده وسقط السيف منها، .وأرعدت مفاصله فبكى ، وسأل الشيخ أن يدعو له .

ثم عزل الشيخ نفسه فتلطف السلطان فى رده، فباشر مدة ثم عزل نفسه مرة ثانية ، وتلطف مع السلطان فى إمضاء عزله فأمضاه » ثم ولاه تدريس مدرسته التى أنشأها .

وفى سنة خمس وتسعين وستمائة ؛ ولى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد بعد امتناع شديد ، وعزل نفسه غير مرة ، ثم يعاد .

وكانت القضاة يخلع عليهم الحرير فامتنع من لبس الخلعة ، وأمر بتغييرها إلى الصوف فاستمرت [بعد ذلك] ، واستمر إلى أن توفى سنة اثنتين وسبعمائة .

[بعض] قضاة الحنفية

أول من ولى منهم زمن الظاهر بيبرس فى سنة ثلاث وستين وستمائة ؛ صدر الدين سليمان بن أبى العز .

[ومنهم] برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق [الذى] ولى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فقال بعض الشعراء فى ذلك :

طوبى لمصر فقد حل السرور بها ... من بعد ما رميت دهرا بأحزان

كنانة الله قد قام الدليل على ... تفضيلها من بنى حق ببرهان

ثم عزل سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

وفى سنة ثمانمائة طلب جمال الدين يوسف بن موسى الملطى من حلب فولى ، فأقام إلى أن مات فى سنة ثلاث وثمانمائة .

[ومنهم] شرف الدين موسى بن عبد المطلب من دمشق ، ولى سنة

خمس وثمانين وثمانمائة ، فأقام دون الشهرين ، ومات من واقع وقع عليه من الزلزلة بالمدرسة الصالحية (٩٤) سنة ست وثمانين وثمانمائة.

[بعض] قضاة المالكية

أول من ولى منهم زمن الظاهر بيبرس ، شرف الدين عمر بن السبكى [فاستمر] إلى أن مات سنة سبع وستين وستمائة .

وزين الدين مخلوف النويرى [الذى] ولى سنة خمس وثمانين وستمائة ، ومات سنة خمس وسبعمائة .

وفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ولى ناصر الدين أحمد بن محمد التَّنَسى ، ومات فى رمضان سنة إحدى وثمانمائة .

[ومنهم] العلامة شمس الدين البساطى ، الذى أقام إلى أن مات سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة .

[بعض] قضاة الحنابلة

أول من ولى منهم زمن الظاهر بيبرس ؛ شمس الدين محمد بن العماد الجماعيلى ، ثم عزل سنة سبعين وستمائه .

وفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ولى موفق الدين عبد الله بن محمد المقدسى ، ومات سنة تسع وستين وسبعمائة .

وناصر الدين نصر الله بن أحمد العسقلانى [الذى] مات سنة خمس

---

(٩٤) أنشأها السلطان الصالح نجم الدين الايوبى سنة ٦٤٠ هـ ولا تزال بشارع المعز لدين الله الفاطمى (بالنحاسين) .

وتسعين وسبعمائة . ثم ولى ابنه برهان الدين إبراهيم إلى أن مات سنة اثنتين وثمانمائة .

وفى سنة سبع وخمسين وثمانمائة ولى عز الدين أحمد بن برهان الدين نصر الله ، ومات سنة ست وسبعين وثمانمائة .

[بعض] وزراء مصر

الوزارة وظيفة قديمة ، كانت للملوك قبل الإسلام ، وكانت للأنبياء ، فما من نبي إلا وله وزير ، قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « وَاجْعَل لى وزيراً مِنْ أهْلى ، هارُون أخِي ، اُشْدُدْ بِهِ أَزْرى ، وَأَشْرِكْهُ فى أمْرى » وقال تعالى مخاطبا له : « سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخِيك ، ونَجْعل لَكُما سُلْطاناً » .

ويقال فلان وزير فلان بمعنى أنه مؤازر له ، لا أنه متول رتبة خاصة يجرى لها قوانين وتنتظم بها دواوين .

وكان للنبى صلى الله عليه وسلم أربعة وزراء ، قال « إن الله أيدنى بأربعة وزراء ، اثنين من السماء ، جبريل وميكائيل ، واثنين من أهل الأرض . أبى بكر وعمر » .

وفى صدر الإسلام لم تكن الوزارة إلا للخلفاء دون أمراء البلاد ، فكان وزير أبى بكر « عمر بن الخطاب » ، ووزير عمر « عثمان بن عفان » ، ووزير عثمان « مروان بن الحكم » .

وكان « رجاء بن حَيْوة » وزير صدق لخلفاء بنى أمية ، غير أنه لم يكن أحد فى عهدهم يلقب بالوزير ، ولا يخاطب بوصف الوزارة .

وأول من لقب بالوزير فى الإسلام «أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال » ، وزير الخليفة السفاح أول خلفاء بنى العباس ، وكان يقال له وزير آل محمد .

وأما مصر فكانت إمرة بلا وزارة إلى أيام السلطان أحمد بن طولون ، ثم عظم أمرها ، ووزر لخمارويه أبو بكر محمد بن رستم الماذَرائى الكاتب ، ووزر لكافور الاخشيد، أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بن حنزابه .

ووزر للمعز الفاطمى جوهر القائد ، وللعزيز أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس - وكان يهوديا فأسلم ، وكان من جملة كتاب كافور . وقد فوض إليه [العزيز] الأمور فى سائر مملكته ، ولما مات حزن عليه حزنا شديدا ، وأغلق الديوان أياما من أجله ، وكانت وفاته سنة ثمانين وثلاثمائة .

ثم وزر بعده عيسى بن نسطورس ، وقبض عليه . وكان أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى وزيرا للظاهر فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة، ثم للمستنصر إلى أن مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، فوزر بعده أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحى - كان يهوديا فأسلم ثم عزل .

[وتتابع بعده الوزراء] حتى وزر القاضى أبو محمد المحسن بن على اليازورى ، مضافا لقضاء القضاة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وسأله المستنصر أن يكتب اسمه معه على السكة ، ثم عزل اليازورى عن الوزارة والقضاء سنة خمسين وأربعمائة . [وتتابع الوزراء فى عهد المستنصر وكان من أشهرهم] أمير الجيوش بدر بن عبد الله الجمالى ، وإليه تنسب قيسارية أمير الجيوش، والعامة تقول مرجوش ، وهو بانى الجامع الذى بثغر الإسكندرية بسوق العطارين، وأقام إلى أن مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

فقام فى الوزارة ولده الأفضل أبو القاسم شاهنشاه ، فوزر للمستنصر بقية أيامه ، وللمستعلى ، وصدرا من ولاية الآمر ، ثم قتل بضربة فدائى وهو راكب سنة خمس عشرة وخمسمائة ، و ترك من الأموال مايفوق العد ، ومن سائر الأنواع مالا يعلم قدره إلا الله تعالى . وقام مكانه أبو عبد الله محمد بن مختار بن بابك البطائحى ولقب المأمون ، وهو بانى الجامع الأقمر [٩٥] ، ثم قبض عليه الآمر وقتله سنة تسع عشرة وخمسمائة .

وقام مكانه أبو على بن الأفضل ولقب أمير الجيوش ، فلما ولى الحافظ [الفاطمى] استحوذ الوزير على الأمور دونه ، وحصر الحافظ فى موضع لا يدخل عليه إلا من يريده ، ونقل الأموال من القصر إلى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط ، ودعى لنفسه على المنابر ، ولم يزل كذلك إلى أن قتله مملوك للحافظ بأمر منه سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

واستوزر بعده أبا الفتح الحافظى ، ثم تخيل الحافظ منه فدس عليه من سمّه فمات ، واستوزر الحافظ بعده ابنه الحسن وكان ولى عهد أبيه فأقام ثلاثة أعوام يظلم ظلما فاحشا ، حتى إنه قتل فى ليلة أربعين أميرا ، فخافه أبوه فدس عليه من سمه فهلك سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

ولما أقيم الفائز وزر له طلائع بن رُزّيك وتلقب بالملك الصالح ، وهو صاحب الجامع بجوار باب زويله ، وأقام وزيرا إلى أن قتل سنة ست وخمسين وخمسمائة فى خلافة العاضد ، وأقيم بعده ابنه رزيك ولقب العادل ، فأقام سنة وأياما وقتل .

ووزر بعده شاور بن مجير أبو شجاع السعدى ولقب أمير الجيوش ، وقد أطمع الفرنج فى أخذ الديار المصرية وما لأهم على ذلك ، إلا أن الله

---

(٩٥) لا يزال بشارع المعز لدين الله الفاطمى الآن .

لطف بمصر وأهلها، فقيض لهم عسكر نور الدين الشهيد(٩٦) فأزاح الفرنج عنها ، وقتل شاور بيد صلاح الدين يوسف بن أيوب ، سنة أربع وستين وخمسمائة .

وولى بعده الأمير أسد الدين شيركوه ولقب الملك المنصور ، فأقام شهرين وخمسة أيام ومات. فاستوزر العاضد بعده ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولقب الملك الناصر ، فأزال دولة بنى عبيد ، وأعاد الخطبة لبنى العباس سنة سبع وستين وخمسمائة، وصار لمصر أميرا بعد أن كان وزيرا ، وجعل وزيره القاضى الفاضل محى الدين عبد الرحيم البيسانى فاستمر وزيراً له ولولده الملك العزيز ، ولولد العزيز الملك المنصور . ومات سنة ست وتسعين وخمسمائة .

[وتتابع الوزراء] ، فاستوزر الظاهر بيبرس الصاحب بهاء الدين بن حنا ، فاستمر فى الوزارة إلى أن مات سنة سبع وسبعين وستمائة .

واستوزر قلاوون، فخر الدين بن لقمان كاتب السر [وغيره] . ثم أبطل الناصر الوزارة، ورتب وظيفة «ناظر الخواص» فولاها «كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السويد » ، فكان كالوزير وربما قيل له «الصاحب» ، واستمرت الوزارة شاغرة إلى سنة أربع وأربعين وسبعمائة.

واستوزر الكامل شعبان ، نجم الدين محمود بن شروين ، [كما] وزر الأمير أيتمش المحمدى ، والأمير منجك اليوسفى سنة خمس وسبعين وسبعمائة، وفوض إليه السلطان كل أمور المملكة ، وأقامه مقام نفسه فى كل شيء ؛ فيخرج الإقطاعات ، ويعزل من شاء من أرباب الدولة [وغير ذلك من الأمور] ، ومات سنة سبعين وسبعمائة .

---

(٩٦) هو السلطان نور الدين محمود بن زنكى أمير حلب .

[وتتابع بعده الوزراء حتى إذا كانت] سنة ست وتسعين وسبعمائة وزر الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بن كَلْبك بن الحسام ولقب وزير الوزراء. فأقام إلى أن مات سنة ثمان وتسعين وسبعمائة.

[وتتابع الوزراء حتى] ولى كرتباى الأحمر سنة إحدى وتسعمائة.

[بعض] كتاب السر

كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلى، وأُبَىّ بن كعب وزيد بن ثابت الأنصارى، ومعاوية بن أبى سفيان وحنظلة بن الربيع الأسدى وغيرهم، وكان المداوم له على الكتابة زيدا ومعاوية.

وكان كاتب أبى بكر الصديق «عثمان بن عفان»، وكاتب عمر «زيد بن ثابت»، وكاتب عثمان «مروان بن الحكم»، وكاتب على «عبد الله بن رافع» و «سعيد بن أبى نمير».

[واتخذ الخلفاء الأمويون والعباسيون كتابا لهم،] فكان كاتب معاوية «عبد الله بن أوس الغسانى»، وكاتب عمر بن عبد العزيز «رجاء بن حَيوة الكندى، و «ليث بن أبى رقيه»، وكتب «عبد الحميد بن يحيى الكاتب» لمروان ابن محمد (٩٧).

وكانت كتابة الإنشاء فى خلافة بنى العباس منوطة بالوزراء، وربما انفرد بها رجل، أو استقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة. فكان [الواحد منهم] يسمى «كاتب الإنشاء»، ولما كثر عددهم؛ سمى رئيسهم «رئيس ديوان الإنشاء» وتارة «كاتب السر».

---

(٩٧) آخر خلفاء الدولة الاموية.

وكتب «عبد الجبار بن عدى» للسفاح ثم كتب للمنصور ، وكتب له أيضا « عبدالله بن المقفع » المشهور بالبلاغة.

وكتب للمستعصم «عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبى الحديد المدائنى » ، وكان آخر الكتاب لخلفاء بغداد ، ومات سنة خمس وخمسين وستمائة .

أما مصر فلم يكن بها ديوان إنشاء من حين فتحت إلى أيام أحمد ابن طولون ، فقوى أمرها ، وعظم ملكها ، فكتب عنده « أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود » . وكتب «إسحق بن نصر العبادى» لولده خمارويه .

وتوالت دواوين الإنشاء إلى أن ملك مصر العبيدية، فعظم ديوان الإنشاء بها ووقع الاعتناء به ،واختيار بلغاء الكتاب ما بين مسلم وذمى(٩٨)، فكتب للعزيز بن المعز وزيره «ابن كاس» ثم «أبو عبد الله الموصلى» ثم « أبو المنصور بن حورس النصرانى » [الذى كتب أيضا] للحاكم ومات فى أيامه . فكتب بعده « القاضى أبو الطاهر الهولى » .

[وتتابع كتاب الخلفاء الفاطميين] فكتب « القاضى موفق الدين أبو الحجاج يوسف بن الخلال » إلى آخر أيام العاضد ، وبه تخرج القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى الذى كتب بين يدى ابن الخلال فى وزارة صلاح الدين الأيوبى .

فلما ملك صلاح الدين كتب له القاضى الفاضل ثم أضيفت إليه الوزارة. ثم كتب بعده لابنه العزيز عثمان ثم لولده المنصور ، ومات .

---

(٩٨) يهودى أو مسيحى .

وفى عهد الصالح (٩٩) ولى الصاحب بهاء الدين زهير الشاعر المشهور ديوان الإنشاء ، ثم صرف وولى بعده « الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الاسعردى » فأقام إلى انقراض الدولة الأيوبية ، [واستمر فى عهد المماليك البحرية حتى] نقله المنصور قلاوون من ديوان الإنشاء إلى الوزارة ، وولى « فتح الدين بن عبد الظاهر » ديوان الإنشاء مكانه ، وهو أول من سمى « كاتب السر » ، واستمر فى كتابة السر إلى أن توفى أيام الأشرف خليل ، وولى مكانه « تاج الدين بن الأثير » .

[ومن الكتاب فى عهد المماليك البرجية] « أوحد الدين عبد الواحد ابن إسماعيل التركمانى » المتوفى سنة ست وثمانين وسبعمائة ، و « بدر الدين محمود بن الكَلَسْتَانى » المتوفى سنة إحدى وثمانمائة ، والقاضى تقى الدين أبو بكر بدر الدين بن مُزْهر » المتوفى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة .

جوامع مصر

منذ فتحت مصر لم يكن بها مسجد تقام فيه الجمعة سوى جامع عمرو بن العاص ، إلى أن قدم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس من العراق فى طلب مروان بن محمد الأموى سنه ثلاث وثلاثين ومائة ، فنزل عسكره شمالى الفسطاط ، وبنوا هناك الأبنية ، فسمى ذلك الموضع « بالعسكر » وأقيم هناك مسجد ، فصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع العسكر ، إلى أن بنى السلطان أحمد بن طولون جامعه حين بنى القطائع ، فأبطلت الخطبة من جامع العسكر وصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع ابن طولون.

ولما قدم جوهر القائد واختط القاهرة وبنى الجامع الأزهر سنة

(٩٩) السلطان الصالح نجم الدين أيوب .

ستين وثلاثمائة، صارت الجمعة تقام بثلاثة جوامع ، ثم بنى العزيز بالله فى ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الجامع الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم سنة ثمانين وثلاثمائة ، وأكمله ابنه الحاكم ، وبنى جامع المقس وجامع راشدة(١٠٠) . فكانت الجمعة تقام فى هذه الجوامع الستة إلى أن انقضت دولة العبيديين سنة سبع وستين وخمسمائة ، فبطلت الجمعة من الجامع الأزهر ، وبقيت فيما عداه .

فلما كانت الدولة التركيه(١٠١) أحدثت عدة جوامع ؛ فبنى الظاهر بيبرس جامع الحسينية(١٠٢) سنة تسع وستين وستمائة . ثم بنى الناصر بن قلاوون الجامع الجديد(١٠٣) بمصر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة . وبنى أمراؤه وكتابه فى أيامه نحو ثلاثين جامعا . وكثرت فى هذا القرن وما بعده إلى الآن .

جامع عمرو

هو الجامع العتيق المشهور بتاج الجوامع ، وكان الذى حاز موضعه أبو عبد الرحمن بن كلثوم التجيبي ؛ نزله فى حصار حصن بابليون ، فلما رجعوا من الإسكندرية، سأل عمرو « أبا عبد الرحمن» فى منزله هذا ليجعله مسجداً ، فقال « فإنى أتصدق به على المسلمين » فسلمه . وكان ماحوله حدائق وأعنابا ، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ، ووضعوا أيديهم ، ولم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة ، وقيل إنه وقف على إقامة القبلة ثمانون رجلا من الصحابة ، منهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وعقبة بن عامر وغيرهم . [وهكذا]

---

(١٠٠) كان بالفسطاط .

(١٠١) دولة المماليك البحرية .

(١٠٢) لا يزال الى الآن بميدان الظاهر بالقاهرة — حى الظاهر .

(١٠٣) لا يزال بالقلعة .

ثم فى سنة إحدى وعشرين ، وكان موضع فسطاط « عمرو » حيث المحراب والمنبر ، [وبلغ] طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين .

وأول من زاد فيه مسلمة بن مخلد سنة ثلاث وخمسين [حين] شكى الناس إليه ضيق المسجد ، فزاد من بحريه(١٠٤) وجعل له رحبة(١٠٥) ، وبيّضه وزخرفه ، ولم يغير البناء القديم ، وزاد من شرقيه حتى ضاق الطريق بينه وبين دار عمرو بن العاص ، وفرشه بالحصر وكان مفروشا بالحصباء ، وبنى فيه أربع صوامع(١٠٦) فى أركانه الأربعة للآذان .

ثم هدمه عبد العزيز بن مروان أيام إمرته بمصر فى سنة تسع وسبعين ، وزاد فيه من ناحية الغرب ، وأدخل فيه الرحبة التى كانت بحريه .

وفى سنة اثنتين وتسعين ، هدمه قُرة بن شَريك بأمر الوليد وبناه ، وتيامن قليلا بالقبلة ، وجعل للمسجد المحراب المجوف ، ثم نصب فيه منبرا جديدا سنة أربع وتسعين ، وعمل له أربعة أبواب ، وبنى فيه أسامة بن زيد التنوخى متولى الخراج بيت المال سنة تسع وتسعين .

ثم زاد فيه صالح بن على بن عبد الله بن عباس وهو يومئذ أمير من قبل السفاح سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فأدخل فيه دار الزبير بن العوام وأحدث له بابا خامسا .

وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين زاد فيه عبد الله بن طاهر بن الحسين

---

(١٠٤) شماله .

(١٠٥) فناء .

(١٠٦) مفرده صومعة وهو بناء مربع مرتفع بنى على نظـام ما كان بالمسجد الأموى بدمشق .

أمير مصر من قبل المأمون ، فتكامل ذرعه (١٠٧) مائتين وتسعين ذراعا فى مائة وخمسين عرضا .

ولما تولى الحارث بن مسكين القضاء من قبل المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ؛ أمر ببناء الرحبة لينتفع الناس بها ، وبلط زيادة ابن طاهر وأصلح السقف .

وفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله بن الخازن رواقاً (١٠٨) مقداره تسعة أذرع . ومات قبل إتمامه فأتمه ابنه .

ولما تأمر السلطان صلاح الدين بن أيوب جدده ورخمه (١٠٩) وعمّر المنظرة التى تحت المئذنة الكبيرة ، وجعل لها سقاية ، ثم أصلح تاج الدين بن بنت الأعز قاضى الديار المصرية ما مال منه ، وهدم ما به من الغرف المحدثة ، وجمع أرباب الخبرة ، واتفق الرأى على إبطال الماء الذى يصل إليه من النيل ؛ لما كان فيه من الضرر على جدار الجامع . [وقد عنى به المماليك ، كالظاهر بيبرس ، وقلاوون ، وبرقوق] .

جامع ابن طولون (١١٠)

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل « يشكر » وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء ، وقيل إن موسى ناجى ربه عليه بكلمات . ابتدأ فى بنائه الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع (١١١) - وهى مدينة بناها

(١٠٧) مساحته .

(١٠٨) كل جزء محصور بين صفين من الأعمدة .

(١٠٩) فرشه بالرخام .

(١١٠) لا يزال بحي طولون القريب من حى السيدة زينب .

(١١١) موضعها الآن تقريبا أحياء السيدة زينب والمنشية والسد البرانى والقصر العينى .

ما بين سفح المقطم حيث القلعة الآن وبين الكبارة [١١٢] وبين كوم الجارح [١١٣] وقناطر السباع .

وكان ابتداء بنائه سنة ثلاث وستين ومائتين، وفرغ منه سنة ست وستين ومائتين ، وبلغت النفقة عليه مائة ألف دينار وعشرين ألفا ، فلما كمل بناؤه وكان على شكل بناء جامع سامرا وكذلك المنارة ، بيضه وحلّقه [١١٤] وفرشه بالحصر ، وعلق فيه القناديل المحكمة بالسلاسل النحاس المفرغة الحسان الطوال، وحمل إليه صناديق المصاحف ، وأمر أن يعمل دائره [١١٥] منطقة عنبر معجون ليفوح ريحاً على المصلين ، ثم أشعر الناس بالصلاة فيه وسألوه أن يوسع قبلته .

وبنى المارستان ، وأنفق عليه ستين ألف دينار . وعمل فى مؤخره ميضأة [١١٦] وخزانة فيها جميع الأدوية والأشربة ، وعليها خدم، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث من الحاضرين للصلاة ، ثم أوقف على الجامع أوقافا كثيرة .

وكان فى وسط صحنه [١١٧] قبة مذهبة على عشرة عمد رخام مفروشة كلها بالرخام، وتحت القبة قصعة [١١٨] رخام سعتها أربعة أذرع ، فى وسطها فوارة تفور بالماء ، وكانت على السطح علامات للزوال [١١٩] ، والسطح

---

(١١٢) و (١١٣) حيان قديمان .
(١١٤) جعل حوله سورا .
(١١٥) حوله .
(١١٦) مكان للوضوء .
(١١٧) فنائه .
(١١٨) حوض .
(١١٩) الوقت تبعا لضوء الشمس .

بدر ابن ساج ، وقد احترق هذا كله سنة تسع وسبعين وثلاثمائة . فلما كانت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة أمر العزيز بالله [الفاطمى] ببناء فوارة عوضا عن التى احترقت .

ولما وقع الغلاء فى زمن المستنصر خربت القطائع بأسرها ، وعدم السكن هناك ، وصار ماحول الجامع خرابا ، وتوالت الأيام على ذلك ، فتشعث(١٢٠) الجامع وخرب أكثره .

ولما قتل « لاجين » الأشرف الخليل بن قلاوون ، هرب واختفى بالمنارة ، فنذر إن نجاه الله تعالى من هذه الفتنة ليعمرنه ، فنجاه الله وتسلطن فأمر بتجديده ، ووقف عليه وقفاً ، ورتب فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة ، والقراءات والطب [وغيرها] .

وأول من ولى نظره بعد تجديده ، الأمير علم الدين سنجر العادلى ، ثم ولى نظره قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة . [وتتابع عليه النظار] .

وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، جدد البازدار مقدم الدولة عبيد ابن محمد بن عبد الهادى ، الرواق البحرى الملاصق للمئذنة ، وجدد فيه ميضأه بجانب الميضأه القديمة .

الجامع الأزهر

هذا الجامع أول جامع أسس بالقاهرة ، أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى ، مولى المعز لدين الله الفاطمى ، لما اختط(١٢١) القاهرة . وابتدأ بناءه سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكمل سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

---

(١٢٠) تصدع وتخرب .
(١٢١) بنى .

ثم جدده الحاكم بأمر الله ، ووقف عليه أوقافاً وجعل فيه تنورين(١٢٢) وعشرين قنديلا من فضة .

وجدده المستنصر أيضا ، وأنشأ فيه الحافظ مقصورة لطيفة بجوار الباب الغربى الذى فى مقدم الجامع .

ثم جدد فى أيام الظاهر بيبرس .

ولما بنى كانت الخطبة تقام فيه حتى بنى الجامع الحاكمى ، فانتقلت الخطبة إليه ، وكان الخليفة يخطب فى جامع عمرو جمعة ، وفى جامع ابن طولون جمعة ، وفى الجامع الأزهر جمعة ، ويستريح جمعة ، فلما بنى الجامع الحاكمى صار الخليفة يخطب فيه ولم تنقطع الجمعة من الجامع الأزهر بالكلية .

ولما ولى السلطان صلاح الدين بن أيوب ؛ أبطل الخطبة من الجامع الأزهر وأقرها بالجامع الحاكمى لكونه أوسع .

فلم يزل الجامع الأزهر معطلا من إقامة الخطبة فيه [حتى أعيدت فى أيام الظاهر بيبرس .

جامع الحاكم(١٢٣)

أول من أسسه العزيز بالله بن المعز ، وخطب فيه وصلى بالناس ، ثم أكمله الحاكم بأمر الله .

وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ، ويعرف اليوم بجامع الحاكم ، ويقال له

---

(١٢٢) موقدين .

(١٢٣) لا يزال قائما بجوار باب الفتوح وبه مدرسة السلحدار الاعدادية ولا تقام به الصلاة .

الجامع الأنور وكان تمام عمارته سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وحبس عليه الحاكم عدة أملاك بباب الفتوح .

وقد هدم فى الزلزلة الكائنة سنة اثنتين وسبعمائة ، فجدده السلطان بيبرس الجاشنكير ، ورتب فيه دروسا على المذاهب الأربعة ، ودرس حديث، ودرس نحو ودرس قراءات .

[بعض الجوامع من عهد الفاطميين]

ومن الجوامع التى بنيت فى خلافة بنى عبيد ؛ الجامع الأقمر (١٢٤) الذى بناه الآمر بأحكام الله ، والجامع الأخمر (١٢٥) وهو الذى يقال له اليوم جامع الفاكهاهين بناه الخليفة الظافر ، وجامع الصالح طلائع (١٢٦) خارج باب زويلة ، بناه الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الخليفة العاضد

أمهات المدارس والخانقاه (١٢٧) العظيمة بالديار المصرية

لما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب الديار المصرية ؛ لم يكن بها شيء من المدارس ، فبنى السلطان صلاح الدين المدرسة المجاورة للإمام الشافعى بالقرافة الصغرى، وبنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسينى بالقاهرة ، وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه ، ودار عباس الوزير الفاطمى مدرسة للحنفية وهى المعروفة الآن بالسيوفية ، وبنى مدرسة للشافعى وتعرف بالشريفية ، ومدرسة أخرى للمالكية وهى المعروفة بالقمحية .

---

(١٢٤) بنى سنة ٥١٩ هـ ولا يزال بشارع المعز لدين الله الفاطمى .
(١٢٥) بنى سنة ٥٤٤ هـ ولا يزال بشارع المعز لدين الله الفاطمى .
(١٢٦) بنى سنة ٥٥٥ هـ ولا يزال بشارع المعز لدين الله الفاطمى .
(١٢٧) التكايا .

المدرسة الصلاحية

بجوار الإمام الشافعي رضى الله عنه ، بناها السلطان صلاح الدين ابن أيوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، ومن الذين درسوا بها الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ، وقاضى القضاة تقى الدين بن بنت الأعز وابن حجر [وغيرهم] .

خانقاه سعيد السعداء

كانت دار « سعيد السعداء قنبرَ » عتيق الخليفة المستنصر ، فوقفها السلطان صلاح الدين بن أيوب على الصوفية ، ورتب لهم طعاماً ولحماً وخبزاً ، وهى أول خانقاه عملت بديار مصر ، ونعت شيخها « بشيخ الشيوخ » ، وما زال ينعت بذلك إلى أن بنى الناصر محمد بن قلاوون خانقاه بسرياقوس ، فدعى شيخها بشيخ الشيوخ ، إلى أن كانت سنة ست وثمانمائة فتلقب كل شيخ خانقاه بشيخ الشيوخ .

وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم ، وولى مشيختها الأكابر ، وممن ولى مشيختها بدر الدين بن جماعة ، والقاياتى والقلقشندى وغيرهم .

المدرسة الكاملية (١٢٨)

كانت دار حديث ، وليس بمصر دار حديث غيرها ، وهى ثانى دار للحديث عملت ، فإن أول من بنى دار حديث هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق .

---

(١٢٨) لا تزال بحى الجمالية .

وقد بناها الملك الكامل [الأيوبى] وكملت عمارتها سنة إحدى وعشرين وستمائة ، ومن مشايخها تاج الدين بن القسطلانى المالكى ، وابن دقيق العيد [وغيرهما] .

المدرسة الصالحية (١٢٩)

بين القصرين وهى أربع مدارس (١٣٠) ، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ، شرع فى بنائها سنة تسع وثلاثين وستمائة .

وهذه المدرسة من أجمل مدارس القاهرة ، إلا أنها قد تقادم عهدها فرثت . وقد قال السراج الوراق فيها أبياتا [منها] :

مليك له فى العلم حب وأهله ... فلله حب ليس فيه ملام

وقال ابن السنبرة وقد نظر إلى قبر الملك الصالح وقد دفن فيها :-

بنيت لأرباب العلوم مدارساً ... لتنجو بها من هول يوم المهالك

وضاقت عليك الأرض لم تلق منزلا ... تحل به إلا إلى جنب مالك (١٣١)

المدرسة الظاهرية القديمة (١٣٢)

أتم بناءها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى سنة اثنتين وستين وستمائة ، ورتب فيها لتدريس الشافعى والحنفى ، والحديث وإقراء القراءات ، ووقف بها خزانة كتب .

---

(١٢٩) لا تزال قائمة بشارع المعز لدين الله الفاطمى بحى النحاسين .
(١٣٠) أى بها أربعة أقسام .
(١٣١) المكان المخصص لتدريس مذهب مالك بالمدرسة .
(١٣٢) لا تزال بقاياها بجانب مدرسة الصالح نجم الدين بشارع المعز لدين الله الفاطمى بالنحاسين .

المدرسة المنصورية (١٣٣)

أنشأها هى والبيمارستان (١٣٤) الملك المنصور قلاوون ، وكان على عمارتها الأمير « علم الدين سنجر الشجاعى » فلما تما ، دخل عليه الشرف البوصيرى فمدحه بقصيدة أولها :

أنْشَأْتَ مَدْرسة ومَارسْتانا لِتُصَحِّحَ الأبْدانَ والأدْيانا

فأجزل عطاءه ، ورتب فى هذه المدرسة دروس فقه على المذاهب الأربعة ، ودرس تفسير ، ودرس حديث ، ودرس طب .

المدرسة الناصرية (١٣٥)

ابتدأها العادل كتبغا ، وأتمها الناصر محمد بن قلاوون سنة ثلاث وسبعمائة ، ورتب بها دروساً للمذاهب الأربعة ، وكان يجلس بدهليزها عدة من الخدم ، ولا يمكن أن يصعد إليها غريب .

الخانقاه البيبرسية (١٣٦)

بناها الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير سنة [تسع وسبعمائة (١٣٧)] ، موضع دار الوزارة ، وبعد موته أغلقها الناصر بن قلاوون فى سلطنته الثالثه مدة ، ثم أمر بفتحها .

---

(١٣٣) لا تزال بشارع المعز لدين الله الفاطمى قرب حى النحاسين .
(١٣٤) مستشفى .
(١٣٥) لا تزال بشارع المعز لدين الله الفاطمى قرب النحاسين بين جامع برقوق ومجموعة قلاوون .
(١٣٦) هى المعروفة الآن بجامع بيبرس بشارع الجمالية بالقاهرة .
(١٣٧) وجد بالتحقيق أن البناء تم فى سنة ٧٠٩ هـ وليس كما جاء الأصل .

وهى أجل خانقاه بالقاهرة بنياناً ، وأوسعها مقداراً ، وأتقنها صنعة والشباك الكبير الذى بها هو الشباك الذى كان بدار الخلافة ببغداد ، وقد حمله الأمير البساسيرى من بغداد لما غلب على الخليفة القائم العباسى ، وأرسل به إلى صاحب مصر .

خانقاه قوصون بالقرافة

بنيت سنة ست وثلاثين وسبعمائة[١٣٨] ، وأول من ولى مشيختها الشمس محمود الأصفهانى صاحب التصانيف المشهورة ، وكانت من أعظم جهات البر .

خانقاه شيخو[١٣٩]

بناها الأمير سيف الدين شيخو العمرى ، وكان أستاذه الناصر محمد بن قلاوون ، وفرغ من عمارتها سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، ورتب فيها أربعة دروس على المذاهب الأربعة ، ودرس حديث ودرس قراءات [وغيرها] .

وشرط شيخو فى شيخها الأكبر [أن يكون] شيخ التصوف وتدريس الحنفى بالديار المصرية ، وأن يكون عارفاً بالتفسير والأصول ، وأن لا يكون قاضيا وهذا الشرط عام فى جميع الوظائف .

وأول من تولى تدريس الشافعية بها الشيخ بهاء الدين بن تقى الدين السبكى ، وجمال الدين عبدالله بن الزولى ، وابن العديم و [غيرهم] .

---

(١٣٨) بنيت فى عهد الناصر محمد بن قلاوون .

(١٣٩) لا تزال بحى القلعة وهى المعروفة الآن بجامع شيخون .

مدرسة صرغتمش (١٤٠)

تمت عمارتها سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وهى من أبدع المبانى وأجلها ، ورتب فيها درس فقه على مذهب الحنفى ودرس حديث .

مدرسة السلطان حسن (١٤١)

شرع السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون فى بنائها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، واستمرت عمارتها مدة ثلاث سنين .

ولا يعرف ببلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذه المدرسة فى كبر قالبها (١٤٢)، وحسن هندامها ، وضخامة شكلها ، وبها أربع مدارس للمذاهب الأربعة، وعزم السلطان أن يبنى أربع منائر يؤذنون عليها فتمت ثلاث منائر ، ثم سقطت المنارة التى على الباب سنة اثنتين وستين وسبعمائة .

المدرسة الظاهرية (١٤٣)

انتهت عمارتها فى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وكان القائم على عمارتها جركس الخليلى أمير اخور (١٤٤) .

---

(١٤٠) أنشأها الأمير سيف الدين صرغتمش أحد مماليك الناصر محمد ابن قلاوون ، وتعرف الآن بجامع صرغتمش بشارع الخضيرى بالقرب من مسجد ابن طولون .

(١٤١) هى المعروفة الآن بجامع السلطان حسن أمام مسجد الرفاعى بحى القلعة .

(١٤٢) ضخامة البناء .

(١٤٣) بناها السلطان الظاهر أبو سعيد برقوق وهى المعروفة الآن بجامع برقوق بشارع المعز لدين الله الفاطمى بجوار مدرسة الناصر محمد .

(١٤٤) أحد أمراء الظاهر برقوق واليه ينسب ما يعرف بخان الخليلى الآن .

ونزل السلطان إليها ومد فيها سماطا (١٤٥) عظيما ، وتكلم فيها المدرسون .

المدرسة المؤيدية (١٤٦)

انتهت عمارتها [فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة] (١٤٧)، وبلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار ، واتفق بعد البناء بسنة ميل المئذنة التى بنيت لها على البرج الشمالى بباب زويلة ، وكان الناظر على العمارة بهاء الدين بن البرجى .

رباط الآثار (١٤٨)

بالقرب من بركة الحبش ، عمره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا (١٤٩) ، وفيه قطعة خشب وحديد وأشياء أخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراها الصاحب المذكور من بنى إبراهيم أهل ينبع ، وقد ذكروا أنها لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حملها إلى هذا الرباط ، وهى به يتبرك بها .

ومات الصاحب تاج الدين سنة سبع وسبعمائة .

---

(١٤٥) فرش كانت تفرش على الأرض لتوضع فوقها صحاف الطعام .

(١٤٦) بناها السلطان المؤيد أحمد بن اينال العلائى من المماليك البرجية وتعرف الآن بجامع المؤيد بجوار باب زويله (المتولى) بالغورية .

(١٤٧) ذكر بالأصل أن عمارتها انتهت سنة ٨١٨ هـ وبالتحقيق وجد أن عمارتها بدأت سنة ٨١٨ هـ وانتهت سنة ٨٢٣ هـ .

(١٤٨) بقرية البساتين تقريبا الآن .

(١٤٩) من عهد المماليك البحرية .

وللأديب جلال الدين الخطيب فى الآثار بيتان :

يَا عَينُ إنْ بَعُدَ الحبيبُ ودارُهُ ونأتْ مرابعُهُ وشطّ[١٥٠] مَزارُهُ

فَلَقَدْ ظَفِرْتُ مِنَ الزمانِ بِطَائل إنْ لَمْ تَرِيهِ فهذِهِ آثارُهُ

[بعض] الحوادث الغريبة الطائلة بمصر فى ملة الاسلام

فى سنة أربع وثلاثين سار رجل يقال له عبد الله بن سبأ وكان يهوديا فأظهر الإسلام، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه ، واقتتن به بشر كثير من أهل مصر ، وكان ذلك مبدأ تألبهم على عثمان .

وفى سنة خمس وثمانين كان الطاعون بالفسطاط ، ومات فيه عبدالعزيز ابن مروان أمير مصر .

وسقطت رأس منارة الإسكندرية بسبب زلزلة شديدة سنة ثمانين ومائة . وفى سنة ست عشرة ومائتين ، وثب رجل يدعى عبدوس الفهرى بمصر، فتغلب على نواب أبى إسحاق بن الرشيد ، وقويت شوكته ، واتبعه خلق كثير ، فركب الخليفة المأمون من دمشق إلى الديار المصرية ، فدخلها سنة سبع عشرة ومائتين ، وظفر بعبدوس فضرب عنقه ، ثم كر راجعا إلى الشام .

ولقد أقبلت الروم فى البحر سنة ثمان وثلاثين ومائتين فى ثلاثمائة مركب وأبهة عظيمة ، فكسبوا دمياط ، وأسروا وأحرقوا وسبوا ستمائة امرأة» وأخذوا من الأمتعة والأسلحة شيئاً كثيرا ، وفر الناس منهم فى

---

(١٥٠) بعد .

كل جهة ، فكان من غرق فى بحيرة تنيس [١٥١] أكثر ممن أسر ، ورجعوا إلى بلادهم ، ولم يعرض لهم أحد .

وفى سنة خمس وأربعين ومائتين زلزلت مصر ، وسمع أهل تنيس ضجة دائمة طويلة مات منها خلق كثير .

وزفت « قطر الندى » بنت خمارويه بن أحمد بن طولون من مصر إلى الخليفة المعتضد العباسى ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ونقل أبوها فى جهازها مالم ير مثله ، وكان من جملته ألف تكة [١٥٢] بجوهر ، وعشر صناديق جوهر ، ومائة هون ذهب ، وأعطاها مائة ألف دينار لتشترى بها من العراق ماتحتاج إليه مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية ،

وظهرت بمصر فى سنة أربع وثمانين ومائتين ظلمة شديدة وحمرة فى الأفق،حتى جعل الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جداً وكذلك الجدران ، فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل فخرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرعون إليه حتى كشف عنهم .

وفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين ظهر رجل يقال له « الخلنجى » فخلع الطاعة . واستولى على مصر وحارب الجيوش ،وأرسل إليه الخليفة المكتفى العباسى جيشاً فهزمهم ، ثم أرسل إليه جيشاً آخر بقيادة « فاتك المعتضدى »فهُزم الخلنجى وهرب ،ثم ظفر به ،وأمسك وسير إلى بغداد حيث الخليفة .

ولقد سار عبيد الله المهدى [١٥٣] المتغلب على المغرب سنة إحدى وثلاثمائة فى أربعين ألفاً ليأخذ مصر حتى بقى بينه وبينها أيام ؛ ففجّر النيل

(١٥١) المعروفة ببحيرة المنزلة الآن .
(١٥٢) رباط السراويل .
(١٥٣) الخليفة الفاطمى بالمغرب .

فحال الماء بينهم وبينها ، ثم جرت حروب فرجع المهدى إلى برقة بعد أن ملك الإسكندرية والفيوم .

ثم عاد المهدى إلى الإسكندرية فى سنة اثنتين وثلاثمائة ، وتمت وقعة كبيرة ثم رجع إلى القيروان (١٥٤) .

[حتى إذا كانت] سنة ست وثلاثمائة ، أقبل القائم بن المهدى فى جيوشه فأخذ الإسكندرية وأكثر الصعيد ثم رجع .

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس ، فأضاءت الدنيا منه ، وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد .

وفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، أمر الحاكم بأمر الله الفاطمى بقطع جميع الكروم التى بديار مصر والصعيد والإسكندرية ودمياط ، فلم يبق بها كرم احترازا من عصر الخمر ، ثم أمر الناس فى هذه السنة أيضا بالسجود إذا ذكر اسمه فى الخطبة .

وكسا الكعبة القباطى (١٥٥) البيض [بعد ذلك بأربع سنين] . ثم أمر بهدم الكنائس التى بالبلاد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، ونادى « من لم يسلم فليخرج من مملكتى ، أو يلتزم بما آمر » ، ثم أمر بتعليق صلبان كبار على صدور النصارى ، وزن الصليب أربعة أرطال ، وبتعليق خشبة عليها تمثال رأس عجل وزنها ستة أرطال فى عنق اليهود .

---

(١٥٤) مدينة تونس الآن أنشأها عقبة نافع سنة ٥٠ هـ فى عهد معاوية بن أبى سفيان .

(١٥٥) أثواب من الكتان الرقيق كانت تعمل بمصر وينسب الى القبط .

وبنى الحاكم دارا للعلم فى سنة أربعمائة وفرشها ، ونقل إليها الكتب العظيمة مما يتعلق بالسنة ، وأجلس فيها الفقهاء والمحدثين ، وأطلق قراءة فضائل الصحابة ، وأطلق صلاة الضحى والتراويح، وأبطل الآذان « بحى على خير العمل » فكثر الدعاء له ، ثم هدم الدار بعد ثلاث سنين ، وقتل خلقا ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والديانة ، ومنع صلاة الضحى والتراويح .

واتفق تشعيث [١٥٦] الركن اليمانى من المسجد الحرام بمكة ، وسقوط جدار بين قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وسقوط القبة الكبيرة [١٥٧] على صخرة بيت المقدس سنة سبع وأربعمائة، فكان ذلك من أغرب الاتفاقات .

وفى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، كسفت الشمس كسوفا عظيما فمكثت أربع ساعات حتى بدت النجوم ، وأوت الطيور إلى أوكارها [١٥٨] لشدة الظلمة .

وكان ابتداء الغلاء العظيم الذى لم يسمع بمثله فى الدهور من عهد يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام سنة ستين وأربعمائة ، فاشتد القحط والوباء سبع سنين متوالية ، بحيث أكلوا الجيف والميتات ، وأفنيت الدواب ، وبيع الكلب بخمسة دنانير والهر بثلاثة ، ولم يبق لخليفة مصر [١٥٩] سوى ثلاثة أفراس بعد العدد الكثير ، فنزل الوزير يوما عن بغلته ، فغفل الغلام عنها لضعفه فأخذها ثلاثة نفر ، فذبحوها وأكلوها

---

(١٥٦) تصدع .
(١٥٧) بناها عبد الملك بن مروان الخليفة الاموى سنة ٧٦ هـ .
(١٥٨) أعشاشها .
(١٥٩) كان آنئذ الخليفة المستنصر بالله الفاطمى .

فأخذوا وصلبوا ، وأصبحوا وقد أكلهم الناس ولم يبق إلا عظامهم ،وظهر رجل يقتل الصبيان والنساء ويبيع لحومهم ويدفن رؤوسهم وأطرافهم فقتل ، وبيعت البيضة بدينار ، وبلغ الأردب من القمح مائة دينار ، ثم عدم القمح أصلا ، حتى حكى أن امرأة خرجت من القاهرة ومعها مد(١٦٠) جوهر فقالت « من يأخذه بمد قمح » فلم يلتفت إليها أحد .

[وفى عهد وزارة صلاح الدين الأيوبى] سنة خمس وستين وخمسمائة ، حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما ، بحيث ضيقوا على أهلها وقتلوا منهم ، فأرسل نور الدين محمود إليهم جيشا بقيادة صلاح الدين فأجلوهم عنها ، وكان الملك نور الدين شديد الاهتمام بذلك ، حتى إنه قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزءا فيه حديث بالتبسم فطلب منه أن يبتسم فامتنع من ذلك ، وقال « إنى لأستحى من الله أن يرانى مبتسما والمسلمون تحاصرهم الفرنج بثغر دمياط » .

وفى سنة ست عشرة وستمائة حاصر الفرنج دمياط ووقعت حروب كثيرة ، وجدت الفرنج فى المحاصرة ، وعملوا عليها خندقا كبيرا ، وثبت أهل البلد ثباتا لم يسمع بمثله ،وكثر فيهم الجرح والقتل والموت ، ثم سلمت بالأمان . وطار عقل الفرنج فرحا ، وتسارعوا إليها من كل فج ، وشرعوا فى تحصينها ، وأصبحت دار هجرتهم ، ورجوا بها أخذ الديار المصرية ، وأشرف الإسلام على خطة خسف ،وأقبل التتار من المشرق ،والفرنج من المغرب ، وعزم المصريون على الجلاء ،فثبتهم الكامل إلى أن سار إليه أخواه الأشرف والمعظم وحصل الفتح ولله الحمد .

---

(١٦٠) مكيال .

وطيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة سنة خمس وسبعين وستمائة ، وكان يوما مشهودا ، وكان هذا مبدأ ذلك ، واستمر كل عام لى الآن .

وتربت جزيرة كبيرة بنهر النيل فى سنة ثمان وسبعمائه هجرية تجاه قرية بولاق ، وانقطع بسببها مجرى النيل ما بين قلعة المقس وساحل باب البحر ، واشتد ونشف بالكلية ، واتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشى ، وحصل لأهل القاهرة مشقة من نقل الماء لبعد النيل ، فأراد السلطان حفره فقالوا إنه لا يفيد ونشف إلى الأبد .

ولقد أخذت الفرنج مدينة الإسكندرية سنة سبع وستين وسبعمائة ، وقتلوا وأسروا ، فخرج السلطان والعسكر لقتالهم ففروا وتركوها .

ورسم للأشراف (١٦١) بالديار المصرية والشامية ، أن يسموا عمائمهم بعلامة خضراء تميزا لهم عن الناس ، ففعل ذلك فى مصر والشام وغيرهما ، وقال فى ذلك الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقى :

أَطْرافُ تِيجانٍ أَتَتْ مِنْ سُنْدُسٍ ... خُضْرٍ بِأَعْلَامٍ عَلَى الأَشْرَافِ

والأَشْرَفُ السلطانُ خَصَّصَهُم بها ... شَرَفاً لِيعرِفَهم مِنَ الأَطْرافِ

وفى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة ، أحدث السلام على النبى صلى الله عليه وسلم عقب آذان العشاء ليلة الإثنين ، مضافا إلى ليلة الجمعة ، ثم أحدث بعد عشر سنين عقب كل آذان إلا المغرب .

---

(١٦١) الذين ينتهى نسبهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

الطريق المسلوك من مصر الى مكة شرفها الله تعالى

كانت المحافل السلطانية وجماهير الركبان لا تخرج إلا من أربع جهات، مصر ودمشق وبغداد وتعز[١٦٢] . فيخرج الركب من مصر بالمحمل السلطانى بالماء والزاد والأشربة والأدوية والعقاقير والأطباء ، والكحالين والمجبرين والأدلاء ، والأئمة والمؤذنين والأمراء والجند ، والقاضى والشهود وغيرهم ، فى أكمل زى وأتم أبهة ، وإذا نزلوا منزلا أو رحلوا مرحلا تدق الكوسات[١٦٣] ، وينفر النفير ليؤذن الناس بالرحيل والنزول .

فإذا خرج الركب من القاهرة نزل « البركة »[١٦٤] فيقيم بها ثلاثة أيام أو أربعة ، ثم يرحل إلى السويس ، ثم إلى « نخل » وقد عمل فيها الأمير الملك الجوكندار المنصورى إحد أمراء المشورة فى الدولة الناصرية بركا، واتخذ فيها مصانع ، ثم يرحل إلى أيله[١٦٥] فينزل منها إلى حجز[١٦٦] بحر القلزم ، ويمشى حتى يقطعه من الجانب الشمالى إلى الجانب الجنوبى، ويقيم به أربعة أيام أو خمسة ، وبه سوق عظيم فيه أنواع المتاجر ، ثم يرحل إلى «بر مَدْين »[١٦٧] وبه مغارة شعيب عليه الصلاة والسلام ، ثم يرحل إلى عيون القصب ثم إلى المويلحة، ثم إلى الحوراء على ساحل بحر القلزم ،ثم إلى نبط ، ثم إلى ينبع ويقيم ثلاثة أيام ، ثم إلى بدر وهى مدينة حجازية، وبها عيون وجداول وحدائق .

---

(١٦٢) مدينة باليمن .
(١٦٣) الطبول .
(١٦٤) تبع مركز شبين القناطر الآن بمديرية القليوبية .
(١٦٥) موضع العقبة الآن .
(١٦٦) شط أو ناحية .
(١٦٧) توجد بشمال شبه الجزيرة العربية .

ثم يرحل إلى رافع وهى بإزاء « الجحفة » التى هى الميقات ، ثم يرحل إلى «خليعى»، وبها بركة عملها الأمير أرغون الناصرى، ثم إلى مكة المشرفة.

ثم يرجع إلى بدر فيعطف إلى المدينة الشريفة ، ثم يرجع إلى الصفراء ويأخذ بين جبلين فى فجوة تعرف « بنقب » حتى « ينبع » ؛ ثم يستقيم على طريقه إلى مصر .

« حمائم الرسائل »

اتخذ السلطان نور الدين محمود فى سنة سبع وستين وخمسمائة الحمام الهوادى(١٦٨)، وذلك لامتداد مملكته واتساعها ، ثم اتخذ قلعة وحبس الحمام الذى [يجوب] الآفاق فى أسرع مدة .

وفى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة،إعتنى الخليفة الناصر لدين الله العباسى بحمام البطاقة (١٦٩) اعتناء زائداً ، حتى صار يكتب بأنساب الطير المحاضر — « إنه من ولد الطير الفلانى» ، وقد ألف القاضى محى الدين بن عبد الظاهر فى أمور هذه الحمائم كتاباً سماه « تمام الحمام » ، وذكر فيه فصلا فيما ينبغى أن يفعل ، وما جرت به العادة فقال:

« إنها لا تحمل البطاقة إلا فى جناحها لأمور منها ؛ حفظها من المطر ولقوة الجناح ، والواجب أنه إذا انطلق من مصر لا يطلق إلا من أمكنة معلومة ، فإذا سرحت(١٧٠) إلى الإسكندرية فلا تسرح إلا من « منية

---

(١٦٨) نوع من الحمام .

(١٦٩) حمام الرسائل ويعرف بحمام الزاجل .

(١٧٠) أطلقت .

عقبة » بالجيزة ، وإلى الشرقية فمن مسجد التين ظاهر القاهرة ، وإلى دمياط فمن «بسوس» بشط بحر «منجى» .

« والذى استقرت قواعد الملك عليه ، أن طائر البطاقة لا يلهو الملك عنه ، ولا يغفل ولا يمهل لحظة واحدة ، ولا يأخذ البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة أحد » .

« وينبغى أن تكتب البطائق فى ورق الطير (١٧١) ، وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنين، وينبغى أن لا يكثر فى نعوت المخاطب فيها ، ولا يذكر فيها حشو الألفاظ، ولا بد أن يكتب وصف الطائر ورفيقه إن كان طائرين قد سرحا ، حتى إن تأخر الطائر الواحد روقب حضوره ، ولا يعمل للبطائق هامش ، وجرت العادة أن يكتب فى آخرها « وحسبنا الله ونعم الوكيل» ، وذلك حفظاً لها » . وفيها يقول أبو محمد أحمد بن علوى بن أبى عقبال القيروانى :

خُضْرٌ تَفُوقُ الريحَ فى طَيَرانِها ... يا بُعْدَ بين غُدُوِّهَا ورَواحِها

تَأتى بأخبارِ الغدوِّ عشيَّةً ... لِمَسِيرِ شهرٍ تحتَ رِيش جَناحِها

وكأنَّما الرُّوحُ الأمِينُ بِوَحْيِهِ ... نَفَثَ الهِدايَ مِنْهُ فى أرْواحِها

عادة المملكة فى الخلع (١٧٢) والزى

القضاة والعلماء خلعهم من الصوف بغير طراز ، ولهم الطرحة ، وأصل الصوف أن يكون أبيض وتحته أخضر .

---

(١٧١) نوع خاص من الورق عرف بهذا الاسم .
(١٧٢) ما يهديه السلطان من الملابس .

وأما زيهم فدلق [١٧٣] متسع بغير تفريق ، فتحته على كتفه ، وشاش كبير منه ذؤابة بين الكتفين ويميلها إلى الكتف الأيسر ،ومنهم من يلبس الطيلسان [١٧٤] .

وأما من دون هؤلاء فالفرجية [١٧٥] الطويلة الكم بغير تفريج ، والذؤابة أيضاً ويميلها إلى الكتف الأيسر .

وأما قاضى القضاة الشافعى فرسمه الطرحة وبها يمتاز . ومراكبهم البغال ، ويعمل بدلا من الكنبوش [١٧٦] ، الزنارى [١٧٧] وهو من الجوخ بالعباء المجوف وشاش أسود وطرحة سوداء .

عادة السلطان فى الكتابة

إذا كتب لأحد من النواب [١٧٨] يكتب اسمه فقط ، فإن كان من كبارهم وهو من ذوى السيوف كتب والده فلان ، وإن كان من القضاة والعلماء كتب أخوه فلان .

معاملة مصر [١٧٩]

معاملة مصر «الدراهم» ثلثاها فضة وثلثها نحاس ، والدرهم ثمانية عشرة خرنوبة ، والخرنوبة ثلاث قمحات ، والمثقال أربعة وعشرون خرنوبة.

---

(١٧٣) فراء (فارسى معرب) .
(١٧٤) نوع من الثياب .
(١٧٥) جلباب طويل واسع من الأمام له أكمام واسعة .
(١٧٦) ، (١٧٧) أنواع من الملابس تشبه لباس القساوسة تقريبا .
(١٧٨) عماله على الأقاليم .
(١٧٩) العملة .

والدرهم منها قيمته ثمانية وأربعون فلساً ، والدينار الحبشى ثلاثة عشر درهما وثلث درهم(١٨٠) .

وأما الكيل فمختلف فى مصر ، فالأردب ست ويبات، والويبة أربعة أرباع، والربع أربعة أقداح ، والقدح مائتان واثنان وثلاثون درهما ، هذا أردب مصر .

وفى الأرياف يختلف الأردب عن هذا المقدار .

وفى الموازين، «الرطل» وهو اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية اثناعشر درهما . وفى سنة خمس وسبعين ، ضرب عبد الملك بن مروان على الدنانير والدراهم « اسم الله تعالى» ، وسببه أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الإسلام بأربعمائة سنة، مكتوباً عليها «باسم الأب والابن والروح القدس»، فسبكها ونقش عليها اسم الله تعالى وآيات من القرآن واسم الرسول صلى الله عليه وسلم . واستمر نقشها كذلك إلى زمن الرشيد، فأراد تغييرها(١٨١) فقيل له « هذا أمر قد استقر وألفه الناس » ، فأبقاها على ما هى عليه ونقش عليها اسمه .

وأما الوزن فما تعرض أحد لتغييره .

[بعض] من بقية لطائف مصر

يوجد بها فى كل وقت من الزمان من المأكول والمأدوم(١٨٢)

---

(١٨٠) بطل استعمال هذه العملة .
(١٨١) بزيادة الكتابة عليها .
(١٨٢) الطعام .

والمشموم (١٨٣) وسائر البقول والخضر، وجميع ذلك فى الصيف والشتاء لا ينقطع منها شيء لبرد ولا لحر .

والزجاج المجزّع الملون(١٨٤) ،والصوان وهو حجر لا يعمل الحديد فيه، وكانت الأوائل تعمده(١٨٥) وتقطعه بأسوان ، وكل حمامات مصر بالرخام لكثرته ، وكذلك صحون دورهم .

وبها الحجارة المسماة «بالكدان» ويبلط بها الدور ، ويعقد بها الدرج ، وبها من الحصر العبدانى ، ومن سائر أنواع الحصر ما لا يوجد بغيرها .

ويجلب منها البز(١٨٦) الأبيض من الدبيق (١٨٧) وغيره. الذى يعمل بدمياط وتنيس، وبالإسكندرية يعمل الوشى(١٨٨) الذى يقوم مقام وشى الكوفة ، وبالصعيد يعمل من الجلود الأنطاع(١٨٩) ،وبالبهنسا الستار التى هى أحسن الستور والبسط ، وأجلة (١٩٠) الدواب ، والبراقع وستور النسوان ، والأكسية والطيالسة . وكان يعمل بأخميم الفرش التى تسمى نطوع الخز .

---

(١٨٣) ذو الرائحة .
(١٨٤) الحجر ذو الالوان المتعددة .
(١٨٥) تجعله عمدا .
(١٨٦) الثياب .
(١٨٧) ثياب دقيقة تنسب الى قرية أسمها دبيق كانت فى شرقى الدلتا على ساحل بحيرة المنزلة واندثرت .
(١٨٨) نوع من النسيج المنقوش .
(١٨٩) جمع نطع وهى الجلد المدبوغ .
(١٩٠) جمع جل وهو للدابة كالثوب للانسان .

وبها طير الماء وطير الحوصل ، ويعمل من جلده الخفاف الناعمة .
وبها الكتان ومنها يحمل إلى سائر الأرض .

وبها معدن الذهب ويفوق على كل معدن ، ومعدن الزمرد ولا نظير له فى أقطار الأرض ؛ وحسب مصر فخراً ماتفردت به من هذا المعدن واستمداد ملوك الآفاق له منها ، وبينه وبين قوص ثمانية أيام بالسير المعتدل ، والبحارة تنزل حوله لأجل القيام بحفره، وهو فى الجبل الآخذ على شرقى النيل ، فى منقطع من البر لا عمارة عنده ، ولا قريباً منه ، والماء يبعد عنه مسيرة نصف يوم، وهذا المعدن فى صدر مغارة طويلة فى حجر أبيض منه ، يضرب فيستخرج منه الزمرد وهو كالعروق فيه .

وليس فى الدنيا فرس فى نهاية الصورة فى العنق ولا بردف غير المصرى ، وسبب ذلك قصر ساقيه وبلاغة(١٩١) صدره، وقصر ظهره .

ومما يوصف من دوابها بالجودة: الحمير لفراهتها(١٩٢)، والبقر والغنم لعظمها . وحاضرة مصر تشتمل على ثلاث مدن عظام: « الفسطاط » وهو بناء عمرو بن العاص - وهى المسماة عند العامة « بمصر العتيقة » ، « والقاهرة » بناها جوهر القائد لمولاه الخليفة المعز ، و « قلعة الجبل » بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأول من سكنها أخوه الملك العادل . وقد اتصل بعض هذه الثلاثة ببعض بسور بناه قراقوش بها ، إلا أنه قد تقطع الآن فى بعض الأماكن .

---

(١٩١) عظمته وقوته .
(١٩٢) فارهة : خفيفة نشطة .

« النيل »

لم [يذكر] نهر من الأنهار فى القرآن الكريم سوى النيل فى قوله تعالى :
« وأَوْحَيْنا إلى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ، فإذا خِفْتِ عَلَيْهِ فألقيه فى اليَمِّ » أجمع المفسرون على أن المراد باليم هنا نيل مصر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النيل وَسَيْحَانُ وَجَيْحَان والفُراتُ مِنْ أَنْهار الجنَّة »(١٩٣) فانبعاثه من جبل القمر وراء خط الإستواء، من عين تجرى منها عشرة أنهار، كل خمسة منها يصب إلى بحيرة كبيرة تسمى بحيرة « كورى » منسوبة لطائفة من السودان (١٩٤) ، يسكنون حولها ، متوحشين يأكلون من وقع إليهم من الناس ، فإذا خرج منها يشق بلاد « كورى » ثم بلاد « ننه » ـ طائفة من السودان بين كانم والنوبة . فإذا بلغ دنقلة عطف من غربها إلى الغرب وانحدر إلى الإقليم الثانى (١٩٥) فيكون على شطئه عمارة النوبة ، وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى، ثم يشرف إلى الجنادل ، وإليها تنتهى مراكب النوبة إنحداراً ومراكب الصعيد الأعلى صعوداً ، وهناك أحجار مضرسة (١٩٦) لا مرور للمراكب عليها إلا فى إبان زيادة النيل ، ثم يأخذ إلى الشمال فيكون على شرقيه مدينة أسوان من الصعيد الأعلى ، ثم يمر بين جبلين مكتنفين لأعمال مصر شرقا وغرباً إلى الفسطاط ، فإذا تجاوزها مسافة يوم ؛

---

(١٩٣) لعل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقصد بذلك أنها أنهار مباركة لكثرة ما تجلب من الخيرات والنفع لأهلها .
(١٩٤) يقصد بذلك الجنس الأسود اطلاقا لا السودانيين فقط .
(١٩٥) المنطقة المدارية .
(١٩٦) بها بروز .

انقسم إلى قسمين أحدهما يمر حتى يصب فى بحر الروم عند رشيد ويسمى بحر الغرب أو بحر رشيد ، والآخر بحر دمياط .

وزيادته بسبب أمطار كثيرة ، تكون ببلاد الحبشة وتكون فى القيظ الشديد ، وتحدث بتدريج وترتيب فى زمان مخصوص ومدة معلومة، وكذا نقصه .

فإذا انتهت زيادته فتحت خلجانات وترع فيخرج الماء فيها يميناً وشمالا إلى الأرض البعيدة عن مجرى النيل ؛ حكمة دبرت بالعقول السليمة وقدرت ، ومنافع مصرت فى الزمن القديم وقررت .

وللنيل ثمانى خلجانات ، خليج الإسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج منف ، وخليج المنهى حفره يوسف عليه السلام ، وخليج أشمون طناح، وخليج سردوس ، وخليج سخا ، وخليج حفره عمرو بن العاص زمن عمر بن الخطاب .

ويحصل لأهل مصر يوم وفائه الستة عشر ذراعا التى هى قانون الرى سرور عظيم، بحيث يركب الملك فى خواص دولته الحراريق [١٩٧] المزينة إلى المقياس ، ويمد فيه سماطاً ، ويخلّق [١٩٨] العمود الذى يقاس فيه ، ويخلع على القياس ويعطيه صلة مقررة له .

[يحكى انه] لما فتح عمرو بن العاص مصر ؛ أتى أهلها إليه حين دخل بؤنة [١٩٩] فقالوا له « يا أيها الأمير ، إن لنيلنا هذا سنة لايجرى إلا بها » ، فقال لهم « ما ذاك ! » قالوا « إذا كان لاثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا

---

(١٩٧) جمع حراقة وهى السفينة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .
(١٩٨) شهر من الشهور القبطية الصيفية .
(١٩٩) يطيبة بالخلوق – وهو ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران

الشهر ، عمدنا إلى جارية بكر فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل » فقال لهم عمرو « إن هذا لا يكون فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله » .

فأقاموا شهور بؤنة وأبيب ومسرى ، لايجرى قليلا ولا كثيرا ، حتى هموا بالجلاء ، فلما رأى ذلك عمرو ؛ كتب إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر « قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك بطاقة فألقها فى داخل النيل إذا أتاك كتابى » .

فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى نيل مصر ، أما بعد ، فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الواحد القهار يجريك ؛ فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك » . فألقى عمرو البطاقة فى النيل فأجراه الله تعالى .

[بعض] مزايا النيل

يزيد ويأتى أرض مصر فى أوان اشتداد القيظ والحر ، ويبس الهواء ، وجفاف الأرض ، قبيل رى الأرض ، ويرطب الهواء ، ويعدل الفصل تعديلا زائدا .

وفى النيل عجائب منها : التمساح ، ويسمى فى بلاد النوبة « آ كورك » ووراء النوبة « الشوشار » ، وفيه السمك « الرعاد » إذا وقع فى شبكة الصياد ؛ ترتعد يداه ورجلاه حتى يلقيها أو يموت ، وهى نحو الذراع .

وفيه سمكة على صورة الفرس ، والمكان الذى يكون فيه لايقربه التمساح ، وفيه شيخ البحر — سمكة على صورة آدمى وله لحية طويلة ، ويكون بناحية دمياط .

[بعض] ما قيل في النيل من الأشعار

قال ابن نباته :

زَادَتْ أصابعُ نيلِنا وطفتْ وطافتْ في بلادِ
وأتتْ بكلِّ مسرَّةٍ ماذِي أصابعُ ذِي أيادِي

وقال صلاح الصفدى :

رأيتُ في أرضِ مصرَ مُذْ حللْتُ بها
عجائباً ما رآها الناسُ في جيل
تسْودُّ في عينيَ الدُّنيا فلمْ أرَهَا
تبْيضُّ إلاَّ إذا ما كُنْتُ في النِّيلِ

وقال أيدمر التركى :

راقصُ بالحُسْنِ مُبْتهجٌ فهوَ في عُجْبٍ وفي طَرَبِ
ومغانِي مصرَ تُسْمِعُهُ نغمةَ الشَّادِي بلا صَخَبِ
ونسيمُ للرِّيحِ لاعِبةٌ في خِلالِ الرَّوْضِ بالقصَبِ

« البشارة بوفاء النيل »

جرت العادة فى كل سنة إذا أوفى النيل ، أن يرسل السلطان بشيراً بذلك إلى البلاد ، لتطمئن قلوب العباد ، وهذه عادة قديمة .

« المقياس »

كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام، ووضع مقياساً

بمنف ، ووضع عبد العزيز بن مروان مقياساً بحلوان وهو صغير، ثم وضع أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة الوليد بن عبد الملك الأموى مقياساً بالجزيرة — وهى المسماة الآن بالروضة وهو أكبرها .

ثم هدم المأمون العباسى مقياس الجزيرة وأسسه ولم يتمه ، فأتم المتوكل بناءه وهو الموجود الآن .

وقد كتب الخليفة جعفر المتوكل العباسى إلى مصر ببناء المقياس الهاشمى الجديد فى الجزيرة سنة سبع وأربعين ومائتين (٢٠٠) .

ثم ورد كتاب من المتوكل فى هذه السنة على بكار بن قتيبة قاضى مصر بأن يتولى المقياس من يختاره ، فاختار لذلك « أبا الرواد عبد الله بن عبد السلام المؤدب» وكان محدثاً ، وأقامه لمراعاة المقياس ، وأجرى عليه الرزق ، وبقى ذلك فى ولده .

ثم أقام أحمد بن طولون مقياسين، أحدهما بقوص ،والآخر بالجزيرة وقد انهدم .

جزيرة مصر المسماة الآن بالروضة

عرفت فى أول الاسلام بالجزيرة ،وجزيرة مصر، ثم قيل لها جزيرة الحصن ، ثم عرفت بالروضة من زمن الأفضل بن أمير الجيوش (٢٠١) . وإنما سميت بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها ،وبحر النيل حائز

---

(٢٠٠) لا يزال قائما للآن وقد جددته لجنة حفظ الآثار العربية ، ويوجد بالروضة .

(٢٠١) وزير المستنصر الفاطمي مات ٥١٥ هـ .

لها ، ودائر عليها ، وكانت حصينة ، وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن في غيرها .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر ، تحصن الروم بها مدة ، فلما طال حصارها وهرب الروم منها ، خرب عمرو بعض أبراجها وأسوارها ، وكانت مستديرة عليها . واستمرت إلى أن عمر حصنها أحمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين .

وقد بنى ابن طولون الحصن ليحرز فيه حريمه وماله ، وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغى من العراق ، والياً على مصر وجميع أعمال ابن طولون ، وذلك في خلافة المعتمد على الله العباسى ، فلما بلغ أحمد بن طولون مسيره تأمل الفسطاط فوجدها لا تؤخذ إلا من جهة النيل فبنى الحصن بالجزيرة ليكون معقلا .

واتخذ مائة مركب حربية ، سوى ما يضاف إليها ، فلما بلغ موسى ابن بغى ذلك بالرقة (٢٠٢) تثاقل عن المسير ، لعظم شأن ابن طولون وقوته ، ثم لم يلبث موسى أن مات ، وكفى ابن طولون أمره ، ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل .

وبنيت « الصناعة » - وهو اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية في سنة أربع وخمسين ، وهى أول صناعة عملت بأرض مصر .

فاستمرت إلى أيام الإخشيد ، فأنشأ صناعة بساحل الفسطاط ، وجعل موضع الصناعة التى بالروضة بستاناً . [ولكنها أعيدت بعده] .

---

(٢٠٢) مدينة على نهر الفرات تتبع سورية الآن .

وفى سنة ست عشرة وخمسمائة ، نقل الوزير المأمون البطائحى عمارة المراكب الحربية من الصناعة التى بالجزيرة، إلى الصناعة القديمة بساحل الفسطاط ، فلما استبد الخليفة الآمر الفاطمى بالأمر ، أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكاناً لمحبوبته البدوية ، عرف بالهودج ، ولم يزل الآمر يتردد إليه للنزهة فيه ، حتى قتل سنة أربع وعشرين وخمسمائة فى الروضة .

ولم تزل الروضة متنزها ملوكياً ، ومسكناً للناس إلى أن تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد ، فأنشأ بالروضة قلعة واتخذها قاعدة ملك، فعرفت بقلعة المقياس ، وبقلعة الروضة، وبقلعة الجزيرة، وبالقلعة الصالحية ، وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

وأنفق فى عمارتها أموالا جمة ، وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب، وما يحتاج إليه من الغلال والأقوات ، خشية من محاصرة الفرنج ، فإنهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر ، وبالغ فى إتقانها مبالغة عظيمة .

وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب ما يعمل ، فصارت تدهش من كثرة زخرفها ، ويحير الناظر إليها من حسن سقوفها وبديع رخامها .

وأنشأ جسراً عظيما ممتداً من الفسطاط إلى الروضة، ولما كملت تحول إليها بأهله وحريمه ، وأسكن معه فيها مماليكه ، وكانت عدتهم نحو الألف .

وما برح الجسر قائماً والقلعة عامرة إلى أن خرب المعز أيبك القلعة بعد سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فأهمل الجسر ، ثم عمره الظاهر بيبرس على المراكب، وعمله من ساحل مصر إلى الروضة ، ومن الروضة إلى الجيزة، لأجل عبور العسكر لما بلغه حركة الفرنج .

ثم اهتم بعمارة القلعة ورسم للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى عمارتها كما كانت ، فأصلح بعض ما تهدم منها ، واعادها إلى ما كانت عليه ، وأمر بأبراجها ففرقت على الأمراء ، ورسم أن يكون بيوت جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها .

فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون ، وشرع فى بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية(٢٠٣) ، نقل من قلعة الروضة ما يحتاج إليه من العمد الصوان ، والعمد الرخام التى كانت بها ، وأخذ منها رخاما كثيراً وأعتاباً جليلة .

ثم أخذ منها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه من العمد الصوان ، فى بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل ، وبالجامع الناصرى الجديد(٢٠٤) ظاهر مدينة مصر .

وتأخر عقد ، تسميه العامة القوس ، كان مما يلى جانبها الغربى ، [وقد أدركه المقريزى المؤرخ] باقيا إلى نحو سنة عشرين وثمانمائة ، وبقى من أبراجها عدة انقلب كثير منها ، وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل ، وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها متنزهاً ، وتشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة .

خليج مصر

خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر ، فجدد حفره ثانياً بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الإسكندر .

---

(٢٠٣) هى مجموعة بها مدرسته ومستشفاه بشارع المعز لدين الله
(٢٠٤) بحى القلعة الآن .

ثم فتحت مصر على يد عمرو بن العاص ، وأصاب الناس بالمدينة جهد شديد فى خلافة عمر ، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن يقدم عليه، [فلما قدم] قال له « قد عرفت الذى أصاب العرب ، وليس جند من الأجناد أرجى عندى من أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك، فإن استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله [فافعل] .

فقال عمرو «قد عرفت أنه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الإسلام ، فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج وانسد، وتركته التجار، فإن شئت أن تحفره فتنشىء فيه سفناً يحمل فيها الطعام إلى الحجاز ؛ فعلته» فقال عمر «نعم» فحفره عمرو وعالجه ، وجعل فيه السفن وسماه بخليج أمير المؤمنين .

وكان يبدأ من النيل من حاشية[٢٠٥] الفسطاط إلى القلزم ، وكان الحجاج يركبون فيه من ساحل تنيس ، ثم يسيرون فيه ثم ينتقلون إلى المراكب الكبار بالقلزم .

ولم يزل على ذلك حتى كتب الخليفة المنصور العباسى إلى عامله بمصر أن يطم[٢٠٦] هذا الخليج ، فطم ، وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم .

ولما بنيت القاهرة بجانبه من شرقيه ، صار يعرف بخليج القاهرة ، والآن [زمن المؤلف] تسميه العامة بالخليج الحاكمى ، وتزعم أن الحاكم احتفره ، وليس هذا بصحيح .

---

(٢٠٥) جانب .

(٢٠٦) يسد .

الخليج الناصرى

حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة خمس وعشرين وسبعمائة، لما بنى الخانقاه بسرياقوس ، فأراد إجراء الماء من النيل إليها ، ليرتب عليه السواقى والزراعات ، فحفر فى مدة شهرين ، وبنى فخر الدين ناظر الجبش عليه قنطرة قديدار ، وقناطر الأوز ، وقناطر الأميرية .

بركة الحبش (٢٠٧)

هذه البركة مشهورة ، وفى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، أمر الناصر ابن قلاوون بحفر خليج من النيل إلى حائط الرصد ببركة الحبش، وحفر عشرة(٢٠٨) آبار، كل بئر أربعون ذراعا ، يركب عليها السواقى ليجرى الماء منها إلى القناطر التى تحمل الماء إلى القلعة ، فشق الخليج من مجرى رباط الآثار .

[بعض] ما قيل فى الأنهار والأشجار زمن الشتاء والربيع من الأشعار

قال شمس الدين بن التلمسانى :

وَلَمَّا جَلا فَصْلُ الرَّبيعُ مَحاسِناً

وصَفَّقَ ماءُ النهرِ إذْ غَرَّدَ القُمْرى (٢٠٩)

---

(٢٠٧) موقعها الآن قرية البساتين بالامام الشافعى فى الطريق الى المعادى .

(٢٠٨) لا تزال أبنية السواقى والقناطر باقية للآن بحى فم الخليج وحى أبى السعود .

(٢٠٩) نوع من الحمام .

أتاهُ النَّسيمُ الرَّطبُ رَقَّصَ دَوْحَهُ

فنقّط وَجْهَ المَاءِ بالذَّهب المِصْرى

وقال نور الدين على بن سعد الغمارى الأندلسى :

كأنّما النهرُ صفحةٌ كُتبَتْ أسْطُرُهَا والنَّسيمُ مُنْشِئُها

لمّا أبانَتْ عَنْ حُسْنِ مَنظرِهَا مَالَتْ عَليهِ الغُصُون تَقْرَؤُهَا

وقال مجير الدين بن تميم :

لِمَ لا أهيمُ إلى الرِّياض وحُسْنِها وأظلُّ مِنْها تَحْتَ ظِلٍّ وافِى

والرَّوْضُ حيَّانى بِثغرٍ بَاسِمٍ والماءُ يَلْقانى بقَلْبٍ صَافى

وقال القاضى محيي الدين بن العديم :

انظُرْ إلى الرَّوْضِ النَضِير فَحُسْنُهُ لِلْعَيْنِ قُرَّةْ

فكأنّ خضرتَهُ السَّماءُ ونَهْرَهُ فيهِ المَجَرَّةْ

وقال الصلاح الصفدى :

لَمّا زَهَا زَهْرُ الرَّبيع بِرَوْضِهِ وغَدَا لَهُ الفَضْلُ المُبينُ عَلَيْهِ

قامَ الحَمامُ لَهُ خَطيباً بالثّنا وجَرى الغديرُ وخَرَّ بين يديهِ

[بعض] الرياحين والأزهار الموجودة بالديار المصرية ، وما ورد فيها من الآثار النبوية ، والأشعار الأدبية والإشارات الصوفية

القاغية وهى نور الحناء : « كان أحب الرياحين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القاغية » . رواه البيهقى .

الورد : وهو أصناف ـ أحمر وأبيض وأصفر ، قال فيه محمد بن عبد الله ابن د... ـ

مَدَاهِنٌ مِنْ يواقيتٍ مُركبةٍ عَلى الزَّبَرْجَدِ فى أجوافها ذَهَبُ
كأنَّهُ حِينَ يَبْدُو مِنْ مَطالِعِهِ صَبٌّ يُقَبِّلُ حِبًّا وَهْوَ يَرْتقِبُ

النرجس : قل فيه ابن الرومى :

ونَرْجِسٍ كالثُّغُور مُبْتَسِمٍ لَهُ دُمُوعُ المُحدِّقِ الشَّاكى
أبكاهُ قطرُ النَّدَى وأضْحَكهُ فهْوَ مَعَ القَطْرِ ضَاحِكٌ باكى

وقال كشاجم :

كأنَّما نَرْجِسُنَا وقَدْ تَبدَّى مِنْ كَثَبْ
أنامِلٌ مِنْ فِضَّةٍ يَحْمِلن كأساً مِنْ ذَهَبْ

البنفسج : وهو نوعان ، جبلى و بستانى ، فالجبلى دقيق الورق ، أزرق

اللون ، والبستانى عريض الورق ، حائل اللون[٢١٠] ، ويوجد فيه الأبيض على لون الشمع ، ولا يوجد إلا بمصر ويسمى الكوفى ، ومن الأشياء المضادة له : القصب ، فإنه لايكاد يفلح بقربه ولا ينمو ، ويفسده أيضاً البرد والرعد الشديد المتتابع ، والسَّموم وريح الشمال الباردة ، والمطر الكثير ، وماء الآبار . والدخان وتراب المقبرة ، وإن وقعت صاعقة على أربعمائة ذراع منه فأقل ، هلك سريعاً ، وقد قيل فيه :

مَاسَ البَنفسَجُ فى أغصَانهِ فَحَكى ... زُرْقَ الفصُوص على بيض القراطيس
كأنّهُ وهبوبُ الرِّيح تعطِفُه[٢١١] ... بَين الحدَائق أعْرَاف الطّواويس

النيلوفر : وهو اسم فارسى معناه « النيلى الأجنِحَة » و « النيلى الأرياش » ، ومن عاداته أن يحول وجهه نحو الشمس إذا طلعت ، فيزيد انفتاحه بزيادة علو الشمس ، فإذا أخذت فى الهبوط ، ابتدأ ينضم حتى ينضم انضماما كاملا عند الغروب ، ويبقى كذلك الليل كله ، فإذا طلعت أخذ فى انفتاح .

الآس : وتسميه العامة المرسين ، وهو سيد الرياحين ، ويعظم حتى أنه يشجر ، ويثمر ثمراً قد الحمص ، وهو ثلاثة أنواع : أخضر وهو المشهور ، وأصفر وهو ما فسد من ورق الأول ، وأزرق ويسمى الخسروانى ،

---

(٢١٠) متغير .

(٢١١) تثنيه .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يستاك بعود الآس وعود الرمان .

وقال فيه الأخيطل الأهوازى :

لِلآسِ فَضْلُ بقَائِه ووفائِه ودوام مَنْظَرِهِ على الأوقاتِ
قامَتْ على أغصانه ورقاتُه كنُصُول نَبْلٍ جئن مُؤتلفاتِ

والياسمين : وقد قال [فيه] أبو بكر بن القوطية :

وأبيضَ ناصِعٍ صَافى الأديمِ بِطَلعٍ فوقَ مُخْضَرٍّ بَهيمِ
كأنَّ نُوَّارَهُ المَجْنِيَّ مِنْهُ سَماءٌ قَدْ تَحَلَّتْ بِالنُّجُومِ

والنسرين : فهو والياسمين متقاربان حتى كأنهما أخوان وكل واحد منهما نوعان ، أبيض وأصفر ، ولهما شقيق آخر ، ورْدُه أكبر من وردهما يسمى جلنسرين .

« [بعض] الفواكه »

البطيخ : وهو ثلاثة أصناف ، هندى ويسمى بمصر البطيخ الأخضر ، وصيني ويسمى لأصفر ، وخراسانى ويسمى العبدلى ، منسوب لعبد الله ابن طاهر وقيل [فيه] :

أتانا الغُلامُ ببطّيخَةٍ وسكّينَةٍ أشبعوها صِقالا
فقطّعَ بالبرْقِ شمس الضُّحى وناوَل كلًّ هلالٍ هلالا

الموز : وقال [فيه] البهاء زهير :

فى لونِهِ وَطَعمِهِ وريحِهِ كالمسكِ أو كالتِّبرِ أو كالضَّرب
وَافَتْ بِهِ أطباقُهُ مُنَضَّداً(٢١٢) كأنَّهُ مَكاحِلٌ مِن ذَهَبِ

ما ورد فى الرمان : قال على بن أبى طالب « كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ للمعدة ، قال بعضهم :

رُمانةٌ صَبغَ الزمانُ أديمَهَا فتبسَّمَتْ فى ناضِرِ الأغصَانِ
فكأنَّها فى حُقَّةٍ مِن عَسْجَدٍ قَدْ أودِعَتْ خرزاً مِن المرْجانِ

[وقال] آخر :

كأنَّها حُقَّةٌ فإنْ فُتِحتْ فصُرَّةٌ مِن فُصُوص يَاقُوت

[وقال] فى جُلَّنارة : أبو فراس الحمدانى :

وَجُلَّنار مُشْرِف عَلى أعالى شَجَرِه
قُرَاضَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فى خِرَق مُعَصْفَرَهْ

ما ورد فى الأُتْرُجّ : قال النبى صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، [وقيل] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر إلى الأترُجّ والحمام الأحمر .

---

(٢١٢) بعضه على بعض .

قال شاعر :

يا حَبذا أترجّسة تُحْدِثُ للنَّفس طَرَبْ

كأنَّها كافورة لها غشاء مِنْ ذَهَبْ

وقال الأسعد بن مماتى :

لِلّه بلْ للحُسْن أترُجَّةٌ تُذكّر النَّاس بأمْر النعيم

ما ورد فى القصب : قال الشافعى ، ثلاثة أشياء دواء للداء الذى لا دواء له ، والذى أعيا الأطباء أن يداووه ، « العنب ، ولبن التفاح ، وقصب السكر ، ولولا قصب السكر ما أقمت بمصر » .

قال شاعر :

تُحْكيه سُمْرُ القَنا ولكنْ تراه فى جِسْمِه طَلاوَهْ

وكلَّما زدْتَه عَذاباً زادكَ مِنْ ريقِه حَلاوهْ

النخل : يروى ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الشجر شجرة مثلها مثل المسلم ، أخبرونى ما هى ؟ ، فوقع الناس فى شجر البوادى ، ووقع فى قلبى أنها النخلة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « النخلة » وفيها يقول ابن الحداد :

روضٌ كمُخضرّ العِذار(٢١٣) وجَدْولٌ
نقشَتْ عليه من النسيم موارداً
والنخلُ كالهيف الحسانِ تزاينَتْ
فلبسْن مِنْ أثمارهن قلائداً(٢١٤)

اللوز الأخضر قيل فيه :

جاء بلوزٍ أخضر أصغرهُ ملءُ اليدِ
كأنّما قُلوبُهُ مِنْ تُوأمٍ ومُفردِ
جَواهِرٌ لكنّما الأصْداف مِن زَبَرْجدِ

النّبق : وقال ابن الحلى [فيه] :

وسَرْوَةٍ(٢١٥) كلّ يومٍ مِن حُسْنها فى فُنون
كأنّما النبقُ فيها وقدْ بدا للعُيونِ
جَلاجلٌ مِن نُضار(٢١٦) قدْ عُلِّقَتْ فى الغُصُونِ

---

(٢١٣) لون شعر الذقن اذا نبت .
(٢١٤) جمع قلاده وهى ما يزين به الصدر .
(٢١٥) شجرة النبق .
(٢١٦) ذهب .

[بعض] الحبوب والخضروات والبقول

قال القاضي عياض في سنابل البر والشعير :

يا حبذا سُنبلةٌ تبدو لِعين المُبْصِر
كأنَّها سِلْسلةٌ مَضْفُورةٌ من عنبر

في الفقوس : قال شاعر :

مخازن مِن لُجيْن لُفَّ ظاهرها
بسُندسٍ حَشْوهُ حَبَّاتُ كافور

في الجزر : لابن رافع القيرواني :

أنظرْ إلى الجزر البديع كأنَّهُ في حِصْنه قُضُبٌ مِن المرجان
أوْراقهُ كزبرْجدٍ في لونها وقُلُوبهُ صِيغت مِن العقيان (٢١٧)

في النارنْجُ : قال ابن المعتز :

كأنَّما النارنجُ لمَّا بَدَتْ صُفرةٌ في حُمرةٍ كاللّهبِ
وجْنةُ معشوق رأى عاشِقاً فاصفرَّ ثمَّ احمرَّ خوْف الرَّهَبِ

---

(٢١٧) نوع من الاحجار الكريمة .

في الباقلا :

قال ابن نيكل المصرى :

فُصُوصُ زَبَرْجَدٍ فى غُلْفِ دُرٍّ
بأقماع حكَتْ تَقْليم[٢١٨] ظفرْ
وقد حَاكَ[٢١٩] الرَّبيعُ لها ثيابًا
لها لونان مِنْ بيضٍ وخُضْرٍ

فى الثـوم :

لابن رافع القيروانى :

يا حبذا ثُومَةٌ فى كفِّ جَارِيةٍ
بَدِيعَةُ الحسْن تسْبي كلَّ مَنْ نَظَرَا
أبصرتُها وَهى مِنْ عُجْبٍ تُقلبها
كصُرَّةٍ مِنْ دِبيقيٍّ حَوتْ دُرَرًا

انتهى الجزء الثانى

بحمد الله

---

(٢١٨) قص

(٢١٩) خاط .

ملاحق الكتاب

الدولة الطولونية
فى مصر الشام

٢٥٤ - ٢٩٢ هـ = ٨٦٨ - ٩٠٥م

	هجريه	ميلادية
١ - أحمد بن طولون	٢٥٤	٨٦٨
٢ - خمارويه بن أحمد	٢٧٠	٨٨٣
٣ - أبو العساكر جيش بن خمارويه	٢٨٢	٨٩٥
٤ - هارون بن خمارويه	٢٨٣	٨٩٦
٥ - شيبان بن أحمد	٢٩٢	٩٠٤
	٢٩٢	٩٠٤

الدولة الاخشيدية
(فى مصر والشام)

٣٢٣ - ٣٥٨ هـ - ٩٣٥ - ٩٨٩ م

١ - محمد الاخشيد بن طغج	٣٢٣	٩٣٥
٢ - أبو القاسم أنوجور بن الاخشيد	٣٣٤	٩٤٦
٣ - أبو الحسن على بن الاخشيد	٣٤٩	٩٦٠
٤ - أبو المسك كافور	٣٥٥	٩٦٦
٥ - أبو الفوارس أحمد بن على	٣٥٧	٩٦٧
	٣٥٨	٩٦٩

الدولة الفاطمية (العبيديون)

فى مصر

٣٥٨ - ٥٦٧ هـ - ٩٦٩ - ١١٧١ م

	هجريه	ميلادية
١ - المعز أبو تميم معد	٣٥٨	٩٦٩
٢ - العزيز أبو منصور نزار	٣٦٥	٩٧٥
٣ - الحاكم أبو على المنصور	٣٨٦	٩٩٦
٤ - الظاهر أبو الحسن على	٤١١	١٠٢٠
٥ - المستنصر أبو تميم معد	٤٢٧	١٠٣٥
٦ - المستعلى أبو القاسم أحمد	٤٨٧	١٠٩٤
٧ - الآمر أبو على المنصور	٤٩٥	١١٠١
٨ - الحافظ أبو الميمون عبد المجيد	٥٢٤	١١٣٠
٩ - الظافر أبو المنصور اسماعيل	٥٤٤	١١٤٩
١٠ - الفائز أبو القاسم عيسى	٥٤٩	١١٥٤
١١ - العاضد أبو محمد عبد الله	٥٥٥	١١٦٠
	٥٦٧	١١٧١

الدولة الأيوبيـة

٥٦٤ - ٦٤٨ هـ = ١١٦٩ - ١٢٥٠ م

١ - الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب	٥٦٤	١١٦٩
٢ - العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان	٥٨٩	١١٩٣

	هجرية	ميلادية
٣ ـ المنصور ناصر الدين محمد	٥٩٥	١١٩٨
٤ ـ العادل سيف الدين أبو بكر	٥٩٦	١١٩٩
٥ ـ الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد	٦١٥	١٢١٨
٦ ـ العادل سيف الدين أبو بكر	٦٣٥	١٢٣٨
٧ ـ الصالح نجم الدين أيوب	٦٣٧	١٢٤٠
٨ ـ المعظم توران شاه	٦٤٧	١٢٤٩
٩ ـ الأشرف موسى	٦٤٨	١٢٥٠
	٦٥٠	١٢٥٢

دولة المماليك (البحرية)

٦٤٨ - ٧٨٤هـ = ١٢٥٠ - ١٣٨٢م

	هجرية	ميلادية
١ - المعز عز الدين آيبك	٦٤٨	١٢٥٠
٢ - المنصور على بن عز الدين ايبك	٦٥٥	١٢٥٧
٢ - المنصور على بن عزالدين أيبك	٦٥٧	١٢٥٩
٤ - الظاهر بيبرس البندقدارى	٦٥٨	١٢٦٠
٥ - السعيد أبو المعالى محمد ابن بيبرس	٦٧٦	١٢٧٧
٦ - العادل سلامش بن بيبرس	٦٧٨	١٢٧٩
٧ - المنصور قلاوون الصالحى	٦٧٨	١٢٧٩
٨ - الأشرف خليل بن قلاوون	٦٨٩	١٢٩٠
٩ - النـاصر أبو الفتوح محمد بن قلاوون (١)	٦٩٣	١٢٩٣
(٢)	٦٩٨	١٢٩٨
(٣)	٧٠٩	١٣٠٩
١٠ - العادل كتبغا المنصورى	٦٩٤	١٢٩٤
١١ - حسام الدين لاجين المنصورى	٦٩٦	١٢٩٦
١٢ - المظفـر بيبرس الجاشنكير المنصورى	٧٠٨	١٣٠٨
١٣ - المنصور أبو بكر بن الناصر محمد	٧٤١	١٣٤٠

ملحوظة : الرقم بجانب التاريخ يشير إلى عدد مرات الحكم .

	هجرية	ميلادية
١٤ - الاشرف كجك بن النـاصر محمد	٧٤٢	١٣٤١
١٥ - الناصر أحمد بن الناصر محمد	٧٤٢	١٣٤٢
١٦ - الصالح اسماعيل بن الناصر محمد	٧٤٥	١٣٤٥
١٧ - الكامل شعبان بن النـاصر محمد	٧٤٦	١٣٤٥
١٨ - المظفـر حاجى بن الناصر	٧٤٧	١٣٤٦
١٩ - الناصر أبو المحاسن حسن ابن الناصر محمد (١)	٧٤٨	١٣٤٧
(٢)	٧٥٥	١٣٥٤
٢٠ - الناصح صـالح ابن الناصر محمد	٧٥٢	١٣٥١
٢١ - المنصور أبو المعالى محمـد ابن المظفر حاجى	٧٦٢	١٣٦١
٢٢ - الأشرف شعبان بن أبو المحاسن حسن	٧٦٤	١٣٦٣
٢٣ - المنصور علاء الدين بن الاشرف شعبان	٧٧٨	١٣٧٦
٢٤ - الصالح حاجى بن الاشرف شعبان (١)	٧٨٣	١٣٨١
(٢)	٧٨٤	١٣٨٢
(٢)	٧٩١	١٣٨٩

ملحوظة : الرقم بجانب التاريخ يشير إلى عـدد مرات الحـكم .

دولة المماليك (الجراكسة)

٧٨٤ - ٩٢٣هـ = ١٣٨٢ - ١٥١٧م

	هجرية	ميلادية
١ - الظاهر برقوق (١)	٧٨٤	١٣٨٢
(٢)	٧٩٢	١٣٨٩
٢ - الناصر فرج بن برقوق (١)	٨٠١	١٣٩٨
(٢)	٨٠٨	١٤٠٦
٣ - المنصور عبدالعزيز بن برقوق	٨٠٨	١٤٠٥
٤ - الخليفة المستعين بالله العباسى	٨١٥	١٤١٢
٥ - المؤيد شيخ المحمودى	٨١٥	١٤١٢
٦ - المظفر احمد بن المؤيد	٨٢٤	١٤٢١
٧ - الظاهر ططر	٨٢٤	١٤٢١
٨ - الصالح محمد ططر	٨٢٤	١٤٢١
٩ - الاشرف برسباى	٨٢٥	١٤٢٢
١٠ - العزيز يوسف بن برسباى	٨٤١	١٤٣٨
١١ - الظاهر جقمق	٨٤٢	١٤٣٨
١٢ - المنصور عثمان بن جقمق	٨٥٧	١٤٥٣
١٣ - الاشراف اينال العلائى	٨٥٧	١٤٥٣

ملحوظة : الرقم بجانب التاريخ يشير إلى عدد مرات الحكم .

	هجرية	ميلادية
١٤ ـ المؤيد أحمد بن اينال	٨٦٥	١٤٦٠
١٥ ـ الظاهر خشقدم الناصرى	٨٦٥	١٤٦١
١٦ ـ الظاهر يلباى العلائى	٨٧٢	١٤٦٧
١٧ ـ الظاهر تمربغا	٨٧٢	١٤٦٧
١٨ ـ الأشرف قايتباى المحمودى	٨٧٢	١٤٦٨
١٩ ـ الناصر محمد بن قايتباى	٩٠١	١٤٩٥
٢٠ ـ الأشرف قانصوه		
الغورى (١)	٩٠٤	١٤٩٨
(٢)	٩٠٦	١٥٠٠
٢١ ـ الأشرف جانبلاط	٩٠٥	١١٤٩
٢٢ ـ العادل طومانباى	٩٠٦	١٥٠٠
٢٣ ـ الأشرف طومانباى الدوادا	٩٢٢	١٥١٦
(فتح العثمانيين لمصر)	٩٢٣	١٥١٧

ملحوظة : الرقم بجانب التاريخ يشير إلى عدد مرات الحكم .

فهرس الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة .
١٥	بعض المواضع التى ورد فيها ذكر مصر فى القرآن الكريم .
١٦	بعض الأحاديث التى ورد فيها ذكر مصر .
١٧	إقليم مصر .
٢١	من دخل مصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
٢٢	من كان بمصر من الصديقين .
٢٣	السحرة الذين آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام .
٢٤	بعض عجائب مصر القديمة .
٢٦	الأهرام .
٢٨	بعض ما قيل فى الهرمين الذين بالجيزة من الأشعار والنثر .
٢٩	بناء الإسكندرية .
٣٠	منارة الإسكندرية وبعض من عجائبها .
٣١	دخول عمرو بن العاص مصر فى الجاهلية .
٣٣	كتاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس .
٣٧	فتوح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
٤٤	الخلاف بين العلماء فى مصر ؛ هل فتحت صلحاً أو عنوة .
٤٤	مدينة الفسطاط
٤٥	اختطاط الجيزة .

رقم الصفحة	الموضوع
٤٦	المقطم .
٤٧	جبل يشكر
٤٧	فتوح الفيوم .
٤٧	فتح برقة والنوبة .
٤٨	الجزية .
٤٩	القطائع .
٥٠	المكس على أهل الذمة .
٥١	مرتبع الجند .
٥٢	نهى الجند عن الزرع .
٥٢	انتقاض عهد الاسكندرية وسببه .
٥٤	مرابطة الإسكندرية .
٥٤	بعض من دخل مصر من الصحابة .
٦٢	باب الكنى .
٦٣	باب النساء .
٦٣	بعض من كان بمصر من مشاهير التابعين الذين رووا الحديث .
٦٥	بعض من طبقة أخرى أصغر من التى قبلها .
٦٦	بعض مشاهير أتباع التابعين الذين خرج لهم أصحاب الكتب الستة من أهل مصر .
٦٦	بعض من طبقة تلى هذه .
٦٧	بعض من طبقة تلى هذه .
٦٧	بعض من كان بمصر من الأئمة المجتهدين .
٧٧	بعض من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده .

رقم الصفحة	الموضـــوع
٨١	بعض من كان بمصر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والمنفردين بعلو الإسناد .
٨٤	بعض من كان بمصر من الفقهاء الشافعية .
٩٢	بعض من كان بمصر من الفقهاء المالكية .
٩٩	بعض من كان بمصر من الفقهاء الحنفية .
١٠٠	بعض من كان بمصر من الفقهاء الحنابلة .
١٠١	بعض من كان بمصر من أئمة القراءات .
١٠٥	بعض من كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية .
١١٢	بعض من كان بمصر من أئمة النحو .
١١٨	بعض من كان بمصر من أرباب المعقولات وعلوم الأوائل والحكماء والأطباء والمنجمين .
١٢٤	بعض من كان بمصر من الوعاظ والقصاص .
١٢٥	بعض من كان بمصر من المؤرخين .
١٢٧	بعض من كان بمصر من الشعراء والأدباء .

﴿ تم الجزء الأول ﴾

فهرس الجزء الثانى

رقم الصفحة	الموضوع
١٣٩	بعض أمراء مصر منذ فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد - [الفاطميون] .
١٤٨	أمراء مصر من بنى عبيد [- الفاطميين] .
١٥٣	أمراء مصر من حين ملكها بنو أيوب إلى أن اتخذها الخلفاء العباسيون داراً للخلافة .
١٦٤	من قام بمصر من الخلفاء العباسية
١٧٠	فصل عن عواصم الخلافة .
١٧٢	بعض سلاطين مصر الذين فوض إليهم خلفاء مصر العباسيون .
١٧٦	الفرق بين السلطنة والخلافة والملك من حيث الشرع .
١٧٧	من يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح .
١٧٧	جلوس السلطان فى دار العدل للمظالم .
١٧٨	عساكر مملكة مصر .
١٧٩	أرباب الوظائف .
١٨١	بعض قضاة مصر .
١٨٧	بعض قضاة الحنفية .
١٨٨	بعض قضاة المالكية .
١٨٨	بعض قضاة الحنابلة .
١٨٩	بعض وزراء مصر .
١٩٣	بعض كتاب السر .

رقم الصفحة	الموضوع
١٩٥	جوامع مصر .
١٩٦	جامع عمرو .
١٩٨	جامع ابن طولون .
٢٠٠	الجامع الأزهر .
٢٠١	جامع الحاكم .
٢٠٢	بعض الجوامع من عهد الفاطميين .
٢٠٢	أمهات المدارس والخانقاه العظيمة يالديار المصرية .
٢٠٣	المدرسة الصلاحية .
٢٠٣	خانقاه سعيد السعداء .
٢٠٣	المدرسة الكاملية.
٢٠٤	المدرسة الصالحية .
٢٠٤	المدرسة الظاهرية القديمة .
٢٠٥	المدرسة المنصورية .
٢٠٥	المدرسة الناصرية .
٢٠٥	الخانقاه البيبرسية .
٢٠٦	خانقاه قوصون .
٢٠٦	خانقاه شيخو .
٢٠٧	مدرسة صرغتمش .
٢٠٧	مدرسة السلطان حسن
٢٠٧	المدرسة الظاهرية .
٢٠٨	المدرسة المؤيدية .
٢٠٨	رباط الآثار

رقم الصفحة	الموضوع
٢٠٩	بعض الحوادث الغريبة الكائنة بمصر فى ملة الإسلام .
٢١٥	الطريق المسلوك من مصر إلى مكة شرفها الله تعالى .
٢١٦	حمائم الرسائل .
٢١٧	عادة المملكة فى الخلع والزى .
٢١٨	عادة السلطان فى الكتابة .
٢١٨	معاملة مصر .
٢١٩	بعض من بقية لطائف مصر .
٢٢٢	النيل .
٢٢٤	بعض مزايا النيل ،
٢٢٥	بعض ماقيل فى النيل من الأشعار .
٢٢٥	البشارة بوفاء النيل .
٢٢٥	المقياس .
٢٢٦	جزيرة مصر المسماة الآن بالروضة .
٢٢٩	خليج مصر .
٢٣١	الخليج الناصرى .
٢٣١	بركة الحبش .
٢٣١	بعض ما قيل فى الأنهار والأشجار زمن الشتاء والربيع من الأشعار .

Geography

رقم الصفحة	الموضوع
٢٣٣	بعض الرياحين والأزهار الموجودة بالديار المصرية ، وما ورد فيها من الآثار النبوية ، والأشعار الأدبية والإشارات الصوفية .
٢٣٥	بعض الفواكه .
٢٣٩	بعض الحبوب والخضروات والبقول .
٢٤١	ملاحق الكتاب .
	أسماء الكتب والمراجع التى اعتمدت فى الشرح والتحقيق .

٥٥٥

الكتب والمراجع التى اعتمدت عليها فى التحقيق والشرح

١ - القاموس المحيط

٢ - المصباح المنير

٣ - لسان العرب

٤ - معجم البلدان لياقوت

٥ - القاموس الجغرافى لرمزى

٦ - الأعلام للزركلى

٧ - الولاة والقضاة للكندى

٨ - جغرافية مصر لأمين فكرى

٩ - مصر القديمة للدكتور سليم حسن

١٠ - مصر الفرعونية للدكتور أحمد فخرى

١١ - فنون الاسلام للدكتور زكى محمد حسن

١٢ - تاريخ الاسلام السياسى للدكتور حسن ابراهيم حسن

١٣ - تاريخ العرب لمبروك نافع

١٤ - هذا العالم للدكتور الشرقاوى

١٥ - كشف الظنون لحاجى خليفة

١٦ - صبح الأعشى للقلقشندى

١٧ - الفهرست لابن النديم

١٨ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى

١٩ - وفيات الأعيان لابن خلكان

٢٠ - الخطط للمقريزى

٢١ - مذكرات فى العمارة الاسلامية للمهندسين عباس بدر ومحمد جمال الدين

٢٢ - أسد الغابه لابن الأثير

٢٣ - الاصابه لابن حجر

٢٤ - طبقات الشافعية للسبكى

٢٥ - زعماء الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن

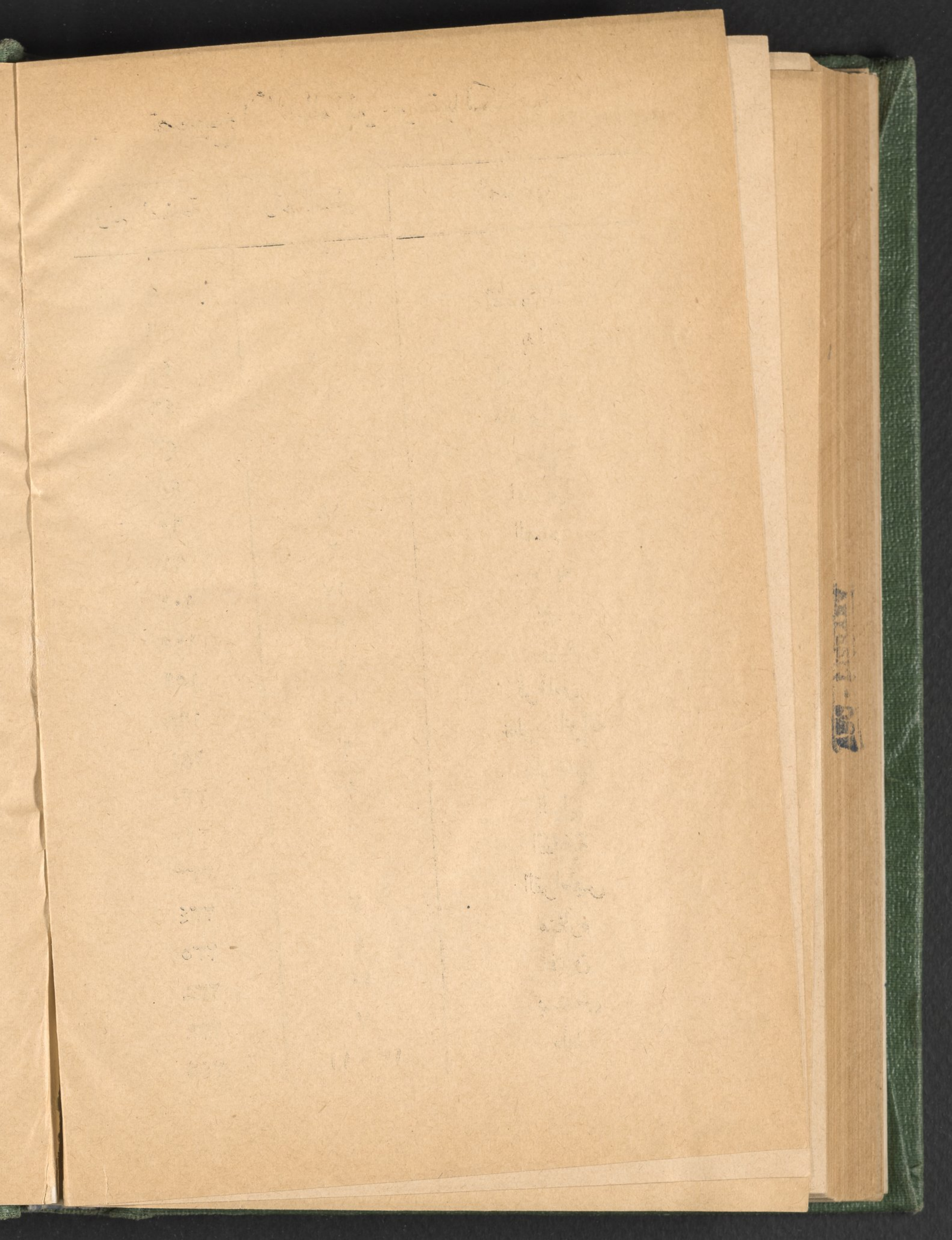
٢٦ - دليل الطائب لآثار القاهرة لحسن عبد الوهاب

٢٧ - رحلة الى الأقصر وأسوان لمحمود درويش

٢٨ - دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة للدكتور ابراهيم نصحى

تصحيح الأخطاء الموجودة بالكتاب

رقم الصفحة	رقم السطر	الصواب
٥	١٧	وفى
٢٦	٧	الفسطاط
٤٠	٢٠	أبدا
٤٦	١١	الغفارى
٥٣	٢	مامروا به
٥٨	٨	وقيل
٦٠	١٨	املأوا
٩١	٢	الصدر
١٠٢	١٧	حنزابه
١٠٥	٦	نمير
١٥٩	٩	صورة
١٦٨	١٦	قرقماس
١٨١	٩	نظر الخزانة
٢٢٠	٥	بالرخام
٢٢٢	١	النيل
٣٣٣	٤	الفاغية
٢٣٤	٧	القراطيس
٢٣٥	٤	منظره
٢٣٨	١٠	فنون
٢٣٩	٧	بسندس
٢٤٦	١١ ، ١٢	ططر



ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

دار القاهرة للطباعة
٢٦ شارع منصور

